الكتاب الوضوحي في الحجج الباهرة والدلايل القاهرة في الإعجاز

تصنيف الشيخ الإمام
مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

مج
١٠٤٩

كتاب الموضوعي في تاج التناجة

والدلائل القاهرة في الاعجاز تصنيف الشيخ الامام

مجد الاسلام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

الجرجاني رحمه الله رحمة واسعة

امين والحمد لله

وحده

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ،

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، احمده على عظيم نعمائه وعلى جزيل بلائه ، واستكفيه نوائب الزمان ، ونوازل الحدثان ، وارغب اليه في التوفيق والعصمة ، وابرأ اليه من الحول والقوة ، وأسأله بعيبا بملأ الصدر ويحير القلب ، ويسبول على النفس حتى يكفها اذا ابزعفت ، ويردها اذا هي تطلعت ، وثقة بأنه عز وجل الوزر والكالي ، والراعي والحافظ ، وانه الخير والمزيد ، وان النعم كلها من عنده ، وان لا سلطان لأحد مع سلطانه وان يوجه رغباتنا اليه ، ويخلص نياتنا في التوكل عليه ، وان يصدقنا من هديه الصدق ، ويغيبنه الحق ، ويعرضه الصواب ، وما تحيك العقول وتعقله الالباب ، وأعوذ به من أن ادعى العلم بغير آلاته ، وأن أتحلى بقول لا افعله ، وأن أكون ممن يغبطه الكاذب من الناس ويخدع للغرور نفسه الاطراء ، ان يكون سبيلي سبيل من يجهد ان يجادل بالباطل ويموه على السامع ، ولا يبالي اذا راح عنه القول ان يكون قد خلط فيه ، ولم يسدده في معانيه ، وأستانف الرغبة اليه عز اسمه في الصلاة على خير خلقه المصطفى من بريته محمد سيد المرسلين ، وعلى اصحابه الخلفاء الراشدين ، وعلى آله الاخيار اجمعين ، وبعد ، فانا اذا تقصينا الفضائل لنتعرف مقاديرها في الشرف ونتبين مواقعها من العظمة ونعلم أي شيء منها احق بالتقديم واسبق في استحقاق التعظيم ، وجدنا العلم أولاها بذلك ، وأولاها هنالك ، اذ لا شرف الا وهو السبيل اليه ، ولا خير الا وهو الدليل عليه ، ولا سعادة الا هو يؤتيها وبسائها ، ولا مضرة الا به يحتنبها وبمائها ، ولا حسنة الا هو يفتتحها ولا محمدة الا وهو يتقدمها ويصاحبها ، هو الوقي اذا احتان كل صاحب ، والثقة اذا لم توثق بناصح ، لولاه لما بان الانسان من سائر الحيوان الا تخطيط صورته وهيئة جسمه وبنيته ، لا ولا وجد الى اكتساب الفضل طريقا ، ولا وجد شيء من المحاسن خليقا ، اذ لما وان كنا لا نصل الى اكتساب فضيلة الا بالفعل ، كان لا يكون فضل الا بالقدرة ، فانا لم نر فعلا الا وان قد سبقه وجب الفضل له حتى يكون عن العلم صدر ، وحتى يتبين مبدؤه عليه وآخره ، ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها محمدة أو افادته حمدا دون ان يكون العلم رائدها فيما تطلبت

وتكلموا

وقايدها حيث تؤم وتذهب ، ويكون المصرف لعنانها ، والمقلب لها في سبلها ، فهي اذا مفتقرة الى ان يكون فضيله اليه ، وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه ، واذا هي جلت من العلم او انت ان تمثيل اسره وتعطى رسمه التي ولا شيء احسد للدنيا على صاحبها منها ، ولا شيء اشين من اعمالها فيها فمد في فضل العلم ، لا تجد عاقلا يخالفك فيه ولا تر ي احدا يدفعه او ينكره فاما المفاضلة بين بعضه وبعض ، وتقديم فن منه على فن ، فانك تر ي الناس فيه على اربع اصنافهم ، واهواها استعاده به ، تر ي كلا منهم يحبه نفسه وايثاره ان يدفع النقص عنها ، يقدم ما يحسن من انواع العلوم على ما لا يحسن ويحاول الزراية على الذي لم يحظ به والطعن على اهله ، والبعض منهم لم يتفاوت احوالهم في ذلك فمن بعضهم قد استهلكه هواه ، وبعد في الجور مداه ، ومن منهم من فيه بين الانصاف والظلم ، يجور تارة ويعدل اخرى في الحكم ، فاما من يخلص في هذا المعنى من الحيف حتى لا يقضي الا بالعدل ، وحتى يصدر في كل امر عن العقل فكالشيء الممتنع وجوده ، ولم يكن ذلك كذلك الا لشرف العلم وجليل محله ، وان محبته مركوزة في الطباع ومركبة في النفوس وان الغرض عليه لازمة للجبلة ، وموضوعة في الفطرة ، وانه لاعجب اعجب عند الجميع من عدمه ، ولا نقصه اوضع من الخلو عنه ، فلم يعد اذا الافراط فيه ، ولم يصح به الا الغرط الشنيع ، ثم انك لا تر ي علما هو اوضح اصلا واسبق فرعا واحلى جنا واعذب وردا واكرم نتاجا واوفر سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدر ، ويفث السحر ويفري الهند ، ويريك بدائع من الزهر ، ويجلو الحظ البائع من الغرر ، والذي لولا عضه بالعلوم وعنايته بها وتصوره اياها لبقيت كاسية عورى ولما استبت غرائب الدهر صورة ولا استمر الزمان باهلها واستولى العجماء على جملتها الى ابد لا يدركها الاحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء الا انك لن تر ي على ذلك نوعا من العلم قد لقي من التصريف بها العجب ومنى من الحيف ما سفي به ودخل على الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه فقد سبقت الى مفهومهم اعتقادات فاسدة ، وظنون رديه ، وكرهم فيه جهل عظيم ، وخطأ فاحش ، تر ي كثيرا منهم لا يرى له معنى اكثر مما يرى للاتاء

بالرأس والعين وما عدده لفظ والعقد يقول انما هو خبر واستخبار وامر
ونهي ولكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه فكل من عرف اوضاع
لغة من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المعزي من كل لفظة شعر
ساعده اللسان على النطق بها وعلى بادية اجرارها وجرورها فهو بين في تلك
اللغة كامل الاداء بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه سببه الى الغاية
التي لا يذهب بعدها مع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لها معنى
سوى الاطناب في القول وان يكون المتكلم في ذلك مجهر الصوت جاري اللسان
لا يعترضه لكنة ولا تتعقد به حبسة وان يستعمل اللفظ الغريب والكلمة الوحشية
فان استظهر للامر وبالغ في النظر كان لا يطمئن فيرفع في موضع النصب او كما
فحي باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي وعلى خلاف ما ثبت به
الرواية عن العرب وجملة الامر انه لا يجري النقص بدخل على صاحبه في
ذلك الامر جمعه نقصه في علم اللغة لا نعلم ان ههنا شاء فائق واسرار اطرق
العلم بها الرديه والفكر ولطائف مستقاها العقل وخصائص معاني
يغرد بها قوم فدهدوا الرها ودلوا عليها وكشف لهم عنها ورفع الحجب بينهم
وبينها وانما السبب في ان عرضت المزية في الكلام وجب ان يفضل بعضه
بعضا وان يبعد الشاو في ذلك ويمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز المطلب
حتى ينتهي الامر الى الاعجاز والى ان يخرج من طوق البشر وطالما يعرف هذه
الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواص واللطائف لم يعرض لها ولم يطلبها شعر
عن لها بسوء الاتفاق راى صار حجازا بينها وبين العلم بها وسدادا دون ان
تصل الرها وهو ان سا اعتقادها في الشعر الذي هو معدن لها وعليه المعول
فيها وفي علم الاعراب الذي هو لها كالنا سب الذي يجريها الى اصولها ويرد
فاضلها من مفضولها فجعلت تظهر الزهد في كل واحد من النوعين ويطرح
كلا من الصنعتين وتزري الشاغل عنهما اولى من الاشتغال بهما والاعراض
عن بدرهما اصوب من الاقبال على تعلمها اما النحو فحيل اليها انه ليس
فيه كبير طايل وان ابس الافحمة وفكاهة او كما سرلد او وسف طلل او نعت
ناقة او جمل او اسرا وقول في مدح او هجا وانه ليس لبني تميم الحاجة اليه
في مدائح دين او دنيا وانما النحو تطبيب صرياس التكلف وبابا من التعسف

وشيا لا يستبد الى ميل ولا تعتمد فيه على عقل وان ما زاد منه على معرفة
الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما عدده في المبادي فهو فضل لا احتدي
نفعا ولا تحصل منه على فايدة وضربوا له المثل بالملح كما عرفت الى اشياء
لهذه الطبقة في القبيلين وانا لو علمنا مغبتها وما يعود اليه لدعوة وايا سه
سنها ولا نعوا لا تتسم من الرضا بها ذاك لانهم ما بينا رهم الجميل يدا كي على العلم
في معنى الصادة عن سبيل الله والمبتغي عوجا نوا سه وذاك انا اذا كنا نعلم ان
الجهة التي منها قامت الحجة بالقران وظهرت وبانت وبهرت هي ان كان على
حد من الفصاحة يقصر عنه قوى البشر وستنهيا الى غاية لا يطمح الرها
بالفكر وكان محالا ان يعرف كونه كذلك الا من عرف الشعر الذي هو ديوان
العرب وعنوان الادب والذي لا يشك انه سيد ان القوم اذا تحاوروا
في الفصاحة والبيان وتنازعوا فيها فضب الرهان ثم بحث عن العلل التي
بها كان التباين في الفضل وزاد بعض الشعر على بعض كان السداد عن ذلك
صادا عن ان يعرف حجة الله وكان مثله مثل من يتصدي للناس فيمنعهم
عن ان يحفظوا كتاب الله ويتلوه ويتعلموا به ويقرؤه ويسمع في الجملة
مسببا يودي الى ان يقل حفاظه والقائمون به والمقرئون له ذاك لان العالم
تتعبد بتلاوته وحفظه والقيام بادا لفظه على الوجه الذي انزل عليه
وحراسته من ان يغير ببدل الا لتكون الحجة به قائمة على وجه الدهر يعرف
في كل زمان ويتوصل الرها في كل اوان ويكون سببها سبيل سايرا لعلوم التي
جرد ونها الخلف عن السلف وباشرها الناس عن الاول فمن حال بيننا وبين
ساله كان حفظنا اياه واجتهادنا في ان نؤديه ونرعاه كان كمن رام ان
يبنيناه جملة ويذهبه من ولوينا دفعة فسواس منعكما التي الذي يتاثر
منه الشاهد والدليل ومن منعك السبيل الى انواع تلك الدلالة والاطلاع ع
على تلك الشهادة ولا فرق بين من اعدمك الدوا الذي يستشفى به من دائك
وتستبقي به حياتك نفسك وبين من اعدمك العلم فان ذلك فيه شفا
وان ذلك فيه استبقا فان قاله سنهم قايل انك قد اغفلت فيما رتبت فان انا
طريقا الى معرفة اعجاز القران غير ما قلت وهو علمنا بحجز العرب عن
ان ياتوا بمثله وتركهم ان يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم

بالعجز عنه ولولا ان الامر كذلك ما قامت به الحجة على العجم فيما بينها على العرب واسنوى الناس فاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من ان يكون محجوجا بالقرآن ﴿ فصل له خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بان كانت معجزته باقية على وجه الدهر يعرف له معنى عيانا لانزال البرهان منه لاحاضر عتيدا لكل من اراد العلم به وطلب الوصول اليه والحجة فيه وبه ظاهرة لمن اراد ها والعلم بها ممكنا لمن التمسه فاذا كنت لاتشك في ان لامعنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا ان الوصف الذي له كان معجزا قائم فيه ابدا وان الطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل يكون اذا انت زهدت في ان تعرف حجة الله واثرت فيها الجهل على العلم وعدم الاستبانة على وجودها وكان التقليد فيها احب اليك والتعويل على علم غيرك ! ثكلتك امك وبخ الهوى عنك وراجع عقلك واسدد نفسك بعض تلك الغلظ فما رأيت وبخ الحظ في الذي توهمت وعدلت رأيا المحجر والخشونة رأيا اتبع ممن كره ان يعرف حجة الله من الجهة التي اذا عرفت منها سبيلها كانت انور وابهر واقوى واقهر واشد ان لايقوى سلطانها على الترك كل القوة ولاتعلو على الكفر كل العلو والله المستعان ﴿

﴿ فصل في الكلام على من زهد في رواية الشعر ﴿

﴿ وذم الله تعالى العلم وتعلمه ﴿

لايخلو من هذا رأيه من امور احدها ان يكون رفضه له وذمه اياه من اجل ما يجده فيه من هزل وسخف وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة والشاني ان يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا المجرد عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه والثالث ان يعلق باحوال الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ويقول قد ذمها في التنزيل واي كان من هذه رأيا له فهو في ذلك على خطا ظاهر وغلط فاحش وعلى خلاف ما يوجبه القياس والنظر وبالعدة مما حاباه الاثر وصح به الخبر اما ان زعم ان ذمه له من اجل ما يجده فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي له ان يذم الكلام كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان فسنور كلام الناس على كل حال اكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر من اجله وعاداه بسبب فيه اكثر

لان الشعر في كل عصر وزمان معدود من العامة ومن لايقول الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف شعرا في عصر واحد لاربى على جميع ما قاله الشعراء في الازمان الكثيرة ولعمري حتى لايظهر فيه ثم انك لو لم تر هذا الضرب شائعا ولم يحفظ الا الجيد المحبض والامالا صعاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي صحته وتدوينه لكان ذلك في ذلك غنى وسند وحجة ولوجدت ظلبتك وبلغت مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ما نكره الى ما تحب هذا وراوي الشعر جاك وليس على الحاكي عيب ولا عليه تبعة اذا هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او يتوسلما وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له يروى الشعر ومن اجله أريد وله دون تعلم انك قد زهدت عن المنع وانك شنئ في هذه العداوة وهذه العصبية منك على الشعر وقد استشهد اهل الفرقان واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل القبيح ثم لم يعبهم بذلك اذ كانوا لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يروا الشعر من اجله ﴿ قالوا وكان الحسن البصري يتمثل بمواعظه وكان من اوجبها عنده ،، ﴿

،، اليوم عندك دظا وحبيها وغدا لغيرك كفها والمعصم ،،

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المرزباني في كتابه باسناده عن عبد الملك بن عمير انه قال ان عمر رضي الله عنه عدل من اليمن فاربعة محمد بن جعفر بن ابي طالب ومحمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد بن ثابت فقال يا امير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدعا كل واحد زيدا جودها حلة وكان هذا لمحمد بن حاطب وكانت امه عنده وهو من بني لوي فقال عمر امهات اولاد وتمثل ببيت عمارة بن الوليد ﴿

،، اشرك لما صرع القوم نشوة ،، خروجي منها سالما غير غارم ،،

،، بريا كافي قبل كراك منهم ،، وليس الخداع من صوتضي في الشام ،،

رد هاشم قال له اشتر ثوب فانعته على هذا الخليل فقال ادخل بيدك فخذ حلة وانته لاختارها فاعظم قال له عبد الملك فلم ارسوة اعدل منها وعمارة هذا

بنو عمارة عن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه فقالت لا اتزوجك او تترك الشراب فابى ثم اشتد وجده بها فحلفها ان لا يشرب ثم مر بخمار عنده شرب بشربون فدخل عليهم وقد انفذوا ما عندهم فطلب لهم نافته وسقاهم يجود به ومكث اياما ثم خرج فاتى اهله فطارت امرأته قالت الم تحلف ان لا تشرب فقال ولسنا بشرب ام عمرو اذا التقوا ممزلة الريان

ولسنا بشرب ام عمرو اذا التقوا ... شباب الندامي عندهم كالعمائم
ولكننا يا ام عمرو ندبمنا ... ممزلة الريان لبي بعاسم

اسرك البيتين فاذا ربك هزلي صار اداء في جد وكلام جري في باطل استبين به على حق كانه رب حسبي توسل به الى تثريف بان ضرب مثالك وجعل مثالا فيه كما قال ابو تمام

والله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

وعلى العكس ورب كلمة حق اريد بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفت في خبر الخارجي مع علي رضي الله عنه ورب قول حسن لم يحسن من قائله حين تسبب به الى قبيح كالذي حكي الجاحظ قال رجع طاوس يوما من مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت ان قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا ابلغ من يوسف عن رجل لاثنا فقال رجل من اهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام لتعجب ان يوسف فهم هذا ونحوه فاعتبروا جعله حكما بينك وبين الشعر وبعد كيف وضع من الشعر عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم ترفعه في نفسك ولم توجب له المحبة من قبل ان كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وان كان مجتنى ثمر العقول ومجتمع فرق الآداب والذي فيد على الناس اخلاق الشرفاء وافادهم الفوائد الجليلة وسهل بين الماضي والغابر سبيل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد ويودي ودائع الشرف عن الغائب الى الشاهد حتى يرى به آثار الماضين قبله في الباقين وعقول الاولين مردودة في الآخرين وتوفي لكل من رام الادب واشتهى الشرف وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوعا وعلما مشهورا وهاديا مرشدا ومعلما مسددا ويجد فيه الناهي عن طلب المآثر والزاهد في اكتساب

المحامد داعيا ومحرضا وباعثا ومحفزا ومذكرا ومعرفا وواعظا ومثقفا فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغنيه هذا الراي منك وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه ويمنعك ان تعيبه او تعيب به ولكنك ابيت الا سبق اليك والاتادي راي عن لك فاقبلت عليه فلك وتلدت عما سواه وسمعك فعى الناصح بك وعسر على الصدق والخليط بنيهك نعم وكيف روت لان يبتلى جوف احدكم قيحا فيريه خير له من ان يمتلئ شعرا ولحجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا وكيف نسيت امره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة وقوله لحسان قل ورح القدس معك وساعده له واستنشاده له وارتياحه عند سماعه اما امره صلى الله عليه وسلم به في العلوم ضرورة ولذا كان معاوية اباه فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويهجو منهم وينصفهم ويأمرهم بالرد على المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه وكان عليه السلام يذكرهم بعض ذلك كالذي روي من انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب ما شئ ربك وما كان فسيا شعرا فلته قال وما هو يا رسول الله قال انشده يا ابا بكر فانشد ابو بكر رضي الله عنه هم

زعمت سخينة ان ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

واما استنشاده اياه فكثير من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استشق فسقى قول ابي طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواصل

وعن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القتلى يوم بدر مصرعين قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه لو ان ابا طالب حي لعلم ان اسيافنا قد اخذت بالاناميل قال وذلك كقوله ابي طالب

كذبتم وبيت الله ان جد ما ارى ... لتلتمسن اسيافنا الاناميل

ويهضي قوم في الدروع البهر ... نهوض الزوايا في ظهور جلاحل

ومن المحفوظ في ذلك حديث محمد بن سلمة الانصاري حمزه وان اوجد

الاسلمي الطريق قال فقد ذكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت انشدني قصيدة
عباس من شعرك الجاهلية فان الله تعالى قد وضع آثامها في شعرها وروايته فانشد
قصيدة للاعشى مجاهيا علقمة بن علاثة ، ه ،

، علقم ما انت الى عامر ، الناقض الاوتار والواتر ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة
بعد مجلسك هذا فقال يا رسول الله نهيتني عن رجل مشرك مفحم عند قومه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان اشكر الناس للناس اشكرهم لربهم
وان قيصر سأل ابا سفيان بن حرب عني فتناولني وفي خبر آخر لشعب
مني وانه سأل هذا عني فاحسن القول فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك ، وروي من وجه آخر ان حسان قال يا رسول الله من ذلك
وجب علينا شكره ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضي الله عنها انها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول ابيات لك فاتوك

، ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه ، يوما فتدركه العواقب قد نمى ،
، يجزيك او يثني عليك وان من ، اثنى عليك بما فعلت فقد جزى ،

قالت فيقول عليه السلام يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده
صنع اليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه فيقول يا رب علمت انه
منك فشكرتك عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من
اجريته على يديه ، وانا على السلام بالشعر فهو عار واه الزبير
من بكار قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه ابو بكر رضي الله عنه
وجعل يقول في بعض ازقة مكة ، ه ،

، يا ايها الرجل المحول رحله ، هلا سألت بآل عبد الدار ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر هكذا قال الشاعر قال لا يا رسول
الله ولكنه قال

، يا ايها الرجل المحول رحله ، هلا سألت بآل عبد مناف ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اكاسعها وانا اريا جيه
صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من

مقطوعة

ذلك حديث النابغة الجعدي قال انشدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولي ، ه ،

، بلغنا السما مجدنا وسناؤنا ، وانا لنجوا فوق ذلك مظهرا ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المظهر يا ابا ليلى فقلت الخبر يا رسول
الله قال اجل ان شاء الله ثم قال انشدني فانشدته ، ه ،

، ولا خير في حلم اذا لم يكن له ، بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ،
، ولا خير في جهل اذا لم يكن له ، حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ،

فقال صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي فحدثت
اليه فكان فاه البرد المنهل ما سقطت له سن ولا انفلت ، رف عنه ومن
ذلك حديث كعب بن زهير روي ان كعبا واخاه بجيرا خرجا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير انظر هذا
الرجل وانا مقيم هيهنا فانظر ما يقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا
فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه بجير يامره بان يسلم ويقبل
الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسقط ما كان قبل ذلك
قال فقدم كعب وانشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المنهورة ، ه ،

، بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ، متيم اثرها لم يجز مكبول ،
، وما سعاد غداة البين اذ رحلت ، الا اغن غضيض الطرف مكحول ،
، تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ، كانه منهل بالراح معلول ،
، سحت السقاة عليه ما محنية ، من ماء اثلة اجنى هو مسمول ،
، وما تمسك من وعد وعدت به ، الا كما يمسك الماء الغرابيل ،
حتى اتى على آخرها فلما بلغ مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ه ، ه ،
، ان الرسول لسيف يستضاء به ، مهند من سيوف الله مسلول ،
، في فتية من قريش قال قائلهم ، ببطن مكة لما اسلموا زولوا ،
، زالوا فما زال انكاس ولا كشف ، عند اللقاء ولا ميل معازيل ،
، لا يقنعون الطعن الا في نحورهم ، وما لهم عن حياض الموت تهليل ،

ثم العراقين انطال لبوسهم ، من نسج داود في اهجار ابيل ،

اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحلق اي احمقوا قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المايدة من القوم يخلقون حلقة دون حلقة فتكبعث الى هوله والى هولا والاحيا ربما يشبه هذا الكثير والاكثير به مستفيض وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفى حتى كان الوزن عيب وحتى كان الكلام اذا نظم بنظم الشعر انتبع في نفسه وتغيرت حاله فقد ابعد وقال قوله لا نعرف له معنى وخالف العلما في قولهم انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يتغنى في الشعر ويلهى به فانا اذا اكنا لم ندعه الى الشعر من اجل ذلك وانما دعوناه الى اللفظ الجزل والقول الفصل والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى التلويح والاشارة والى سرعة نفوذه الى المعنى الحسيس شرفه والى النبيل فخمه والى الناقل فرفعه والى الخامل فنوه به والى العاطل فحليه فلا تعلق له علينا بما ذكر ولا ضرر علينا فيما انكر فليقل في الوزن ما شاء وليصنع حيث اراد فليس بعضنا امره ولا موسرادنا من هذا الذي راجعه القول فيه وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واراد ان يجعله حجة في المنع من الشعر ومن حفظه وروايته وذلك انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من اجل ان كان قولا فاسدا ولا جرلة وسخطفا حسنا وبيانا بينا كيف وذلك يقتضي ان يكون تعالى قد شجعه البلاغة والبيان وحماه الفصاحة والبراعة وجعله لابلغ سبلغ الشعرا في حسن العبارة وشرف اللفظ وهذا اجهل عظيم وخلاف لما عرفة العلما واجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب واذا بطل ان يكون المنع من اجل هذه المعاني وكنا قد اعلمنا انا ندعوا الى الشعر من اجلها فخذوا مطلبه على طلبها كان الاعتراض لانه محالا والتعلق به خطلا من الراي والمحالا فان قال اذا قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهه وهذه الكراهه وان كانت لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن وحلو

فانا نتوجه

فانا يتوجه الي امر لا بد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مراد ك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى ان تميز كونه كلاما من كونه شعرا حتى اذا رويته البتة به من حيث هو كلام ولم تلبس به من حيث هو شعر هذا محال واذا كان لا بد من ملابسة موضع الكراهه فقد لزم العيب لملازمة الشعر واحمال اللسان فيه فان قيل له هذا منك كلام لا تحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن خط ذلك من قدره واذري به وجلب على المتزع له في ذلك الغالب انما وكسبه ذما لكان من حق العيب فيه ان يكون على واضع الشعر او من يريده لكان الوزن حصوصا دون من يريده لامر خارج منه ونطلبه لشيء سواه فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا تكره حتى يلبس ما تكره فان اذا لم اقصده من اجل ذلك المكروه ولم اردته له واردته لان اعرف به مكانك بلاعته واجعله مثالا لي براعته او احتج به على تفسير من كتاب وسنه وانظر الى نظمه ونظم القرآن فاري موضع الاعجاز واقف على الجهة التي منها كان وبين الفصل والقرآن فحيي هذا النفس ان لا يعده علما دينا وان لا اواخذ به اذ كان لا يكون مواخذه حتى يكون عمد الى ان يواقع المكروه قصدا له وتدين العلما السحوده والسحر وعدوا ما لو توقف على حيل اموهين ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيله وكان ذلك سنهم من اعظم البراهان كان الغرض كرما والقصد شرفا هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار وما صح من الاثار وجدنا الامر على خلاف ما ظن هذا السايل وبانيا السبيل لم منع النبي صلى الله عليه وسلم الوزن وان ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير انا ذهبنا اليه وذلك انه لو كان منع تنزيه وكراهة لكان ينبغي ان يكره له سماع الكلام موزونا وان ينزه سمعه عنه كما كره لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يامر به ولا يحث عليه وكان الشاعر لا يعار على ذلك الكلام وصياغته شعرا ولا يوبد فيه روح القدس واذا كان هذا كذلك فينبغي ان يعلم ان ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يبصر ولا يكتب فان لم يكن المنع من اجل كراهة كانت في الخط بل لان يكون الحجة اصدر واقهر والدلالة اقوى واظهر لان يكون اكم للحاسد واقع للواشد وارد لطالب الشبهة واسنع من ابقاع الريبة واما التعلق بجواز الشعرا

وبانهم قد ذموا فى كتاب الله فما ارى عاقلا يرضى به ان يجعله حجة فى ذم الشعر
وتحسينه والمنع من حفظه وروايته والعلم بما فيه من بلاغة وما يختص به من
ادب وحكمة ذاك لانه يلزم على قوله هذا القول ان يعيب العلماء فى استشهادهم
بشعر امرئ القيس واشعار اهل الجاهلية فى تفسير القرآن وفى عربية وغريب الحديث
وكذلك يلزمه ان يدفع ما وردنا عنهم ذكره من امر النبى صلى الله عليه وسلم
بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له هذا ولو كان يسوغ ذم القول من اجل
قائله وان يحمل عيب الشاعر على الشعر لكان ينبغى له ان يحض ولابد وان يستفى
فقد قال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ولولا ان
القول يجر بعضه بعضا وان الذى يذكر لبعضه فى النصرة لكان حق هذا ونحوه
ان لا يتشاغل به وان لا يعاد ويبدا فى ذكر ما، واما زهدهم فى النحو واحقارهم
له واصغارهم امره وتهاونهم به فتسليمهم فى ذلك اشيع من تسليمهم فى الذى
تقدم واشبه بان يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لانهم
لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة اليه فيه اذ كان قد علم ان الالفاظ
مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذى يفتحها وان الاغراض كامنة
فيها حتى يكون هو المستخرج لها وانه البيان الذى لا يبين نقصان كلام ورجحان
حتى يعرض عليه والقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه فلا ينكر
ذلك الا من يتكره جهله والامن غالط فى الحقائق نفسه واذا كان الامر كذلك
فليت شعرى ما عذر من تهاون به وزهد فيه ولم يران يستفيه من معدنه
ويأخذه من معدنه ويرضى لنفسه بالنقص والكمال لها معروض وانوا فيه
وهو عند اهل الفرج سبيلا فان قالوا انا لم نأب صحة هذا العلم ولم ننكر مكان الحاجة
اليه فى معرفة كتاب الله تعالى وانما انكرنا اشياء كرهوه بها وفصول قولية
تكلفوها وسائل عويصة تحشم الفكر فيها لم نصلوا على ما ذكرتم من ان
تعرفوا اعجل السامعين وتغابوا بها الحاضرين فسل لم خبرونا عما زعمتم انه
فصول قول وعويص لا يعود بطائل ما هو فان بدؤا فذكروا اسائل الشريف
التى نصبها المعربون الرياضة وضرب من تمكين القياس فى النفوس كقولهم
كيف بنى من كذا كذا وكقولهم ما وزن كذا وتمثيلهم فى ذلك للالفاظ الوحشية
كقولهم ما وزن عزويت وما وزن ارونان وقولهم فى باب ما لا ينصرف لو سميت

رجلا بكذا كيف يكون الحكم واشباه ذلك وقالوا ليس كون ان ذلك لا يحتاج
الاكد الفكر واضاعة الوقت قلنا لم اما هذا الجنس نلتمسا بعنكم ان
لم تنظروا فيه ولم تعنوا به وليس بمستامره فتقولوا فيه ما شئتم وضعوه حيث
اردتم فان تركوا ذلك وتجاوزوه الى الكلام على اعراض واضع اللغة وعلى
وجه الحكمة فى الاوضاع وتغيرها مما يبس التى اطردت عليها وذكر العلل التى
اقتضت ان تجرى على ما اجريت عليه كالقول فى العمل وفيما لحق الحروف
الثلاثة التى هى الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان
او كالكلام مثلا على التثنية وجمع السلامة لم كان اعرابها على خلاف اعراب
الواحد ولم تبع النصب فيهما الجر وفى النون انه عوض عن الحركة والتنوين
فى حال وعن الحركة وحدها فى حال والكلام على ما لا ينصرف ولم كان سبب المنع
وبيان العلة فيه والقول على الاسباب التسعة وايها كلها ثنوان لا صول
وانه اذا حصل منها اثنان فى اسم او تكرر سبب صار بذلك ثنائيا من وجهين
واذا صار كذلك اشبه الفعل لان الفعل ثنائى اللام والاسم المقدم والاوسط
وكل ما جرى هذا المجرى فلسنا انا سكتنا عنكم فى هذا الضرب ايضا ونعد ذكر
فيه ونساهمكم على علم منا بان قد اسأم الاختبار ومنعتم انفسكم مما منه
لكم وصنعتموها الاطلاع على بدائع الحكمة وعلى العلوم الجمة فدعوا ذلك
وانظروا فى الذى اعترفتم بمحنته وبالحاجة اليه هل حصلتموه على وجهه وهل
احطتم بحقائقه وهل وفيتم كل باب منه حقه واحكمتموه احكاما ما يوسكم
الخطافيه اذا انتم خضتم فى التفسير وتعاطيتم علم التاويل وازيتم بين بعض
الاقوال وبعض واردتم ان تعرفوا الصحيح من السقيم وعمدتم فى ذلك
وبدأتم وزدتم ونقصتم وهل رابكم اذ عرفتم صورة المبتدا والخبر وان
واعرابها الرفع ان يتجاوزوا ذلك الى ان ينظروا فى اسم خبر فيعلموا انه
يكون مفردا او جملة وان المفرد ينقسم الى ما يحتمل ضميرا له والى ما لا يحتمل
الضمير وان الجملة على اربعة اضرب وانه لا بد لكل جملة وقعت خبرا للمبتدا
من ان يكون فيها ذكر يعود الى المبتدا وان هذا الذكر ربما حذف لقطا وزيد
معنى وان ذلك لا يكون حتى يكون فى الحال دليل عليه الى سائر ما يتصل بهذا
الابتداء من المسائل اللطيفة والفوائد الجليلة التى لا بد منها واذا انظرتم

في الصفة مثلا تعرفتم انها تتبع الموصوف وان مثالها قولك جاءني رجل ظريف وشريف ومررت بزيد الظريف هل ظننتم ان وراء ذلك علما وان ها هنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين وان فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح كما ان فائدة الشياع غير فائدة الابهام وان من الصفة صفة لا يكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم امس الدابر وكقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وصفة يراد بها المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال وهل عرفتم ان هذه الثلاثة تتفق في ان كلا منها تثبت المعنى للشيء وتخالف في كيفية ذلك الثبوت وهكذا ينبغي ان يعرض عليهم الابواب كلها ويسألوا عنها بابا بابا ثم تقول لهم ليس لاحد امرين اما ان يتعلموا التي لا بد منها العاقل فيتفكر وان يكون بكم حاجة في كتاب الله تعالى وتفسيره وفي خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي معرفته الكلام جملة الذي منه ذلك وبعد فاعلموا انكم اذا عرفتم مثلا ان الفاعل رفع لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء تحتاجون الى معرفته واذا نظرتم الى قولنا زيد منطلق لم تحتاجوا من بعده الى شيء تعلمونه في الابتداء والخبر وحتى تزعموا مثلا انكم لا تحتاجون في ان تعرفوا وجه الرفع في والصابئون من سورة المائدة الى ما قالت العلماء فيه والى استدلالهم بقول الشاعر . والا فاعلموا انا وانتم ، بغاة ما بقينا في شقاق .

وحتى كان مستحيل على الجميع غير مستحيل عندكم وحتى كأنكم قد اوشكتم ان تستبطئوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائله كلها فتخرجوا الى فن من الخاطر لا يبقى معه كلام واما ان تعلموا انكم قد اخطأتم حين اصغوا امرهذا العلم وظننتم ما ظننتم فيه فترجعوا الى الحق وتسلموا الفضل لاهله وتدعوا الذي يزري بكم ويفتح باب الغيب عليكم ويطيل لسان القادح فيكم وبالله التوفيق . هذا ولو ان هؤلاء القوم اذ تركوا هذا الشان تركوه جملة واذ زعموا ان قدر المحتقر اليه التقليل منه اقتصروا على ذلك القليل فلم يأخذوا الغرض بالقوي فيه وبالتصرف فيما لم يعلموا منه ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التأويل لكان البلاء واحدا ولكانوا اقل بينوا وعدموا واذا لم يعلموا لم يكونوا سببا الفساد ولكنهم لم يتعلموا فجعلوا من انفسهم ما اعمى الطبيب وحير اللبيب واتى التخليط

بما انوه فيه المجد يثنى من بلائه فلم يسق للعارف الذي يكره الشهرة الا التعجب والسكوت وما الآفة العظمى الا واحدة وهي ان عمى من الانسان وحرى لفظه ومشى له ان يكثر في غير تحصيل وان تحسن البناء على غير اساس وان يقول الشيء لم تقبله عقلا وقبال الله العباد به وترغب اليه في العصمة ثم انا وان كنا في زمان هو على ما هو عليه من احالة الامور عن جهاتها وتحويل الاشياء عن حالاتها وتقل النفوس عن طباعها وقلب الخلائق المحمودة الى اضدادها وذهر ليس للفضل واهله لديه الا الشر صرفا والغبط محتا والاتاديد عشر هو لهم وسلبهم معقولهم حتى صار اعجز الناس رايا عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد علما ويزداد فهما او يكتسب فضلا او يحمل على ذلك محال شغلا فان الالف من طباع الكريم واذ اكان من حق الصديق عليك ولا سيما اذا تقادمت صحبته وصحت صداقته الا يحفوه بان تكنك الايام وتصرعك النوائب وتحركك من الزمان فما ساءه جملة وتطويه طيا فالعلم الذي هو صديق لا يحول عن العهد ولا يبدل في الود وصاحب لا يصح عليه النكث والغدر ولا يظن به الخيانة والمكر اولى بمسك يدك واحد ر وحفه عليك اكرم ثم ان النوى الى ان تمر الاقرار بها وتوضع الاشياء مواضعها والنزاع الى بيان ما يشكل وحل ما يعقد والكشف عما يخفى وتخليص السفه حتى يزداد السامع ثقة بالمجة واستظهارا باعز النصرة واستبانة على الدليل وتبيينا للسبيل شيء هو في سور العقل وفي طباع النفس اذا كانت نفسا ولم ازل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله العلماء في علم معاني الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المعوي من هذه العبارات وتفسير المراد بها فاجد بعض ذلك كالرمز والايماء والاشارة في خفاء وبعضه كالتنبيه على امكان الخفي ليطلب وموضع الدفين ليحفر عنه فيطرح وكايضاح ذلك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضيح تلك القاعدة لتبنى عليها وجدت المعول على ان ههنا نظما وترتيبا وتاليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هو مجاز فيه سبيلها في الاشياء التي هي حقيقة فيها وانه كما يتصور هناك النظم النظم والتاليف التاليف والنسج النسج والصياغة الصياغة ثم بعظم الفضل وكثرة المزية حتى يعرق الشيء نظيره والمحاسن له ذوات كثيرة وحتى تتفاوت القسم التفاوت الشديد كذلك يتفضل بعض الكلام بعضا

وبتقدم الشيء منه الشيء لم يزداد فضله ذلك ويرقا من له فوق منزله ويعلوا
مرتبا فوق مرتب ويسابق له غاية بعد غاية حتى ينتهي الى حيث ينقطع
الاطماع ويحسر الظنون وتسقط القوي وتستوي الاقدام في العجز وهيهنا
حملة قد نرى في اول الامر وبادي الظن انها تكفي وتغني حتى اذا نظرنا فيها
وعدنا وبدانا وجدنا الامر على خلاف ما حسبناه وساء فنا الحال على ضربنا
توهمناه وعلمنا الغير لبن اقصر واللفظ قد اطالوا المعني ولم يعرفوا في
التنزع لبعد البعد واعجاذ ذلك في المرمي وذاك انه يقال لنا ما زدتم على ان سميتم
فيما شاقلتم نظم ونظر وترتيب وتنسيق ونسج ولم تبينوا عليه انه ينبغي ان
ينظر المرتب في هذه المعاني هيهنا حتى يجب ظهورها هناك وان تعظم الامور فيه ذلك
كما عظم شرها وهذا صحيح كما قلتم ولكن بقي ان تعلمونا مكان المزية في الكلام وتصفوها
لنا وتذكروها ذكرا كافيا ينص على الشيء ويعين ويكشف عن وجهه ويبين ولا يكفي ان
يقولوا انه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها
على بعض حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها امثلة وتعولوا مثل
كيت وكيت كما يذكر ذلك من تستوصف عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة
الصنعة او تعمله بين يديك حتى تري عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء
وماذا تذهب منها طولا وماذا تذهب عرضا وبماذا ابتدا وبم يثنى وبم يثلث
وتبصر من الحساب الدقيق ومن تجنيب تصرف اليد ما تعلم معه مكان الخرز
وموضع الاستادية ولو كان قولك القائل ذلك في تفسير الفصاحة انها خصوصية
في نظم الكلم وضم بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة او على وجوه نظم بعضها
الغاية ولما اشبه ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومقنعا في العلم بها
اكفى مثله في معرفة الصناعات كلها وكان يكفي في معرفة نسج الديباج الكمال الصانع
ان تعلم انه ترتيب الغزل على وجه مخصوص وضم لطاقات الابريسم بعضها الى
بعض على طرق شتى وذلك مما لا يقوله عاقل وجملة الامر انك لن تعلم في شيء
من الصناعات علما تمر فيه وتحلي حتى تكون ممن يعرف الخطا فيها من الصواب
ويفصل بين الاساءة والاحسان ويعرف طبقات المحسنين واذا كان هذا هكذا
علمت انه لا يكفي في علم الفصاحة ان تنصب لها قياسا ما وان تصفها وصفا مجملا
وتقول فيها قولا مرسلا بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل وتضع

اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وبعدها واحدة واحدة واسبرها شيئا
شيئا وتكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم عمل كل خيط من الابريسم
الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المخورة في الثياب المقطع وكل اجزاء من
الاجر الذي في البناء البديع واذا نظرت الى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا
الطلب احوجت الى صبر على التامل ومواظبة على التدبر والى همة تابى لك ان
تقنع الا بالتمام وان تريح الابعد بلوغ الغاية وسئ حسمت ذلك وابيت الا ان
تكون كذلك فقد اصمت الى عروض كريم وتعرضت لاشرف واثرت التي هي اتم لك بذلك
وفضلك واسبل عند ذوي العقول الراجحة لك وذلك ان تعرف وجه الله تعالى من
الوجه الذي مواضعها وابوبها واخلق بان يزداد نورها واسطع شاوكوكبها طلوعا وان
تسلك الى ذلك الطريق الذي هو اسلك وابعد من الريب واصح التبين واجدر
بان يجلوك فاصية البيان واعلم انه لا سبيل الى ان تعرف صحة هذه الجملة حتى يبلغ
القول غايته وينتهي الى اخر ما الردت جمعه لك وتصويره لتمثيلك وتفرع عندك
الا ان هيهنا امرا لكه ان انت تامليها تامل المنصف ونظرت فيها نظر المتثبت رجوت ان
يحسن ظنك وان تنشط للاصغاء الى ما اورده عليك وموانا انا سقنا هذا ليل الاتجاه
فقلنا لولا انهم حين سمعوا القرآن وحين تحدوا اليه والى معارضته سرعوا الكلام الى
لم يسرعوا قط مثله وانهم راموا النهم فاجسوا بالعجز عن ان يأتوا بما يوازيه او يدانيه
او يقع قريبا منه لكان محالا ان يدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وفرغوا فيه والوا
به وان يتعرضوا لشبا الاسنة وتقحموا موارد الموت تعليل لما قد سمعنا ما قلتم
فجبرونا عنهم عماة العجز والعن بعان في وقته بعانيه وحسبها وعجزها في العقول
ام عن الفاظ مثل الفاظه فان قلتم عن الالفاظ فاذا العجز من اللفظ ام ما بهم
منه فقلنا العجز تم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصايص سادوها في بيان لفظه
وبدايع راعتهم في مباديه ومقاطعها ومجاري الفاظه ومواقعها وفي ضرب كل
مثل وساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وترهيب وترغيب وتزهيد
كل حجة وبرهان وصفة وبيان ذرهم انهم تاملوه سورة سورة وعشرا عشرا واية
اية فلم يجدوا في الجميع كله بنبوا بها مكانها والفظه يبكر شانها او يرى ان غيرها اصلح
هناك او اشبه لو اجري او اخلق بل وجدوا الشان فارها بهر العقول واعجز الجمهور
ونظاما والشاما واتقانا واحكاما لم يدع في نفس طمع ولو حدثها فوجه انما

موضع طمع حتى خرست الالسن عن ان يدعي ويقول وخدست القروم فلم تملك
ان تصول نعم فاذا كان هذا هو الذي يذكره في جواب السائل فسأل ان ينظر اي شيء
يا لغني في عقله ودينه وأن يجد له في عقله ويقينه ان تقلد في ذلك وحفظ ستن الدليل
وظاهر لفظه ولا يحث عن تفسير المرايا والخصائص ما هي ومن اين كثرت الكثرة
العظيمة واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر وكيف يكون ان
يظهر بالفاظ محصورة وكلم معدودة معلومة بان نوى بعضها في اثر بعض لطائف لا
لا يحصرها العدد ولا يتهيأ بها الامم ان يحيط عرفا بكله ويستقصي النظر في
جميعه ويتتبعه شيئا شيئا ويستقصيه بابا بابا حتى يعرف كلامه بشاهده ودليله
ويعلم بتفسيره وتأويله ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل فيه ع

يقولون افوا لا ولا يعلمون شيئا ، ولو قيل هانوا فحققوا لم يجدوا ،

قد قطعت عذر المتهاونين وهديت على ما اصناع من خطه وهديته لرشده وصح
ان لا غنى بالعاقل عن معرفة هذه الامور والوقوف عليها والاحاطة بها وان لجهة
التي منها يقع والسبب الذي به يعرف استغراب كلام العرب وتتبع اشعارهم
والنظر فيها واذ قد ثبت ذلك فينبغي لنا ان نبتدئ في بيان ما اردنا بيانه وناخذ
في شرحه والكشف عنه وجملة ما اوردت ان ابينه لك انما هو لابد لكل كلام مستحسن
ولفظ مستجاد من ان يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وان
يكون لنا الى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو
باب من العلم اذا انت فتحته اطلعت فيه على فوائد جليلة ومعان شريفة ولابيت
له انوار في الدين عظيمة وفائدة جسيمة ووجدته سببا الى حسم كثير من الفساد مما
يعود الى التنزيل واصلاح انواع من الخلل مما يتعلق بالتاويل وانه لو سئل من
يقاطعني دعواك ويدافع عن معناك ويريبك عن ان تستبين هدي ثم لا قدر
اليه وتدل بعرفان ثم لا تستطيع ان تدل عليه وان يكون عالما في ظاهر مقلدا وسيئا
في صورة شاك وان يسألك السائل عن حجة دلني بها الخصم في اية من كتاب الله تعالى
او عن خبر ذلك فلا ينصرف عنك بمقنع وان يكون غاية ما تصاحبك منك ان تحيله على
نفسه وتقول قد نظرت موازنت فصلا وضربته وصاولته فان ذلك ارجحه فانظر لنفسك
كما عرفت وارجح نفسك واسبر ودن لتجد مثل الذي وجدت فان عرفت فذاك
والا مسكا الشاكر تنسبه الى سوء التامل وتنسبك الى فساد في التخيل وانه على الجملة

يحسن

بحث يقتضي ذلك من علم الاعراب خالصة ولبعد واخذك سنه اناسي العيون وحلية
القلوب وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه في موازين العقول سكر والبقية
يتاخر ان اصلك من اول الامر ذلك اخره وانا اسمي لك الفصول التي في بيتي ان اخر
مشيئة الله عز وجل حتى يكون على علم بها قبل مورودها عليك فاعمل على ان بعضها
فصل يجيء بعضها في اثر بعض وهذا اولها . ع

فصل في تحقيق القول على الشعر

والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض اهليه
على بعض من حيث نطقوا وتكلموا واخبروا والسامعين عن الاغراض والمقاصد
ورأوا ان يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم ومن المعلوم ان لا
معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يتعذر فيه اللفظ بالنعت والصفة
ويتسبب به الفضل والمزية اليه دون المعنى عن وصف الكلام بحسن الدلالة
وتمامها فيما له كانت دلالة ثم بتوجيهها في صورة بهي رائق وانيق واعجب واحق
بان يستولي على هوى النفوس ويملأ الحظ الاوفر من مثل القلوب واولى بان يطلق
لسان الحامد ويطيل رغم الحاسد ولا حجة لاستكمال هذه الخصال غير ان يأتي
المعنى من الجهة التي هي اصح لتادية واحتاره اللفظ الذي هو اخص به واكشف
عنه واتم له واحرى ان يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية واذا كان هذا كذلك فينبغي
ان ينظر الى الكلم قبل دخولها في التاليف وقبل ان يصير الى الصورة التي يكون بها
الكلام اخبارا وامرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتودي في الجملة معنى من المعاني
التي لا سبيل الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبنا لفظة على لفظة هل يتصور ان يكون
بين اللفظتين تعاطف في الدلالة حتى يكون هذا ادل على معناها الذي وضعت
له من صاحبتها على ما سمي مرسومة به حتى يقال ان هذا ادل على معناه من غيره
على ما سمي به وحتى يتصور في الاسمين يوضعان فلي واحد ان يكون هذا احسن
بانا عنه وابين كشفا عن صورته من الاخر فيكون الليث مثلا ادل على السبع العلم
من الاسد وحتى انا اوردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية شاع لنا
ان نجعل لفظة رجل ادل على الاسمي الذكر من نظيرتها في الفارسية وهل يقع في وهم
وان تجرد ان تتعاطى الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان يقعان فيه
من التاليف والنظم باكثر من ان يكون هذا ما لوفيه مستعملة وذلك غريبه وحشيه

ربما

او ان يكون حروف هذه اخف وامتزاجها احسن ومما يؤكد الليان ابعد وهل تجد
احدا يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها
لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها اخواتها وهل قالوا اللفظة متمكنة ومقبولة وفي خلافه
قلقه ونابية ومستكرهة الا على غرضهم ان يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه
وتلك من جهة معناهما وبالقلق والنبو عن سوء الملاءمة وان الاولى لم تلق بالثانية
في معناها ولم تصلح السابقة ان تكون لفقا للتالية في موادها وهل يشك اذا فكرت
في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على
الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فتجلي لك من هذه الاعجاز وطرفك الذي ترى
وسمع لك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة الباهرة الا لامر يرجع الى ارتباط
هذه الكلم بعضها ببعض واخذ بعضها بحجزة بعض والشرف الامن حيث لاقت الاولى
بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا الى ان يستقر بها الى اخرها وان الفصل تلاقى ما
بينها وحصل من مجموعها ان شككت فتامل هل ترى لفظة منها بحيث لو اخذت من
بين اخواتها وانفردت لاقت من الفصاحة ما تراه بموضعها من الاول فقل
البلغي واعتبرها وحدها من حيث ان نظر الى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر
ما يليها وكيف بالشك في ذلك ومعلوم ان مبدا اللفظة في ان مؤدية الارض ثم امرت
ثم ان كان الذي اريد ان ينادي نحو بانها الارض ثم اضافه الماء الى الكاف ثم ان اريد اخذا
الارض وامرها ما يوشانها ايذا السماء وامرها كذلك ثم بعضها ثم ان قيل وغيض الماء قيل
الفعل على ما صيغه فعل الله تعالى انه لم يفض الا بأمر وقدر ثم تاكيد ذلك
وتقريره بقوله وقضي الامر ذكر بانه موفاة هذه الامور وبعد استوت على الجودي
ثم اضمار السفينة قبل الذكر كما يوشر له الفخامة والدلالة على عظم الشان ثم مقابلة
قيل بالفخامة مقيلة الفاخته اخرى لشي من هذه المقاييس التي ملوك رؤوسه
وتحرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من اقطارها تطلعا بالفكر من حيث
هو موصوف بسموح وحروف تتوالى في النطق ام كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من
الاتساق العجيب فقد اتضح اذا انصاحا لا يدع للشك مجالا ان الالفاظ لا تستفاد
من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيلة وخلافها في ملاءمة
معنى اللفظة لما يليها ولما اشبه ذلك مما لا يطلع له صريح اللفظ ومما يشهد لذلك انك ترى
الكلمة ترفك وتوحشك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع اخر

لفظه الاجدع في بيت الحماسة مع

بلغت بخوالي حتى وجدتني ... وجعت من الاشفاق ليتا واحدعا

وبيت الطيب

واني وان بلغتني شرف الغنا ... واعتقت من رق المطامع احدعي

فان لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم انك تأملها في بيت ابي تمام مع

يا دهر قوم من اخدعيك فقد اضجرت هذا الانام من خرقك

تجد لها من الثقل على النفس ومن النفيض والنكد ما ضعاف ما وجدت
هناك من الروح والخفة ومن الايناس والبهجة ومن العجب ذلك لفظة التي
فانك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة مستكرهة في اخر وان اردت ان
تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن ابي ربيعة مع

ومن مالئ عينيه من شيء غيره ... اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

وقوله ايضا مع

اذا ما تقاضا المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر اليها في بيت المتنبي

لولا المطك الدوا ارتعصت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

فانك تراها تثقل وتصول بحسب نبلها وحسنها مما تقدم وهذا باب واسع فانك
قد ترى الرجلين قد استعملا كلمة باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك وترك
ذلك وقد لصق بالحضيض فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هي لفظة
واذا استخفت للزبة والشف استخفت ذلك في ذاتها وهي على انفرادها دون ان
يكون السبب في ذلك حالا لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلفت قط
الحال ولكانت اما ان حسن ابدا او لم تزل تضطرب على قائله حتى لا يدري كيف
يعبر وكيف يورده وكيف يصدر كهذا القول بل ان اردت الحق فانه من حيث لا
يجري به الرجل لسانه ويطلقه فاذا فتش نفسه وجدها تعلم بطلانه وتطوي
على خلافه فذاك لانه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فواد مع

فصل وما يجب اجراؤه بعقب هذا

الفرق بين قولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذاك ان نظم الحروف هو تواليها
في النطق وليس نظمها مقتضى عن معنى ولا الناظر لها مقتف في ذلك رسما من العقل

اقتضى ان تجري في نظمه لها ما تجراه فلو ان واضع اللغة قد كان قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يودي الى فساد واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك تقتضي في نظمها اثار المعاني وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النفس فهو اذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء الى الشيء كيف جاء واتفق وكذلك كان عند من نظر في الفلج والتاليف والصياغة والبناء والوشي والصبغ وما اشبه ذلك مما يوجب اعتبارا لاحوال بعضه مع بعض حتى يكون لوضع كل منها حيث وضع علة تقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح والفساد في معرفة هذا الغرض انك اذا اعرضت عرفت ان ليس الغرض بنظم الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف تصور ان يقصد به الى توالي الالفاظ في النطق بعد ان ثبت انه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير الصياغة والتحبير والتعويق والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد ان كنا لا نشك في ان لا حال للفظة مع صاحبتها يعتبر اذا انت عزلت دلالتهما جانبا واي مساغ للشك في ان الالفاظ لا تستحق من حيث هي الفاظ ان تنظم على وجه دون وجه ولو فرضنا ان تخلع من هذه الالفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان هناك شيء اسمه التقديم والتاخير ولا يتصور ان يجب فيها ترتيب ونظم ولو حفظت مسيبا شعر كتاب العين او الجمهرة من غير ان تعرف له شيئا منه واخذته بان يضبط صور الالفاظ وهيأتها وبودي بها كما يودي اصوات الطير لرايته ولا يخطر له ببال ان من شانه ان يوخر لفظا ويقدم اخر بل كان حاله حال من يرمي الحيصا وبعد الجوزا اللهم الا ان تتوسع ان يأتي لفظا على حروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب ودليل اخر وهو انه لو كان القصد بالنظم الى اللفظ نفسه دون ان يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالالفاظ على حذوها لكان ينبغي ان لا تختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم او غيره الحسن فيه لانهما عصان توالي الالفاظ في النطق احسانا واحدا ولا تفاوت احدهما في ذلك شيئا بحصله الاخر واوضح من هذا كله وهو ان هذا النظم الذي هو اصنع البلغاء وتتفاضل كلمراتب البلاغة من اجله صنعه يستعان طلبها بالفكر لامحالة واذا كان مما يستعان عليه بالفكر ويستخرج بالروية فينبغي ان ننظر في الفكر مما ذا يتالف اهو المعاني ام الالفاظ فاي شيء وجدته الذي يلبس به

ذكر من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك فمحال ان تفكر في شيء وانت لا تصنع فيه شيئا وانما تصنع في غيره لو جاز ذلك فمحال ان يفكر الشاعي في الغزل ليجعل فكره فيه وسيلة الى ان يصنع سحرا لاحور وهو سحر الاحالة المزهلة فان قيل النظم موجود في الالفاظ على كل حال ولا سبيل الى ان يعقل الترتيب الذي تزعمه في المعاني سالم تنظم الالفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص قيل ان هذا ابو الذي يعيد هذه السبرة خدعة ابدا والذي يحمله ان تنظر لتصور ان تكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ مع اللفظ حتى تصنعه بحيث لو قيدته وان تقول هذه اللفظة انما سطت ها هنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان يقول انما سطت هيهنا لان معناها هكذا اولدلالتها على كذا ولان معنى الكلام والغرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها يقتضي بعناها فان تصورت الاول فقل ما شيت واعلم ان كل ما ذكرناه باطل وانك لم تصور الا الثاني فلا تخدعن نفسك بالاضاليل ودع النظر الى ظواهر الامور واعلم ان ما تركي انه لابد منه من ترتيب الالفاظ وتواليها على النظر الخاص ليس هو الذي طلبته بالذكر ولكنه شيء يجب ضرورة من حيث ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعاني فانها لامحالة تتبع المعاني في مواقعها فاذا وجب لمعنى ان يكون اولا في النفس وجب للفظ الدال عليه ان يكون مسئله اولا في النطق فاما ان يتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب وان يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الالفاظ اوان يحتاج بعد ترتيب المعاني الى فكر يستانفه لان يجيء بالالفاظ على نسقها فباطل سر الظن ووهم من الضلال لمن لا توفي النظر حقه وكيف يكون مفكرا في نظم الالفاظ وانت لا تعقل لها اوصافا واحوالا اذا اعرفتها عرفت ان حقها ان تنظم على وجه كذا ومما يلبس على الناظر في هذا الموضع ويغلطه انه يستبعد ان يقال هذا الكلام قد نظمت معانيه فالعرف كانه لم يجر بذلك الا ايهم وان كانوا قد استعملوا النظم في المعاني فقد استعملوا ابنيتها واسمائها وصيغها وتصاريفها وكما قولهم انه رتب المعاني في نفسه وبناها وبنى بعضها على بعض كما يقولون رتبت الفروع على الاصول ويتبع المعنى المعنى وتحتى النظير النظير واذا كنت تعلم انهم قد استعاروا النسج والوشي والنقش والصناعة لنفس ما استعاروا له النظم وكان لا شك في ان ذلك كله تشبيه وتمثيل ترجع الى امور واوصاف تتعلق

بالمعاني دون الالفاظ فزعمك ان تعلم ان سبيل النظم ذلك السبيل واعلم
ان مرجع ذلك ان تعتمد هذا الفصل جيدا وتجعل تلك التي ذكرتها فيه على ذكر
منك ابدا فانها عمد واصول في هذا الباب اذا انت مكنتها في نفسك وجدت
الشبه بتراخ عنك والشكوك تنتفي عن دلنك ولاسيما ما ذكرت لانه لا يتصور
ان تعرف اللفظ موضعا من غير ان تعرف معناه ولا ان تتوخى في الالفاظ من حيث
هي الفاظ ترتيبا ونظما وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فاذا انت
كذلك ابتغيتها الالفاظ وقفوت بها اثارها وانك اذا افرغت من ترتيب المعاني
في نفسك لم تحتج الى ان تستانف فكرا في ترتيب الالفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم
انها خدم للمعاني وتابعة لها ولاجفية لها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع
الالفاظ الدالة عليها في النطق

فصل

واعلم انك اذا رجعت لا تشك
علمت على لا يعترضه الشك ان لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض
ويبنى بعضها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذاك هذا ما لا يجهله عاقل ولا
يخفى على احد من الناس واذا كان كذلك فسبيلك ان تنظر الى التعليق فيما والبنا
وتجعل الواحد منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله واذا نظرت
في ذلك علمنا ان لا محصول لهذا غير ان تعمد الى الاسم فتجعله فاعلا للفعل او مفعولا
او تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبرا عن الآخر او تتبع الاسم اسما على ان يكون التابع
صفة للاول او تاكيدا له او بدلا منه او عطف بيان او تجيء باسم بعد تمام كلامك
على ان يكون حالا او تمييزا او تتوخى في كلام هو اثبات معنى ان يصير نفيا او استفهاما
او تمنيا فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك او تزيد في فعلين ان تجعل احدهما
شرطا في الآخر فهذه جملة ما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى او بعد اسم من الاسماء
التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس واذا كان لا يكون في الكلم نظم
ولا ترتيب الا بان يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا يرجع منه
الى اللفظ شيء ومما لا يتصور ان يكون فيه ومن صفته بان بذلك ان الامر على ما
قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم وان الكلم بترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها
في النفس وانها لو خلت من معانيها حتى تجرد اسواء واصداء حروف لما وقع في ضمير
ولا تحدث في خاطر ان يجب فيها ترتيب ونظم وان تجعل لها امكنة وسنازل وان تجب
المنطق عنه قبل النطق سلك والله الموفق للصواب

فصل

فصل وهذه نكتة اخرى شريفة

حتى ان سعاق لها ستعلق ممن يعدم على القول من غير روية وهو ان يدعي ان لا
يدعي معنى الفصاحة سوى الملاءم اللفظي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يثقل في
النطق حروف تثقل على اللسان كالذي انشده الجاحظ من قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وقول ابن بشير

لا ادخل الاثال بعدك ... اني بعدها بالاثال جد بخيل

كرها موقف بباب صديق ... رجعت من ندى بالعطيل

لم يضرها الجود شيء ... وايس نحو عرف سبيل هود

قال الجاحظ فمقتضى النصف الثاني من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه
يتبع بعضا ويعضد وزعم ان الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المغرط فيه
كالذي مضى ومنه ما هو اخف منه كقول الشاعر

كريم متى امدحه امدحه والورى ... معي واذا ما لمته لمته وحدي

ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان الا انه لا يبلغ ان يغلب صاحبه ويظهر
اسره في ذلك ويحفظ عليه وزعم ان الكلام اذا سلم من ذلك وصفا من شوبه كان
الفصيح الشاعر والناثر اليه فان الصفا ايضا يكون على مراتب يعلو بعضها بعضا
وان له غاية اذا انتهى اليها كان الاعجاز والذي يبطل هذه الشبهة ان ذهب الرماني
ذاهب انا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد فقط
لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن ان تكون نظيرة لها واذا فعلنا
ذلك لم يخل من احد امرين اما ان نجعله العمدة في المفاضلة بين العبارتين ولا يعتبر
على غيره واما ان نجعله احد ما نفاضل به ووجها من الوجوه التي بمعنى تقدم
كلام على كلام فان اخذنا بالاول لزمنا ان نقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون للاعجاز
الا به وفيه وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة لانه يودي الى ان لا يكون للمعاني التي
ذكرناها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة وصواب الاشارة وصحيح الاستعارة
وحسن الترتيب والنظام والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل والايجاز مقدار
التفصيل ووضع الفصل والوصل موضعهما وتوفيه الحذف والتاكيد والتقديم
والتاخير حقوقها مدخل فيما اداه كان القرآن معجزا حتى يدعي انه لم يكن معجزا من حيث

موبليغ ولا من حيث هو قول فصل وكلام شريف النظم بديع التاليف وذلك
لانه لا تعلق لمعنى من هذه المعاني بتلاوم الحروف وان احدنا لا يتمالى وهو ان يكون
تلاوم الحروف وجملتها من وجوه الفضيلة وداخلا في عدد ما تفاضل به بين كلام
وكلام على الجملة لم يكن لهذا الكلام ضرر عليه لانه ليس باكثر من ان فقد في الفضائل
فقد جهة من جهز البلاغة والبيان وان يكون نظيره لهما وفي عداده ما هو شبيههما
من البراعة والجزالة واشباه ذلك مما ينبغي عن شرف النظم وعن المزايا التي درجت
تلك امرها واعلتك جنسها او جملها اسما مشتركا يقع تارة على ما يقع له تلك واخرى
لما نرجع الى سلاسة اللفظ مما يسهل على اللسان وليس واحد من الامرين يتنادح
فيما نحن بصدده وان تعسف متعسف في تلاوم الحروف فبلغ به ان يكون الاصل
في الاعجاز واخرج سائر ما ذكروه في اقسام البلاغة من ان يكون له مدخل او تاثير
فيما له كان الامر ان معجزا كان الوجه ان يقال له انه يلزمك على اساس قولك ان يجوز
ان يكون ههنا نظم للالفاظ وترتيب لا على نسق المعاني ولا على وجه يقتضيه
العاقل ثم يكون مع ذلك معجزا حتى يكون اللفظ مع ذلك والاوذاك انه انما يصعب
مراعاة التعادل بين الحروف اذا احتيج مع ذلك الى مراعاة المعاني كما انه انما يصعب
مراعاة السجع والوزن ويصعب كذلك التجنيس والترصيع اذا روعي مع هذه المعنى
له فانت الان ان عقلت ما نقول فقد خرجت من مسالتك وتركت ان تسمي اللفظ
المزيج من حيث هو لفظ وحيث تطلب لصعوبة النظم فيما بين المعاني طريقا وسبيلا
له علة غيرها تعرفه الناس وتدعي ان ترتيب المعاني سهل وان تفاضل الناس
في ذلك الى حد وان الفضيلة تزداد وتقوى اذا توخي في حروف الالفاظ التعادل
والتلاوم وهذا منك وهم وذلك انا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى ان تسلم مرجحة
ما تجده في بيت ابي تمام ع

كرم متى امدحه امدحه والورى

وبيت ابن وكيع ع

وانشت نحو عرق عني ذهولا

وليس اللفظ السليم من ذلك بمحمود ولا بامر الوجود وكما ان لا يستطيعه الا
الشاعر العاقل والخطيب البليغ فيستقيم قياسه على النحو والتجنيس ونحو ذلك
مما اذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح المعاني وباده به الاعراض فقولنا اطال الله
بقاءك وادام عزك وتم نعمته عليك وزاد في احسانه عندك لفظ سليم مما كدة
اللسان وليس في حروفه استكراه وهكذا حال كلام الناس في كتبهم ومحاورة بعضهم

لا يكاد تجد فيه هذا الاستكراه لانه انما هو شيء يعرض بعرض لبعض الشعراء اذا تكلف
وتعمل فاما المرسل نفسه على سجيته فلا يعرض له ذلك هذا والمعلل بمثل ما ذكر
من انه انما يكون تلاوم الحروف معجزا بعد ان يكون اللفظ دالا على مراعاة المعاني
انما يصعب اذا صح مع ذلك ان مراعاة المعاني اذا تاملت يذهب الى شيء لطيف
وهو ان يصعب مرام اللفظ بسبب مرام المعنى وذلك محال لان الامر يعرفه
العقلا عكس ذلك وهو ان يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ فصعوبة ما يجب
من التحري في موضوعه عرضت في المعاني من اجل الالفاظ وذلك انه يصعب عليك
ان توفق بين معاني تلك الالفاظ المنتخبة وبين معاني الفصول التي جعلت اوعية
لها فلم تستطع ذلك الا بعد ان عدلت عن اسلوب الى اسلوب او دخلت في ضرب
من المجاز واخذت في نوع من الاتساع وبعد ان تلطفت على الجملة ضربا من اللطف
وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى وانت ان اردت المعنى لاطلبت
اللفظ محالة وانما تطلب المعنى واذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك واذا تركته فانما
يتصور ان يصعب مرام اللفظ مراحل للمعنى ان لو كنت اذا طلبت فصلته احتجت
الى ان تطلب على حدة وذاك محال هذا واذا توهم متوهم انا نحتاج الى ان نطلب
اللفظ وان من شان الطلب ان يكون هناك فان الدليل يتوهم انه نحتاج الى طلبه
هو ترتيب الالفاظ في المنطق لامحالة واذا كان كذلك فينبغي لنا ان نرجع الى انفسنا
ونتفكر هل يتصور ان ترتيب معاني اسما وافعال وحروف في النفس ثم تحصى في نفسنا
مواقعها في النطق حتى يحتاج في ذلك الى مكرر ورويه وذلك ما لا يشك فيه عاقل
اذا هو رجع الى نفسه واذا بطل ان يكون ترتيب اللفظ مطلوبا بحال ولم يكن المطلوب
ابدا الا ترتيب المعاني وكان معول هذا المخالف على انه لك فقد اضمحل كلامه وبان انه
ليس لمن حام في حديث المزية والاعجاز حول اللفظ ورام ان يجعله السبب في هذه
الفضيلة الا التسكع في الحيرة والخروج عن قاصد سمت القول الى مثله والله الموفق
للصواب ع فان قيل اذا كان اللفظ معزل عن المزية التي ساروا فيها
وكانت مقصورة على المعنى فكيف كانت الفصاحة من صفات اللفظ وكيف استجاز
ان توصف بها المعنى فيقال معنى فصيح وكلام فصيح للمعنى قيل انما اعتبرت الفصاحة
باللفظ وكانت من صفته من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان
عليه دل على المزية التي نحن في حديثها واذا كانت لكون اللفظ دالا استحال ان توصف

بها المعنى كما يستحيل ان يوصف المعنى بانه والد مثلا فاعرفه فان قيل فاذا عما
القدماء الى ان قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا معنى لطيف ولفظ شريف
وحموا شان اللفظ وعظموه حتى بعضهم فى ذلك من بعدهم وحتى قال قوم ان
المعانى لا تتفاوت وانما تتزايد الالفاظ فاطلقوا كاترى كلاما يوهم كل من سمعه ان
المزية فى حاق اللفظ قيل له انما كانت المعانى اما تتبين بالالفاظ وكان لا سبيل
للترتيب والجامع حملها الى ان يعلمك ما سنح فى ترتيبها بفكرك الا بترتيب الالفاظ
فى نطقك تجوزوا فكنوا عن ترتيب المعانى بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ يحذف
الترتيب ثم استعاوا ذلك من الوصف والنعت ما ابان الغرض وكشف عن المراد
كقولهم لفظ متمكن يريدون انه موافقة معناه لمعنى ما يليه كالشئ الحاصل فى
مكان صالح يطمئن فيه ولفظ قلق ناب يريدون انه من اجل ان معناه غير موافق
لما يليه كالحاصل فى مكان لا يصلح له فهو لا يستطيع الطمانينة فيه الى سائر ما يجئ
فى صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له من معناه وانهم حملوه اياه بسبب ضمونه
ومؤداه هذا وسن تعلق بهذا او شبهه واعترضه الشك فيه بعد ما الذى فهو
رجل قد ابى بالتقليد فهو يريد عوا الشبهة الى نفسه من ههنا ومن ههنا ومن كان هذا
سبيله فليس له دواء سوى السكوت عنه وتركه وما يختار لنفسه من سوء التدبير
وقلة التدبر ع فقد فرغنا الان من الكلام على جنس المزية وانها من حيز المعانى
دون الالفاظ وانها ليست اك حيث سمع باذنك بل حيث ينظر بعلمك وتستعين
بفكرك وتعمل رويتك وتراجع عقلك وتستعد فى الجملة فهمك وبلغ القول
فى ذلك اقصاه وانتهى الى مداه وينبغى ان ناخذ الان فى تفصيل امر المزية وبيان
الجهات التى منها تعرض وانه لمرام صعب ومطلب عسر ولولا انه على ذلك لما
وجدت الناس بين منكر له من اصله ومتحيل له على غير وجهه ومعتقد انه باب
لا تنوى عليه العبارة ولا يملك فيه الا الاشارة وان طريق التعليم اليه مسدود وما
التفهيم دونه معلق وان معانيك فيه معان تاتى ان تهز رمن الشعر وان يديت
للتعيين والتصوير وان ترى سافرة لا تقاب عليها وبادية لا تحجب دونها وان ليس
الواصف لها الا ان يلوح ويشير او يضرب مثلا يبنى عن حسن قد عرفه على الجملة
وفضيلة قد احسها من غير ان يتبع ذلك بيانا ويتم عليه برهانا وبذكره له
او نورد فيه حجة وانا انزل ذلك القول فى ذلك واد رجه شيأ شيأ واستعين الله

تعالى عليه واساله التوفيق والعصمة ع

فصل ٤ اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره

اعلم ان لهذا الضرب اتساعا ونشئا لا الى غاية الا انه على اتساعه يدور فى
الامر الاعم على شيئين الكناية والمجاز والمراد بالكناية ههنا ان يريد المتكلم اثبات
معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجئ الى معنى هو تاليه
وردفه فى الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو
طويل النجاد يريدون طويل القامة وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى وفى المراة
تؤوم الضحى والمراد انها مترفة مخدومة لها من يكفيها امرها فقد اراد فى هذا
كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى اخر
من شانه ان يردفه فى الوجود وان يكون اذا كان اذا كان الطائر ان القامة اذا طالت
طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر واذا كانت المراة مترفة طامس يكفيها
امرها ردف ذلك ان تنام الى الضحى واما المجاز فقد عول الناس فى حده على ان
النقل فان كل كلام نقل عن موضعه فهو مجاز والكلام فى ذلك يطول وقد ذكرت
ما هو الصحيح فى ذلك فى موضع اخر فانا اقتصرها ههنا على ذكرها هو اشهر منه والظهر
والاسم والشهر فيه تشبيهين الاستعارة والتمثيل واما يكون التمثيل مجازا اذا جاء
على حد الاستعارة والاستعارة ان يريد تشبيه الشئ بالشئ فيدع ان يعبر عن المشبه
ويظهر ويجئ للاسم المشبه به فيعيره المشبه ويجريه عليه بيدان يقول رايت
رجلا هو كالاسد فى تحاميه وقوة بطشه سواء فيدع ذلك ويقول رايت اسدا وهو
اخرس الاستعارة وهو ما كان نحو قوله ع ، اذا اصبحت بيد الشمال زمامها ،
هذا الضرب وان كان الناس يضمونه الى الاول حيث يذكرون الاستعارة فيسوا
سواء ذاك انك فى الاول جعلت الشئ الشئ ليس به وفى الثانى جعلت الشئ الشئ ليس به
هذا انك اذا قلت رايت اسدا فقد ادعيت فى انسان انه اسد وجعلته اياه ولا يكون
الانسان اسدا واذا قلت ع ، اذا اصبحت بيد الشمال زمامها ، فقد ادعيت
ان للشمال يدا ومعلوم انه لا يكون للريح يد وهاهنا اصل يجب ضبطه وهو ان جعل
المشبه به على ضربين احدهما ان يبزله منزله الشئ يذكر بامر يثبت له
فانك لا تحتاج الى ان تجعل له انسانه وترجيه وذلك حيث يسقط ذكر المشبه من
البين ولا تذكر بوجه من الوجوه كقولك رايت اسدا او انك ان جعلت ذلك كالامر

الذي انت تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتوجيهه وذلك حيث يجري اسم المشبه
به جريا على المشبه فتقول زيد اسد او زيد هو الاسد او يحمى به على وجه يرجع
الى هذا كقولك ان لقيته لقيت به اسدا او ان لقيته ليفترسنك منه الاسد فانت
في هذا كله تعمل في اثبات كونه اسدا والاسد ويضع كلامك له واما في الاول
فتخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والقياس يقتضي ان يقال
في هذا الضرب اعني ما انت تعمل في اثباته وتوجيهه انه تشبيه على حد المبالغة
وتقتصر على هذا القدر ولا يسمى استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازا لتحريك
به على حد الاستعارة فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في تردد فكن يقدم رجلا
ويؤخر اخرى ثم اختصر الكلام كما كان الاصل في قولك رايتا سدا وابت رجلا
كالاسد ثم جعل كانه الاسد على الحقيقة وكذلك تقول للرجل يجعل في غير معمل
اراك تضع في غير فهم وتحط على ما تفعله في ظاهر الامر كانه يضع ويحط والمعنى على
انك في فعلك كمن يفعل ذلك وتقول للرجل يحمل الحيلة حتى يحيل صاحبه الى
الشيء فكان يأباه ويمتنع منه ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما
اراد فجعله بظاهر اللفظ كانه كان منه قيل في ذروة وغارب والمعنى على انه
لم يزل يرفق بصاحبه ويفاتشه حاله فيه حال الرجل يحتال البعير الصعب فيحكه
ويمتل الشعر في ذروة وغاربه حتى يسكن ويستأنس وهو في المعنى نظير قولهم
فلان يقرد فلانا يعني انه يتلطف له فعل الرجل يتوخى القراد من البعير ليلقاه ذلك
فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه وهكذا كل كلام رأيتهم قد تخوا فيه
نحو التمثيل لم يفصحوا بذلك واخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلا ع

والغرض اقوى من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا وان المجاز ابدا ابلغ
من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلوما على الجملة فانه لا يطمئن نفس العاقل في كل
ما يطلب العلم به حتى يعلم علته وحتى يعلم الفكر الى درواياه وحتى يأتي على
موضع شبهه وسكان ماله محض وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاد وهو
جم الرماد كان ابهى لحسبك واتيل من ان تدع الكناية وتصرح بالذي تريد وكنا اذا
قلت رايت اسدا كان ذلك مزيد لأن يكون اذا قلت رايت رجلا هو والاسد سواء

في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك واذا قلت للغير انك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه الذي هو قولك للغير انك تردد
في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى وتطمع على
ذلك حتى لا تطالبنا شكه فيه فانما يمكن انفسنا تمام السكون اذا عرفنا السبب في
ذلك والعلة ولم يكن كذلك وخيالا ماله عبارة تفهم عما من يريد ابرامه وهذا
هو قولنا في ذلك اعلم ان سبيلك اولا ان تعلم ان ليست المزية التي بينها لهذه
الاجناس على الكلام المنزول على ظاهره والمبالغة التي يدعى لها في النفس العاقل
التي يقصد المتكلم ايرادها بخبره ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تفسير ذلك ان
ليس المعنى اذا قلنا ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت في
ذاته بل المعنى انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ واكد واشد فليست المزية في قولهم جم
الرماد انه دل على فرى اكبر بل انك اعطيت له الفرى الكبير من وجه هو ابلغ واوجب
احيانا هو اشد واد عنه دعوى انت بها انطق وبصحتها اوثق وكذلك ليست المزية
التي تراها لقولك رأيت اسدا على قولك رأيت رجلا لا يتميز عن الاسد بل ان افادت
وجزانه انك قد افادت بالاول زيادة في مساواته الاسد بل ان افادت تأكيدا وشبها
وقوة في اثباتك له هذه المساواة وفي تقريرك لها فليس تأثير الاستعارة اذا في ذات
المعنى وحقيقته بل في ايجابه والحكم به وهكذا قياس التمثيل ترى المزية ابدا وذلك
نفع في طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون ان من شأن
هذه الاجناس ان تكسب المعاني نبلا وفضلا وتوجب لها شرفا وان تفخم في نفوس
السامعين وترفع اقدارها عند المخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعة والكرم
واشباه ذلك من معاني الكلم المفردة وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له
ويخبر بها عنه هذا ما ينبغي للعاقل ان يجعله على ذكر منه ابدا وان لم يعلم انا
لسنا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل والهي سبيل
وانما يعهد للاحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب واذ قد عرفت مكان هذه المزية
والمبالغة التي لا تزال تسمع بها وانا في الاثبات دون النفي فان لها في كل واحد من
هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية فان السبب في ان كان للاثبات بها مزية
لا يكون للتصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها
واخبارها بما هو شاهد في وجودها اكد وابلغ في الدعوى من ان يجيء لها فينفيها هكذا

الذي اتت تحتاج الى ان تحمل في اثباته وترجيحه وذلك حيث تجري اسم المشبه
به جريا على المشبه فتقول زيد اسد او زيد يتهوا الاسد او تحمي به على وجه يرجع
الى هذا كقوله ان لقيته لقيت به اسدا او ان لقيته ليلقينك منه الاسد فان
في هذا كله تحملا في اثبات كونه اسدا والاسد ويضع كلامك له وامانى الاول
فتخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والغرض يقتضي ان يقال
في هذا الضرب اعني ما انت تحمل في اثباته وترجيحه انه تشبيه على حد المبالغة
وتقتصر على هذا القدر ولا تسمي استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازا لحكمك
به على حد الاستعارة فمثاله قولك لرجل يتردد في امر بين فعله وتركه
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في تردد كمن يقدم رجلا
ويؤخر اخرى ثم اختصر الكلام كما كان الاصل في قولك رايتك اسدا رايت رجلا
كالاسد ثم جعل كانه الاسد على الحقيقة وكذلك تقول للرجل يعمل في غير طائل
اراك تضع في غير موضع وتخط على الماء فجعله في ظاهر الامر كانه يضع ويخط والمعنى على
انك في حالك كمن يفعل ذلك وتقول للرجل يعمل الحيلة حتى يحتال صاحبه الى
الشيء فكان اباه وتمنع منه ما زال يتسلل ويدور ويقارب حتى بلغ منه ما
اراد يجعله بظاهر اللفظ كانه كان منه قبل في دروغ وغارب والمعنى على انه
لم يزل يرفق بصاحبه ويقاربه حاله فيه حال الرجل يحمل الى البعير الصعب يحكه
ويسهل الشعور في دروه وغاربه حتى يسكن وتسانس به وعلى المعنى نظر قولهم
فلان يعرد ولا تابعني انه يتلطف له فعل الرجل يتوقع الفرار من البعير لبلده ذلك
فيسكن ويثبت في مكانه حتى يمكن من اخذه وهكذا كل كلام رايتهم وقد حوا فيه
نحو التمثيل لم يخصصوا بذلك واخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يوجد وامثلة ع

[illegible]

والغرض اقوى من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا وان المجاز ابدا ابلغ
من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلوما على الجملة فانه لا يطرد في نفس العاقل في كل
ما يطلب العلم به حتى يقلع فيه غايته وحتى يحاصل الفكر الى رواياه وحتى يستقصي عليه
موضع شبهه ومكان داله فمن ان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاده هو
جم الرماد كان ابلغ عندك واصل من ان تدع الكناية وتصرح بالذي تريد وكنا اذا
قلت رايت اسدا كان ذلك عندك مزية لا تكون اذا قلت رايت رجلا مثلهم والاسد سواء

في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك واذا قلت بلغني انك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه الذي هو انك بلغني انك تردد
في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى وتقطع على
ذلك حتى لا تعلم ما انت فيه فاما ان يكون انفسا تمام السكون اذا عرفنا السبب في
ذلك والعلة ولم كان كذلك وهيهنا ما له عبارة تعرض عنها من يريد ابهامه وهذا
هو قولنا في ذلك اعلم ان سبيلك اولا ان تعلم ان ليست المزية التي بينها الحد
المتجاسر على الكلام المنزول على ظاهره والمبالغة التي يدعى لها في النفس المعاني
التي يضمنه المتكلم انها تخرج ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تصريح كذا ان
نفس المعنى اذا قلنا ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت في
اثباته بل المعنى انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ واكد واشد فليست المزية في قولهم
ان زيدا كانه اسد على قولي الدليل انك اعنيت له القوي الكثير من وجه هو ابلغ والاصل
انما هو اسد واد عينه ادعوى انت بها النطق وبعضها او تن وكذلك ليست المزية
التي تراها لقولك رايت اسدا على قولك رايت رجلا لا تميز عن الاسد بل اجتماعه
وجرانه انك قد افدت بالاول زيادة في مساواته الاسد بل ان افدت تاكيدا وشبها
وتوة في تاكده هذه المساواة وفي تقريرك لها فليس بانبوا الاستعارة اذا في ذات
المعنى وحقيقته بل في الحاقه والحكم به وهكذا قياس التمثيل حتى المزية اذا في ذلك
نفع في طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون ان من سبات
هذه الاجناس ان يكسب المعاني نبلا وفضلا ويوجب لها شرفا وان تحمرها في قلوب
السامعين وترفع اقدارها عند الخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعة والتهور
واشباه ذلك من معاني الكلم المفردة وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن ثبتت له
ويجرها عنه فصل اما حتى العاقل ان يجعله عادة كرسه ابدا وان لم يعلم ان ليس
لنا فيما نحن بكلفانه الفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل وما هي سبيل
وانما يعود للاحكام التي تحدث بالتاليف والتركيب واذ قد عرفت مكان هذه المزية
والمبالغة التي لا تراك تسمع بها وانها في الاثبات دون النفي فان لها في كل واحد من
هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية فان السبب في ان كان للاثبات بها مزية
لا يكون للتصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها
واتجابها ما هو شاهد في وجودها اكد واوجب في الدعوى من ان يحمى لها نفسها عكذا ا

سامحها عقلا وذلك لانك لا تدعي شاهد الصفة وهو بها الا والامر ظاهر معروف
وحسن لا يشكل فيه ولا يظن به لقصر التجوز والغلط واما الاستعارة فلسبب ما ترى
فيها من المزية والفخامة لانك اذا اطلقت رأيت اسدا اكنت قد تلطفت لما اردت
اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر
الذي نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان يكون
له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل او الممتنع ان يعرى عنها واذا صرحت بالشبه
فعلمت رأيت رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثباتا الذي يترجح بين ان يكون وبين ان
لا يكون ولم يكن في حديث الوجوب في شيء وحكم التمثيل حكم الاستعارة سواء فانك
اذا قلت اراك تتقدم رجلا وتؤخر اخرى فاوجبت له الصورة التي يقطع معها
بالتحير والتردد كان ابلغ لامحاله من ان تجري على الظاهر وتقول قد جعلت تتردد
في امرك فانت ترى ان يقوك اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى ع

فصل اعلم ان من شان هذه الاجناس ان تجري منها الفضيلة
وان تعاوت التفاوت الشديد الا ترى انك تجد في الاستعارة العامي المبتذل
كقولنا رأيت اسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والخاصي النادر الذي لا تجده
الا في كلام الفحول ولا يتفوق عليه الا افراد الرجال كقوله ع

«اخذنا باطراف الاحاديث بيننا» وسالت باعناق المطي الاباطح

اراد انها سارت سيرا حثيثا في غاية الرشاقة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها
كانت سيولا دفعت في بلك الاباطح فجرت بها وتامل هذه الاستعارة في الحسن واللطف
وعلو الطبقة في هذه النقطة بعينها قوله الاخر ع

«سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصارها بوجوه كالدنانير»

اراد انه بطاح في الحي وانهم سيرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لحرب او نازلة
تخطب الانوف فكثر واعليه وارد حموا حوله حتى تحدسهم كالسيول تجيء من ههنا
وههنا وينصب من هذا السيل وذاك حتى يعض بها الوادي ويطفح سنها وسن
بديع الاستعارة وناد رقها الا ان جمهرة العرابة فيه عزجمتها في هذا قول يزيد
بن مسلمة من عبد الذكي يصف فرسه وانه سوف وانه اذا اورد عنه والقى عنانه
في قربوس سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه بع

«عودته فيما ازور رحالها بي» اعماله وكذاك كل محاظه

«واذا احتبى قربوسه بعنانه» علك الشكيم الى انصراف الزائر

والعرابة ههنا في الشبه نفسه وفي ان استدرك ان هذه العنان في موقعه من وثوب
الرجل كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي ولبست العرابة في قوله وسالت
باعناق المطي الاباطح على هذه الجملة وذلك انه لم يعرب لان جعل المطي في سرعة سيرها
وسهولته كانها تجري في الاباطح وان هذا الشبه معروف ظاهر ولكن الرقة واللطف
في خصوصية افادها بان جعل سالت فعلا للاباطح ثم عداه بالباء بان ادخل الاعناق
في البين فقال باعناق المطي ولم يقل المطي ولو قال سالت المطي في الاباطح لم يكن شيء
وكذلك العرابة في البيت الاخر ليست في مطلق معنى سال ولكن في تعديته فعلا الى ما
وبان جعله فعلا لقوله شعاب الحي ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن وهذا
موضع يدق الكلام فيه وهذه اشياء من هذا الفن ع

«اليوم يومان مذ غيبت عن بصري» تعني فداوك ما ذنبي فاعتذر

«اسيء واصبح لا الفاك واجزع» القد اتاني في بكر هي الغدر

سوار بن المضرب وهو لطيف جدا ع

«يعوض تنوفة الريح فيها» نسيم لا يروع الترب وان

بعض الاعراب ع

«ولرب خصم جاهدين ذوي شذى» تغدي بهونهم بعثرها بتر

«لية ظالم على باسم» وخسات باطلهم بحق ظاهر

المقصود لفظ خسات ع ابن المعتز

«حتى اذا ما عرف الصيد الضار» وادن الصبح لنا في الابصار

المعنى حتى اذا ما تهيأ لنا ان نبصر شيا لما كان تقدر الابصار معه امس الليل
جعل امكانه عند ظهور الصبح اذ ناس الصبح ع وله

«بخيل قد بليت به» بكد الوعد بالنجح وله

«يا جبنى الاحلاف من بحت مطله» فحصم الامال والباس في صدري

ومما هو في غاية الحسن وهو سر الفن الاول قول الشاعر انشده الجاحظ

«لقد كنت في قوم عليك اشحة» بنفسك الا ان ما طاح طائح

«تود وان لو خاطوا عليك جلودهم» ولا بد دفع الموت النفوس الشحائح

قال والبه ذهب بشار في قوله ع

«وصاحب كما قد مثل المرد» حمله في رقعة سرجلدي»

ومن سر هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في مواضع لم ترى لها في بعض ذلك ملاءمة لاحد لها فاني مثال ذلك انك تنظر الى لفظة الجمر في قول ابي تمام «لا تطلع المرء ان تحتاب لحته» بالعول ما لم يكن جمرا له العمل» وقوله

«نصرت بالراحة الكبرى فلم ترها» تنال الا على جسر من التعب»

ترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة المرقي ع

«فقلت نعم وان ثلمت واجبه» بالك عمي وعمي جسر الي نعم»

ترى لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل ومما يوصل الى عرف الاستعارة ان ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى ان يحتى الشكل بالشكل وان يتم المعنى والشبه فيما يريد مثاله قول امرئ القيس ع

«فقلت لها لما تحملي بصلبه» واردف اعجازا وقا بكل كل»

لما جعل الليل صلبا قد تعلق به شيء ذلك فجعل له اعجازا فاردف بها الصلب وشبه فجعل له كلكلا فاناب واستوفى لجملة اركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه واذا نظر الى ما خلفه واذا رفع البصر وحده في عرض الجو واعلم انهم ربما اساروا دقائق لا يمكن بيانها الا بعد ان تقدم جملة من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه واي شيء هو وما محصوله ومحصول الفضيلة فيه ينبغي لنا ان ناخذ في ذكر وبيان امره وامر المزية التي تدعوله من اين تاتيه وكيف يعرض فيه وما اسباب ذلك وعلله وما الموجب له وقد علمت اطباق العلماء على تعظيم شان النظم وتفخيم قدره والتنويه بذكره واجتماعهم ان لا فضل مع عدمه ولا دور للكلام اذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ وسهم لكل بانه الذي لا مرام دونه ولا قوام الا به وانه القطب الذي عليه الدوار والعمود الذي به الاستقلال وما كان هذا المحل من الشرف وفي هذه المنزلة من الفضل وموضوعا هذا الوضع من المزية وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة كان حريا بان يوقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الافكار وتستخدم فيه الخواطر وكان العاقل جديرا ان لا يرضى من نفسه بان يجد فيه سبيلا الى مزية عليه وفضل استبانه وتخليص حجة وتحرير دليل ثم يعرض عن ذلك صفحا ويطوي دونه كشحا وان يربا بنفسه وتدخل عليه الانفة من ان يكون في سبيل المقلد

الذي لا يجد حكاية لا تقبل الى عملها ولا يحد ما يروى من الشبهة ويستقي في قبول الشاذ وهو يستطيع ان يرفع عن هذه المنزلة ويبان من هو احد الصنوف فان ذلك دليل ضعف الراي وقصر الهمة ممن يختار ويجعل عليه ع اعلم ان دليل النظم الآن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو منطلق وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك ان تخرج اخرج وان خرجت خرجت وان تخرج فانا خارج وانا ان خرجت وانا ان خرجت خارج ع وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع او وهو يسرع وجاءني قد اسرع وجاءني وقد اسرع فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فينظر كالذي من ذلك في جاءني بمعناه ومجيء من معاني الحال وبلا اذا اراد نفي الاستقبال وان فيما يرجح بين ان يكون وان لا يكون وباذا فيما علم انه كائن وينظر في الجمل التي تسردها فيعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع او من موضع ام وموضع لكن من موضع بل ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتاخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتصيب بكل من ذلك مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له هذا اذا توالت جملتان واحد شيئا يرجع سواء ان كان سوادا وخلفا وان كان خطا الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم ايضا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه ووضع في حقه او عومل معاملة ما هذه المعاملة فازيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له ولا ريب ان الذي كالشاذ وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية وفضل فيه الا وانت تجد مرجع ذلك الصحة او ذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو واحكامه ووجدته يدخل في اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه هذه جملة لا يزيد او ريبها نظرا الا ازدد ت

لها صورا وازدادت عندك صحة وازددت بها علمه وليس من احد يحركه لان يقول في امر النظم شيا الا وجدته قد اعترف لك بها او ببعضها ووافق فيها ورى لك اولم يدر ويكفيك انهم قد كشفوا عن وجه ماارته اياه حيث ذكروا فساد النظم ملبس من اخذ مخالف في قول الفرزدق ع

«ومامثله في الناس الا ملكا ، ابوامه حي ابوه يقاربه ، وقول الشيبي

«وكذا اسم اعطيه العيون جفونها ، من انها عمل السيوف عوامل ، وقوله

«الطيب انت اذا اصابك طيبه ، والماء انت اذا اغتسلت الغاسل ، وقوله

«وفاوكا ثريع احياء طاسمه ، بان يسعد او الدمع اشفاه ساجمه ، وقول ابي تمام

«نابيه في كبد السماء ولم يكن ، كاشي ثان اذ هما في الغار ، وقوله

«بدي لمن شاء من لم يذق جزعا ، من راحتيك ورى ما الصاب والعسل ،

والى نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة توالي التاليف ان الفساد والخلل كانا من ان يتعاطى انسان عرفانا طاه من هذا الشان على غير الصواب وضع في غير موضعه وقدم واخر وحذف واضمر او غيره ذلك مما ليس له ان يصنعه وبالا يسوغ ولا يصح على اصول هذا العلم واذا ثبت ان سبب فساد النظم واختلاله ان لا يعمل معاني هذا الشان ثبت ان سبب صحته ان يعمل عليها ثم اذا ثبت ان سبب صحته وفساده من هذا العلم ثبت ان الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه واذا ثبت جميع ذلك ثبت ان ليس هو شيا غير توخي معاني هذا العلم واحكامه فيما بين الكلم والله الموفق للصواب ع واذ قد عرفت ذلك فاعمد الى ما تواصفوه بالحسن وشاهدوا له بالفضل ثم جعلوه كذلك من اجل النظم خصوصا دون غيره مما يستحسن له الشعر او غير الشعر من معنى لطيف او حكمة وادب او استعارة او تجنيس او غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتامله فاذا رايتك قد راجعت واهتززت واسرعت فانظر الى حركات الارجحية ثم كانت وعند ماذا ظهرت فانك ترى عيانا ان الذي دلت لك كما دلت احمد الى قول البحتري ع

«بلونا ضرائب من قد نرى ، فما ان راينا لفتح ضريبا ،

«هو المرابدت له الحادثات ، عزما وشيكا وراسا صليبا ،

«تفل في حدي سوده سماحا مرجا وباسا محببا ،

«فكالسيف ان حسنه صارما ، وكالبحر ان حبه ثعلبا ،

فاذا رايتها

فاذا رايتها قد راقتك وكثرت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك اعد فانظر في السبب واستقص في النظر فانك تعلم ضرورة ان ليس الا انه قدم واخر وعرف ونكر وحذف واضمر واعاد وكرر ونحى بكل الجملة وحيثما من الوجوه التي منها علم النحو فاصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه واتى ما تاتى وجب الفصل ابدا تري ان اول شي يروقك منها قوله ع وابرابدت له الحادثات ثم قوله متفل في خلقي سوده بتنكير السوده واضافة الخلقين ثم قوله فكالسيف وعطفه بالفا مع حذفه المبتدا الان المعنى لا يحتاله فهو كالسيف ثم تكريره الكاف في قوله وكالبحر ثم ان قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم ان خرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما اخرج من الاخر وذلك قوله صارما هناك وسيفا هيهنا لا ترى حسنا يشبه الى النظم ليس سببه ما ذكرت لك او ما هو في حكم ما عدوته لك فاعرف ذلك وان اردت اظهر امرا في هذا المعنى فانظر الى قول ابراهيم بن العباس

«فلو اذ بناه دهره وانكر صاحبه ، وسلط اعداه وعاب نصيره ،

«يكون عن الاهواء اي نحوه ، ولكن مقاد رجرت وامور ،

«واني لارجو بعد هذا محمدا ، لافضل ما يرجى اخ ود زميد ،

فانك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم بتعمد السبب في ذلك فتجده انما كان من اجل تعديه الفرض الذي هو اذ بنا على عامله الذي هو كون واقع فعل فلو يكون على الاهواء دارى نحوه او ساء هرم ان قال يكون ولم يقل كان ثم ان نكر الدهر ولم يقل فلو اذ بنا الدهر ثم ان ساق هذا النكره في جميع ما اتى به من بعد ثم ان قال وانكر صاحبه ولم يقل وانكرت صاحبا لامر يرجع في البيتين الاولين شيا غير الذي ذكرت لك فجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى وهكذا السبيل ابدا في كل حسن ومزية رايتها قد نسبا الى النظم وشرف احيل فيما عليه

فصل واذ قد عرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شانها ان تكون فيه فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها وغاية لا تجد لها ازديادا بعدها واعلم ان لست المزية بواجبة لها في الصور من حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض ع تنبه لهذا انه ليس اذا رايتك انكرت في سوده من قوله متفل في خلقي سوده وفي هو من قوله ولو ا

دهر فانه يجب ان يرد ذلك ابدا وفي كل حتى ولا اذا استحسنت لفظ سالم يسم فاعلا في قوله وانكر صاحب فانه ينبغي ان لا تراه في مكان الا اعطيته مثل استحسانك ههنا بل ليس من فعل ومزيه الا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش وكما انك ترى الرجل قد ابدع في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج الى ضرب من التخير والتدبير في بعض الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفيته مزجه لها وترتيبه اياها الى عالم يرتد اليه صاحبه فيما نقشه من اجل ذلك العجب وصوره من الغرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيه معاني النحو ووجوهه التي علمت انما هو حصول النظم واعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في لفظه والحسن كالاحتراس من الشيع بتلاحق وبضم بعضها الى بعض حتى تكمل في العين فانت لذلك لا تكبر شان صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستادية وسعة الدرج وشدة المنة حتى تستوفي القطعة وياتي على هذه ابيات وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما انشدك من ابيات البحتري ومنه ما انت ترى الجنس يجم عليك منه دفعة وياتيك منه ما يملا العين مزية حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحذق ويشهد له بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ان لم تعلم القايل انه من قبل شاعر فحل وانه خرج من تحت يد صناع وذلك ما اذا انشدته وضعت فيه اليد على حتى قلت هذا هذا وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر والنمط العالي الرفيع والذي لا تجده الا في ثمر النحول البزل ثم الطبوعين الذين لهمون القول الهاما ان لك تحتاج ان تستقري عدة قصايد بل انك تعثر له بيتا ما من الشعر حتى تجمع منه عدة ابيات وذلك مثل قول الاول وتمثل به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين اتاه كتاب خالد بالفتح في وقعة الاعاجم

تمنانا ان نلقاهم بقوم ... يحالون بياضا لا نهم العرابا

فقد لاقيتنا فرايتحربا ... عوانا تمنع الشيخ الشرابا

انظر الى موضع الفاء من قوله فقد لاقيتنا فرايت ومثل قول العباس بن الاحنف

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جيئا خراسانا

انظر الى موضع الفاء من قولها ومثل قول ابن الدمينة

انعى ابي نجي يد بكر حملتني ... فاوجع ام صبرتني في حالتك

ابيت كاني بين شفرين من عصا ... حذار الردي او حية سرباتك

تعاللت كي اشجى وما بك علة ... تريد بن قتلي قد ظفرت بذلك

انظر الى الفصل والاستيناف في قوله تريد بن قتلي قد ظفرت بذلك ومثل قول ابي حفص الشطرنجي وقاله على لسان علية احب الرشيد وكتب الرشيد بها على ظهر

لو كان يمنع حسن القول صاحبه ... من ان يكون له دنت الى احد

كانت عليه ابر الناس كلهم ... من ان تلاقي بسوا حر الاسد

ما العجب الشي يرجوه فتحرمه ... قد كنت احسب اني قد ملاتيدي

انظر الى قوله قد كنت احسب والى مكان هذا الاستيناف ومثل قول ابي واد

ولقد اعتدي بدافع ركني ... احوذية ومنعه اضريج

سلبت نزجب كان رماحا ... حملته وفي السراة دموج

انظر الى النكرة قوله كان رماحا ومثل قول محمد الزيدي ع

انيتك عابدا لك منك لما ... ضاقت الحيل

وصيري هواك ري لحيني ... تضرب المثل

فان سلمت لكم نفسي فما لاقيته جلل

وان قتل الهوى رجلا فاني ذلك الرجل

انظر الى الاشارة والتعريف في قوله فاني ذلك الرجل ومثل قول عبد الصمد ع

سكتيب ذو كبد حرا ... ء تبكي عليه سفاه عبرى

يرفع بمناه الى ربه ... يدعو وفوق الكبد الاخرى

انظر الى لفظة يدعو والى موقعها ومثل قول حرير

لمن الديار بربرقة الروحان ... اذ لا تبيع رماننا بزمان

صدع الغواني اذ رمين فؤاده ... صدع الزجاجة ما الذي يداويه

انظر الى قوله ما الذي يداويه وتامل حال هذا الاستيناف ليس من بسرعارف نحو هذا الكلام حساس يستفهم لشرهذا الشان يشتد او يعرا هذه الابيات الا ام يلبث ان يضع يده في كل بيت منها على الموضع الذي اشرت اليه تعجب وتعجب وتكبر شان المزية فيه والفضل ع

واعلم ان مما اصل في ان يدق النظر ويحمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت ان تجد احوج الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها باول وان تحتاج في الجملة الى ان تضعها

في النفس وسعا واحدا وان يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه هاهنا في حالٍ ما يضع يساره هناك ثم في حال ما يصير مكان ثالث ورابع يضع ما بعد الاولين وليس لما شانه ان يحتى على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فانه يحتى على وجوه شتى وانما تختلف لغرة ذلك ان يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقول العرجي

اذا ما بدا لي الشيء لم يك همتي ... اصاحبه الا الذي فيه ما فيا

اذا اخربت يوما فاضت دموعها ... بكت دار قرى فاضت دموعها

فهذا نوع ونوع منه اخر قول سليمان بن داود القضاعي هـ

بينا المرء في عليا اهوى ... ومنيط اليّ له اعتلا

وبينا نعمة اذ حال بؤس ... وبؤس اذ نعقبه سرورا

ونوع ثالث وهو ما كان كقول كثير هـ

واني ولعمري بعزة بعدما ... تخليت مما بيننا وتحلت

اكل مجن ظل للعامة كلما ... بدا صاحبا للقبل اصحلت

لعمرك انا والزمان كما جنت ... على الاضعف الموهون عاديه الاقوي

ومنه التقسيم وخصوصا اذا قسمت ثم جمعت كقول حسان

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع

ومن ذلك وهو شيء في غاية الحسن قول العائل

لوان ما انتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما انا فيه دائما ابدا

لكن رايت الليالي غير تاركة ... ما سر من حادث او ساء مطردا

فقد سكنت الى ان انكم ... ستسجدون خلاف الحادثين غدا

قوله ستسجدون خلاف الحادثين غدا خرج فيما هم لطيف وذو اراد لطفا يحسن ما بناه عليه وحسن ما توصل به اليه من قوله فقد سكنت الى انكم واذ عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما يجاء اخره حتى يوضع وضعا واحدا فاعلم انه النمط العالي والباب الاعظم والذي لا تزى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه وما ساء رمنه ولطف ما حله وقد قرنل واسعه وحلى اكثر عن شاو وتجرد وفنه العناق وغايته تعيا من قبلها الذكاء القرح الابيات المنهوكة في تشبيه شيء من بيت او بيتين بيت امرئ القيس هـ

كان ذكور

كان دلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وبيت الغرزدق هـ

والشيب ينهض في الشباب كانه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

وبيت بشار هـ

كان مثار النقع فوق رؤوسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومما لقي في هذا الباب صاف الحجب مما معنى كله قول زياد الاعجم هـ

وانا وما يلقى لساني لجوجتا ... لكالمعصرات ما يلق في الحي يعصف

وانما كان العجب لان عمله ادق وطريقته اغمض ووجه المشابكة فيه اغرب واعلم ان من الكلام ما انت تعلم اذا تدبرته ان لم يحتج واسعه الى مكر وروية حتى استظم له بل ترى سبيله في نظم بعضه الى بعض سبيل من يحدو لالية رطبا في سلك لا يبغي الكل من ان سنها التفرق لكن يعمد اشيا بعضها الى بعض لا يريد في تعمده ذلك ان يجيء له منه هيئة او صورة بل ليس الا ان يكون مجموعة في رأي العين وذلك اذا كان معناك معنى لا يحتاج ان يصنع فيه شيا عيان يعطف لفظا على لفظ مثله كقول الجاحظ حبنك الله التشهد وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا وحبب اليك التثبت وزين في عينك الانصاف واذا فاك حلاوة التقوى واشعرقلبك عز الحق واودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل الياس وعرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة هـ وكقول بعضهم ... درخطيب قام عندك يا امير المؤمنين ما افصح لسانه واحسن بيانه وامضى جنانه وابل ريقه واسهل طريقه هـ

ومثل قول النابغة في الشنا المجموع ايضا حوك الذكاء الخفي نواله لعفاك خير من دجنه والمحاك خير من يمينه ولاحصدك خير من راحته ولحطاؤك خير من سوابه ولعبك خير من كلامه ولخدمك خير من قومه هـ وكقول بعض البلغاء في وصف اللسان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبيك عن غايب وحاكم يفصل به الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح ومرشد يدعو الى الحسن وتاريخ يحرث المودة وجاسوس يحصيه الضغينة وملة يوثق الاجماع فما كان من هذا وشبهه لم يحب به فضل اذا وجب الا بمعناه او بمتون الفاظه دون لفظه وتاليفه وذلك لانه لا يحصل

حتى ترى في الامر مصنعا وحتى تجد الى التخير سبيلا وحتى تكون قد استدركت صوابا فان قلت افليس هو كلاما قد اطرد على الصواب وسلم من العيب اما يكون في ذكر الصواب فضيلة قيل اما والصواب كما ترى فلا لا بأس في ذكر عموم اللسان والتحرز من الخبن وزيغ الاعراب فتعد بمثل هذا الصواب واما نحن في امور ندرك بالفكر الفطرة ودقائق توصل الرماثاقب الفهم وليس ادراك صواب دركا فيما نحن فيه حتى نشرف موضعه ويصعب الوصول اليه وكذلك لا يكون ترك خطا تركا حتى يحتاج في التحفظ منه الى لطف نظر وفضل روية وقوة ذهن وشدة تيقظ وهذا باب ينبغي ان تراعيه وان تعنى به حتى اذا وازنت بين كلام وكلام درست كيف تصنع فضممت الى كل شكله وقابلته بما هو نظير له وميزت ما الصنعة منه في لفظه مما هي منه في نظمه واعلم ان هذا اعني الفرق بين ان يكون المزية في اللفظ وبين ان يكون في النظم باب يكثر فيه الغلط ولا تزال ترى مستحسنا قد لحظ بالاستحسان موضعه فجعل اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام فحسن من نظمه ولفظه فظننت ان حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم سأدلك على ما ترد الى قول ابن المعتز

واني على اشفاق عيني من العدي ... لتجمح حتى نظرة ثم اطرق

ترى ان هذه الطلاوة وهذا الظرف انما هو لان جعل النظر يجمح وليس هو لذلك بل لان قاله نظرة ولم يقل النظر مثلا ثم لمكان ثم في قوله ثم اطرق والطبيعة اخرى تصرف هذه الظنائن وهي اعراضه بين ان يخبر بها بقوله على اشفاق عيني من العدا وان اردت العجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر الى قوله وقد تقدم انشاده قبل ثم

سألت عليه شعابا الحي حين دعا ... انصاره بوجوه كالدنانير

فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وعن ابتها انما سلم لها الحسن وانما ترى الى حيث انها مما يتوخى في وضع الكلام من التقديم والتاخير وتجدها قد ملطت ولطفت بمعاونته ذلك وموازرته لها وان شككت فاعمد الى الجبارين والعرف فازله كلاسما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل سألت شعابا الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره ثم انظر كيف يكون الحال وكيف

يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم ان تحسك التي كانت وكيف يذهب النشوة التي كنت تجدها وجملة الامر ان ههنا كلاما حسنه للفظ لا للنظم واخر حسنه للنظم دون اللفظ وثالثا قد اباه الحسن من الجهتين وجهة المزية بكلا الامرين والاشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه وتزال قد خدعت فيه على النظم فتركته وعمدت بحرك الى اللفظ وقد رت في حسن كان به وبالفظ انه للفظ خاصة وهذا هو الذي اردت حين قلت لك ان في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته ومن دقيق ذلك وخفيه انك ترى الناس اذا ذكروا قوله تعالى واشتعل الراس شيبا لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة ولم ينسبوا الحسن الا اليها ولم يروا المزية موجبا سواها هكذا ترى الامر ظاهرا كلهم وليس الامر على ذلك ولا هذا الشرف العظيم وهذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ولكن لان سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه الى الذي هو له بما هو من سببه فيرفع به ما يسند اليه ويوقع بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا ان ذلك الاسناد وتلك النسبة الى ذلك الاول انما كان من اجل هذا الثاني ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا وتصبب عرقا وكرم اصلا وحسن وجها واشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا عن الذي الى ما هو لذلك الشيء من سببه وذاك انا نعلم ان اشتعل للشيب في المعنى وان كان هو للراس في اللفظ كما ان طاب للنفس وقر للعين وتصبب للعرق وان اسند الى ما اسند اليه بين ان الظرف كان لان سلك فيه هذا المسلك ويوحى به هذا المذهب ان يدع هذا الطريق فيه ويأخذ اللفظ فيسنده الى السبب صريحا فيقول اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس ثم ينظر هل يجد ذلك الحسن وتلك الفخامة وهل ترى الروعة التي كنت تراها فان قلت فما السبب في ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل وامر بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة فان السبب انه يفيد مع ذلك ان الشيب في الراس الذي هو اصل المعنى مشمول وانه قد شاع فيه واحدق من نواحيه وانه قد استغرقه وعم جملته حتى لم يبق من السواد حتى اولم يبق منه

الشا لا يعتد به ، وهكذا ما لا يكون اذا قيل اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس بل لا يوجب اللفظ حينئذ اكثر من ظهوره فيه على الجملة ، ووزان هذا انك تقول اشتعل البيت فيكون المعنى ان النار قد وقعت فيه ووقع التموّل وانها قد استولت عليه واخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعل النار في البيت فلا تفيد ذلك بل لا يقتضي اكثر من وقوعها فيه واصابتها جانبا منه فانما التموّل وان يكون قد استولت على البيت وابرزته ولا تعقل من اللفظ البتة ونظيره ذلك في التنزيل قوله عز وجل وفجرنا الارض عيونا التفجير للعيون في المعنى واوقع على الارض في اللفظ كما اسند هناك الاشتعال في الراس وقد حصل بذلك من معنى التموّل ها هنا مثل الذي حصل هناك وذلك انه قد افاد ان الارض فتقت صارت عيونا كلها وان الماء فتقان يغور من كل مكان منها ولو اجري اللفظ على ظاهره فقيل وفجرنا عيون الارض والعيون في الارض لم يعد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه ان الماء فتقان فار من عيون متفرقة في الارض وتحصل منها واعلم ان في الآية الاولى شيئا اخر من جنس النظم وهو ترتيب الراس بالالف واللام والاضافة ومعنى الاضافة من هذا اضافة وهو واحد ما اوجب المزية ولو قيل واشتعل راسي مرسح بالاضافة لذهب عنه الحسن فاعرفه وانا اكتب لك اشياء مما سبيل الاستعارة فيه هذا السبيل ليستحكم هذا الباب في نفسك ولتأنس به فمن عجيب ذلك قول بعض الاعراب

« الليل داج كنفاه جلبابه ، والدين محمور على عرابه »

ليس كل ما تراه من الملاحة لان جعل لليل جلبابا وحجر على الغراب ولكن في ان وضع الكلام الوضع الذي تراه فجعل الليل مبتدا وجعل داج خبرا له وفعلا لما بعده وهو الكنفان واضاف الجلباب الى ضمير الليل ولان جعل كذلك الدين مبتدا واجرى محمورا خبرا عليه وانما خرج اللفظ على معقول بين من ذلك لانك لو قلت وغراب الدين محمور عليه او قد حجر على غراب الدين لم تجد له هذه الملاحة وكذلك لو قلت قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئا ومن النادر فيه قول المتنبي ، ع ،

« غضب الدهر والملوك عليها ، فبناها في وجنة الدهر خالا »

قد تراه في اول الامر حسنا ثم اذا اجمع في ان جعل للدهر وجنة وجعل البثية

خالا في الوجنة وليس الامر كذلك فان موضع الاعجوبة في ان اخرج الكلام مخرجه الذي تراه وان اتى بالخال منصوبا على الحال من قوله فبناها افلا ترى انك لو قلت وهي خال في وجنة الدهر لوجدت الصورة غير ما تراه وشبيه بذلك ان ابا العتاهية

« يا مسكة العطار ، وخالة وجه النهار »

كانت الملاحة في الاضافة لانه في استعارة لفظة الخال اذ معلوم انه لو قال يا خالا في وجه النهار او يا من هو خال في وجه النهار لم يكن شيئا ومن شان هذا الضرب ان يدخله الاستكراه قال الصاحب اتاك والاضافات المداخله فان ذلك لا يحسن وذكر انه يستعمل في الهجا كقولك القائل ، ع ،

« يا على من حمزة من عمار ، انت واسه لجة في خبار »

ولا اشبهه في نفسي هذا في الاكثر ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومما حسن فيه قوله ان المعتز ايضا ، ع ،

« وظلت تدير الراح لدي جاذر ، عتاق وناشيء الوجوه ملاح »

ومما حاز فيه حسنا جميلا قول الخالدي في صفة عبد له ، ع ،

« ويعرف الشعر مثل معرفتي ، وهو على ان يزيد مجتهد »

وسيعرض في القريض ووزان ديباج المعاني الدقاق منتقد ومنه قوله ايضا ع

« خذها ابنة الفكر المهذب في الدجا ، والليل اسود رأسه الجلباب »

ومما كثر الحسن فيه بسبب النظم قول المتنبي ع ،

« وقيدت نفسي في ذراك محبة ، ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا »

الاستعارة في اصلها مبنية على معروفة فانك ترى العامي يقول للرجل يكرر احسانه اليه ويرى له حق بالغه ويختار المقام عنده قد مدني بكرة احسانه الى وحبسني وعلاقني حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج عنده وانما كان ما تراه من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتاليف ع

هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا تزال تعثر لك على نكت تروعه ونفض لك الطرف عنه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء على شيء وحول اللفظ من مكان الى مكان وان استعمل في معنى ما وضع له في اصل اللغة ونحو ذلك فمن ذلك قول ابي تمام ، ع ،

« ما حل من حمزة من عمار ، انت واسه لجة في خبار »

ولا اشبهه في نفسي هذا في الاكثر ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومما حسن فيه قوله ان المعتز ايضا ، ع ،

« وظلت تدير الراح لدي جاذر ، عتاق وناشيء الوجوه ملاح »

ومما حاز فيه حسنا جميلا قول الخالدي في صفة عبد له ، ع ،

« ويعرف الشعر مثل معرفتي ، وهو على ان يزيد مجتهد »

وسيعرض في القريض ووزان ديباج المعاني الدقاق منتقد ومنه قوله ايضا ع

« خذها ابنة الفكر المهذب في الدجا ، والليل اسود رأسه الجلباب »

ومما كثر الحسن فيه بسبب النظم قول المتنبي ع ،

« وقيدت نفسي في ذراك محبة ، ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا »

الاستعارة في اصلها مبنية على معروفة فانك ترى العامي يقول للرجل يكرر احسانه اليه ويرى له حق بالغه ويختار المقام عنده قد مدني بكرة احسانه الى وحبسني وعلاقني حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج عنده وانما كان ما تراه من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتاليف ع

هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا تزال تعثر لك على نكت تروعه ونفض لك الطرف عنه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء على شيء وحول اللفظ من مكان الى مكان وان استعمل في معنى ما وضع له في اصل اللغة ونحو ذلك فمن ذلك قول ابي تمام ، ع ،

على العامل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد تعلوم ان منطلق وعمرا لم يخرجا بالتقدم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدا ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا بما جاء كما يكون اذا اخرت وتقدم لاجل ما فيه التاخير ولكن يجب ان ينقل الشيء عن حكم الى حكم ويجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه وذلك ان يجيء الى اسمين يحتمل كل واحد منهما ان يكون مبتدا ويكون الآخر خبرا له فيقدم تارة هذا على ذاك واخرى ذاك على هذا ومثاله ما يصنعه بزيد والمنطلق حيث يقول مرة زيد المنطلق واخرى المنطلق زيد فانت في هذا لم تقدم المنطلق على ان يكون مرتفعا بحكمه الذي كان عليه مع التاخير فيكون خبر مبتدا كما كان بل على ان تجعله عن كونه خبرا الى كونه مبتدا وكذلك لم توخر زيدا على ان يكون مبتدا كما كان بل على ان تخرجه عن كونه مبتدا الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضرب زيدا وزيد ضربته تعلم تقدم زيد على ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن على ان ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره وتجعله في موضع الخبر له واذا قد عرفت هذا الاصل فاني اتبعه جملة من الشرح اعلم انا لم نجد هم اعتمد وا فيه شيئا يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم بشانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر في ذلك مثالا ولا قال النحويون ان معنى ذلك انه قد يكون اعرف الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كل العلم من حالهم في الخارج يخرج فيجيء ويعيد ويكرر به الامر انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شيء فاذا قتل واراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيدا ولا يقول قتل زيدا الخارجي لانه يعلم ان ليس للناس في ان يعلموا ان الفاعل له زيد حد ولا وفاء بعنيهم ذكره وبهمهم ويتصل بمسرتهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي للفساد وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس به قياس ولا يتقدر فيه انه يفعل فعيل رجلا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه يقدم ذكر الفاعل فيقول قتل زيد رجلا ذاك لان الذي يعنيه ويعني الناس من شان هذا الفعل طرفاه وقوع القتل فيه وبعده كان من الظن ومعلوم انهم لم يكن عادة او بعيدا من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الذي وقع منه فهذا ما حد بالغ الا ان

الشان في انه ينبغي ان يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام سر هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير وقد وقع في نفوس الناس انه يكفي ان يقال انه قدم العناية ولان ذكره اهم من غيره ان يذكر من ان كانت تلك العناية وهم كان اهم وكيف ذاك وقد صغروا امر التقدم والتاخير في عقولهم وهونوا الخطب فيه حتى ان ترك اكثرهم تركي صنعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم نرضا ان نروي على ما جاء به من هذا وشبهه وكذلك سمعوا في سائر الابواب فجعلوا لا ينظرون في اختلاف وجوه الرفع والنصب والاضمار والفصل والوصل وفي نوع من انواع الحروف والوجوه الا نظرك في ما عرض لهم ذلك بل ربما ان لم تعلمه لم يضرك لاجرم ان ذاك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم ان يعرفوا معاني بعضها وسدنا وحجبهم عن الجهة التي منها وانسق الدرك نحوها ولقد دخل الذي دخل منها الآفة على العامة وبلغ الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه واحراز فضيلته كثير وهذه من الحيل التي وجدت سبيلا ولست ساعيا ان كانت هذه امورا هينة وكان الذي دبرها مرتفعا والذي يسير من ان كان نظم اشرف من نظم وعلم اعظم المفاوت واسترذل الناس وترقى الاشراف الاحجار والى ان يغرها عن الجباية او هيبتها امور اخر يحيل الغريزة عليها ويجعل الاحجار كانها ربما كان يكون ذلك الحوالة لما عذر في ترك النظرة هذه التي معناها الاعراض عنها وقلة المبالاة بها او ليس هذا الذي تراهم ان نظر العاقل حيث انه سنه لعقله ودينه وحوطة ما يرى بذل الخطر وبعض من قد رقي الغدر وهل يكون اضعف رايا وابعد من حسن التدبير منك اذا احمك ان تعرف الوجوه في البدر بهم والقتال في راي العين وتعرف الشرائط والشروط واشباه ذلك مما لا بعد ولا لك فيه الفظ وحرس الصوت ولا يمنعك ان لم تعلمه بالاعلام ولا بد دعك عن بيان ولا بد حتى عليك شكا ولا يعلق دونك باب بحرفه ولا يفضي بك الى تحريف وتبديل وانك الخطا في ادل والى ما يعظم فيه المعاب عليك وبطيل لسان القادح فيك ولا يمسك ولا يعرك ان تعرف ما اذا فعلته عرضت نفسك لكل ذلك وحصلت فيما هنالك وكان الكثر كلامك في التفسير وحبست حلوقي في التاويل كلام من لا يدري التي عليها اصبلة ولا ياخذ من ماخذه ومن رمضا وقع في الغاشي من الخطا الذي سقي عاره وشنع ناره وسال اسا العصمة والتوفيق لما هو اقرب الى رضاه من القول والعمل واعلم ان من الخطا ان تقسم الامور في تقدم التي وتاخر فيها من فصل معتد الى بعض

على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد معلوم ان منطلق وعمرا لم يخرجا بالتقدم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدا ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من اجله كما يكون اذا اخرت وقدم لا يخل به التاخير ولكن يحيل ان يتحول الذي عن حكم الى حكم ويجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه وذلك ان يجيء الى اسم من يجعل كل واحد منهما ان يكون مبتدا او يكون الآخر خبرا له فيقدم ثان هذا يحيل ذاك واخرى ذاك يحيل هذا ومثاله ما يصنعه بزيد والمنطلق حيث يقول مرّ زيد المنطلق واخرى المنطلق زيد فانت في هذا لم تقدم المنطلق يحيل ان يكون مرّ وكان يحيل حكمه الذي كان عليه مع التاخير بكون خبر مبتدا كما كان بل يحيل ان يتحول عن كونه خبرا الى كونه مبتدا وكذلك لم توخر زيدا يحيل ان يكون مبتدا كما كان بل يحيل ان يخرجه عن كونه مبتدا الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضربت زيدا وزيد ضربته لم تقدم زيدا يحيل ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن يحيل ان ترفعه بالابتداء وتجعل الفعل يضمر ويجعله في موضع الخبر له واذ قد عرفت هذا التقسيم فاني اتبعه محيلة من الترجيح اعلم انا نجد هم اعمد وانيه شيا يجري مجرى الآلة لعبر العناية والاهتمام كالمبتدا صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون الذي بيانه اهم لهم وهم بشانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكروا شيئا الا وهو لا يعنيهم الا ان معنى ذلك انه قد يكون اعرض الناس في فعل ما ان يقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كل العلم من حالهم في الخارج يخرج بعيث ويفيد وكثيرا ما الامر انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يخيلهم منه شيء فاذا قتل واراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيدا ولا يقول قتل زيدا الخارجي لانه يعلم ان ليس الناس في ان يحلوا ان الفاعل له زيد جد وكد وفارغ صميم فكره وهمهم ويتصل بسرهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع الفعل بالخارجي الفلاني وانهم قد كمشوا شمروا وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس به بأس ولا قدره انه يعمل فعيل رجلا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه يقدم ذكر الفاعل فيقول قتل زيدا رجلا هذا لان الذي يعنيه ويعني الناس من شان هذا الفعل طرفيه ووقوع الذرة فيه وبعده كان من الظن ومعلوم انه لم يكن ناداً وبعيداً من حيث كان واقعا بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الذي وقع منه فهذا حد بالغ الاثر

الشان

الشان في انه ينبغي ان يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال انه ذكر للعناية ولان ذكره اهم من غيره ان يذكر من ان كانت تلك العناية وهم كان اهم ويحتاج ذلك وقد سغوا امر التقديم والتاخير في مؤسرهم وهو يوا الخطب فيه حتى انك لترى اكثرهم يرى متبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ولم نرهم انا ازوي على ساحبه من هذا وشبهه وكذلك سمعوا في سائر الابواب فجعلوا لا يبطرون في الحذف والتكرار والاضمار والفصل والوصل وفي فنون من انواع الفروق والوجوه الاتطرق لهما عرض لهم لك بل ربما ان لم تعلمه لم يضرك لاجرم ان ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم ان يعرفوا معاقد يرها وسدنا وحجبهم عن الخبية التي هي نهاية والسنن الذي يحق نهايتها وقد ادخل الذي به دخل منها الآفة على التاويلة شان العلم وبدع الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه واحراز فضيلته كثيرة وهذه من اعجبها ان وجدت سبيلا وليست شعيرة ان كانت هذه امورا هينة وكان المدى دنيا مرتبا والخطب يسيرا من ان كان نظم اشرف من نظم ونظم عظم التفاوت واسند الشان و ترقى الامر الى الاعجاز والى ان يقهرا عناق الجبابرة او هيبا امورا خير يحيل في الرتبة عليها ويحيل الاعجاز كان بها فيكون ذلك الحوالة لنا عذرا في ترك النظر في هذه التي معنا والاعراض عنها وقلة المبالاة بها اوليس هذا التهاون ان نظر العاقل حيا نفسه نفعله وقد حمولا فيما يرى بذي الخطل وبعض من قد رمي الغدر بعقل يكون اسعف رايا واوعد من حسن التدبير بك اذا اتهمك ان تعرف الوجوه في الاعذار والاماثل في راي العمر وتعرف الشرائط والزرائط واشباه ذلك مما لا يعد ولا يحاك فيه اللفظ وحرس الصوت ولا يمنعك ان لم تعلمه بلاغة ولا يعد ذلك عن سان ولا يوجب خللا عليك شكا ولا يعلق دونك باب معرفة ولا يعني بك الى تحريف وتبديل وافك الخطا في تاويل والى ما يعظم فيه العاب عليك ويطيل لسان القادح فيك كما يعرك ان تعرف ما اذا جهلته عرضت نفسك لكلام ذلك وحصلت فيما هنالك وكان اكثر بلاءك في النفس وحيث تخوض في التاويل لكلام من لا يعنى الى على اصله ولا ياخذ من ماخذه ومن رعما وقع في الفاحش من الخطا الذي يبقى عاره ويشيع اثاره ونسال الله العصمة والتوفيق لما هو اقرب الى رضاه من القول والعمل واعلم ان من الخطا ان تعمم الامور في تقدم التي وتاخير فمن فضل معتمد الى بعض

الثار

الكلام وغير مفيد في بعض وان تعلل تارة بالعناية واخرى بانه توسعة على الناظم
والكاتب حتى طرد لهذا فوائده ولذلك تجده ذاك لان من البعيد ان يكون في جملة
النظم ما يبدل تارة ولا يبدل اخرى فحق ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير
من الكلام انه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التاخير فعند وجب ان يكون
ذلك قضيته في كل حال وكل حال ومن سبيل من جعل التقديم وترك التقديم سواء ان
يدعي انه كذلك في عموم الاحوال فاما ان يجعله مرجحا ويزعم انه الفائدة في بعضها
والتصرف في اللفظ من غير معنى لا بعض فما ينبغي ان يرغب عن القول به ثم
وهذه مسائل لا يستطيع احد ان يمنع من التفرقة بين تقدم ما قدم فيها
وترك تقديمه ومن ابى حتى في ذلك الاستفهام بالهمزة فان موضوع الكلام على انك
اذا قلت افعلت فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك ان تستفهم عن
ان تعلم وجوده واذا قلت انت فعلت فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو
وكان الترديد فيه ومثال ذلك انك تقول ابنيت الدار التي كنت على الحالة
اولست الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله افرغت من الكتاب الذي كنت
تكتبه فبدأت في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه
لانك في جميع ذلك مترددة في وجود الفعل واستفهامك محتمل ان يكون قد كان
وان يكون لم يكن فتقول انت بنيت هذه الدار انت قلت هذا الشعر انت كتبت
هذا الكتاب فتبدأ في ذلك كله بالاسم لانك لم تشك في الفعل انه كان كيف وقد
اشرت الى الدار بعينه والشعر مقولا والكتاب مكتوبا وانما شككت في الفاعل من
هو فهذا من الفرق لا بد فعه دافع ولا يمكنه فيه مناكف ولم يحفى مكان احدهما
في موضع الاخر فلو قلت انت بنيت الدار التي كنت على ان تبنيها انت قلت
الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله انت فرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه
خرجت من كلام الناس وكذلك لو قلت ابنيت هذه الدار ام انت قلت هذا الشعر ام كنت
هذا الكتاب قلت ما ليس يقوله ذاك لفساد ان تقول في التي تشاهد الذي
هو نصب عينك اموجود ام لا ومما يعلم به ضرورة انه لا يكون البداية بالفعل
كالبداية بالاسم انك تقول اقلت شعرا قط انت رأيت انسانا قط احدثت وذلك
انك لا تعني بالسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا الان ذلك انما يخطر اذا كان
الانتاج الى فعل مخصوص بحيث تقول من قال هذا الشعر ومن بنا هذه الدار

ومن اتاك اليوم ومن اذن لك في هذا الذي فعلت وما اشبه ذلك مما يمكن ان
يعين فيه على معين فاما قبل شعرا على الجملة ورويته انسان على الاطلاق فمحال
ذلك فيه لانه ليس مما يختص بمن يفعله دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله ولو
كان لعدم الاسم لاوجب ما ذكرنا من ان يكون السؤال على الفاعل من هو وكان
يصح ان يكون سؤالا عن الفعل اكان ام لم يكن لكان ينبغي ان يستقيم واعلم ان هذا
الذي ذكرت لك في الامرة وهي للاستفهام قائم فيها اذا كانت هي للاستقرار فاذا قلت انت
فعلت ذا لم يكن غرضك ان تقرر بانه الفاعل بعين ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم
نمرود انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم لانهم لم يقولوا ذلك له علمة السلام
وهم يريدون ان يقرهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بانه منه كان كريف
وقد اشاروا به الى الفعل في قولهم انت فعلت هذا وقوله عليه السلام في الجواب
بل فعله كبيرهم هذا اولو كان بالفعل لكان الجواب فعلته او لم افعل فان قلت اوليس
اذا قلب افعلت فهو يريد ايضا ان يقرر بان الفعل كان منه لانه كان على الجملة
فأي فرق بين الحالين فانه اذا قال افعلت فهو يقرر بالفعل من غير ان يرد وجه
وبين غيره وكان كلامه كلام من يوهم انه لا يدري ان ذلك الفعل ام لم يكن بدلالة انك
تقوله ذلك والفعل ظاهر موجود يشار اليه كما رأيت في الامرة واعلم ان الامرة
ما ذكرنا تقرر بفعل قد كان وانكاره لم كان وتوبيخ لما عمله عليه وطامة هي اخر
وهو ان يكون لانكار ان يكون الفعل قد كان من اصله ومثاله قوله تعالى اناسقاكم
وكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وقوله عز وجل استفتهم
البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ولكذبهم لم في قولهم
ما يودي الى هذا الجهل العظيم واذا قدم الاسم في هذا جاء الانكار في الفاعل مع
وشاهده قولك للرجل قد افتعل شعرا انت قلت هذا الشعر كذبت لست بمحسن
مثله انكرت ان يكون الفاعل ولم تنكر الشعر وقد يكون ان يراد انكار الفعل
من اصله ثم يخرج اللفظ مخرجه اذا كان الانكار في الفاعل مثاله ذلك قوله تعالى آلله
اذن لكم ام على الله تفترون الا ترى راجع الى قوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا ومعلوم ان المعنى على انكار ان يكون ذلك كان من الله تعالى
اذن ومما قالوه من غير ان يكون هناك اذن فلذلك من عنده فاستأنف الى اسألك
ان اللفظ اخرج مخرجه اذا كان الامر كذلك لان مجاوزة من عليه ما انت

الى الله تعالى اذ باكان من غير الله فاذا اختفى عليه ارتفع ومثال ذلك قول ذلك
الرجل يدعي ان فلانا كان من يعلم انه لا يقوله اهو قال ذاك بالحقيقة ام انت تغالط
تضع الكلام وضعه اذا كنت علمت ان ذلك القول قد كان من قائل لتصرف الانكار
الى الفاعل فيكون اشد لنفي ذلك وابطاله ونظير هذا قوله تعالى قل الذكرين حرم
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اخبرني العلم بحرجه اذا كان قد ثبت
تحريم في احد الشيئين اريد معرفة عين المحرم مع ان المراد انكار التحريم من اصله ونفي
ان يكون فيهما تحريم على ما ذكرنا انه محرم وذلك لان الكلام وضع على حصل التحريم كأنه
قد كان ثم تعالى لم اخبرونا عن هذا التحريم الذي زعتم فيم هو اي هذا ام ذاك
ام في الثالث لشيئين بطلان قولهم وتبين مكان الغريه منهم على الله وسئل هذا
فولك للرجل جعلني امرا وانت سكرى مني كان هذا قولك الرجل جعلني امرا في قبل امر صار
بوضع الكلام وضع من سلم ان ذلك قد كان ثم تطالبه ببيان وقته لكي يتبين كذبه اذا
لم يقدر ان يذكر له وقتا ويستضحك وسئله فولك من امرك بهذا اسنا واينا اذن لك فيه
وانت لا تعني ان امرا قد كان بذلك من واحد منكم الا انك تضع الكلام هذا الوضع لكي
تضيق عليه وتلزمه كذبه حين لا يستطيع ان يقول فلان وان يحيل على واحد واذ قد
بينا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ما ينبغي ان ينظر فيه والفعل
مضارع والقول في ذلك انك اذا قلت افعل وانت تفعل لم تحتمل بين ان تريد الحال
او الاستقبال فان اردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي فاذا قلت انا فاعل
المعنى على انك اردت ان تقرر نفسك هو بفعله وكيف كون يوهم انه لا يعلم بالحقيقة
ان الفعل كائن واذا قلت انت تفعل كان المعنى انك تريد ان تقرر بانه الفاعل كان
امر الفعل في وجوده ظاهرا وبحيث لا يحتاج الى الاخبار بانه كائن وان اردت بفعل
المستقبل كان المعنى اذا بدأت بالفعل على انك تعود بالانكار الى الفعل نفسه وتزعم انه
لا يكون لوانه لا ينبغي ان يكون فمثال الاول قولك امري القيس ع ما
انتطق والمرئ في مصاحبي ٠ ومسنونة زرق كانياب اغوال ٠
فهذا الكذب منه لانسان بعده به بالقتل والانكار ان يقدر على ذلك ويستطيعه
ومثاله ان يطلع طالع في امر لا يكون مثله فيحمله في طلعه فيقول اوحى صنك فلان
كرانت مقيم على ما يكره احد عنده ما تحب وقد فعلت وصنعت وعلى ذلك قولي
تعالى لا تسكنوهن وانتم لهن كارهون ومثال الثاني قولك للرجل ركب المطر اخر

في هذا الوقت ايذهب في غير الطريق انعور شمنك وقولك للرجل يصبح الخير
انسي قدم احسان فلان اترك صحبته وتغير عن حالك معه لان تغير الزمان كما
قال ٠ اا اترك ان قلت دواهم خالد ٠ زيارته اني اذا لئيم ٠
وجملة الامر انك تجوا بالانكار نحو الفعل فان بدأت بالاسم فقلت انت تفعل او
قلت اهو يفعل كنت وجهت الانكار الى نفس المذكور وابيت ان يكون موضع
ان يجي منه الفعل ومن يجي منه وان يكون بتلك المثابة تفسير ذلك انك اذا قلت
انت ممن تعني انت تأخذ على يدي صرت كأنك قلت ان هزك الذي يستطيع ممن
والاخذ على يدي ولست بذاك وقد وضعت نفسك في غير موضعك هذا اذا
جعلته لا يكون منه الفعل للحين وانه ليس في وسعه وقد يكون ان يجعله لا
منه لانه لا يختار ولا يريد تعيينه وان نفسه نفس تابى مثله وتكرهه ومثاله ان يقول
انويسال فلانا هو ارفع همة من ذاك اهو ممن الناس حتى تقول هو اكرم من ذاك
وقد يكون ان يجعله لا يفعله لبعض قدره وتصريحه وان نفسه نفس لا تسمو لذلك
فولك اهو يصح بمثل هذا هو يرتاح للجميل هو اقصر همة من ذلك واقل رغبة في
الخير مما تظن وجملة الامر ان تقديم الاسم يقتضي انك عمدت بالانكار الى دار من
قبل انه يفعل او قال هو اني افعل واردت ما تريده اذا قلت ايس هو الذي يفعل
وليس مثله يفعل ولا يكون هذا المعنى اذا بدأت بالفعل فقلت افعل الا ترى
ان من المحال ان تزعم ان المعنى في قول الرجل لصاحبه انحرج في هذا الوقت ان
اتمشى في غير الطريق انه انكر ان يكون ممن يفعل ذلك وموضع من يجي منه ذلك
ذاك لان العلم محيط ان الناس لا يريد ونه وانه لا يليق بالحال التي تستعمل فيها هذا
الكلام وكذلك محال ان يكون المعنى في قوله تعالى انلزمكموها وانتم لها كارهون اما
لسنا ممن يجي منه هذا الالزام وان غيرنا من يفعله جل الله وتعالى وقد
يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك انه يحتمل فاذا نظرت احتمل من ذلك قوله انطلق
والمرئ في مصاحبي فقد يظن الظان انه يجوز ان يكون في معنى انه ليس الذي
يجي منه ان يقتل نفسي ويتعلق بانه قال قتل بعط بعط انكر شد خيانة ممتلئ
والمرء ليس يقتال ولكنه اذا نظر علم انه لا يجوز وذاك لانه قال والمرئ في مصاحبي
فذكر ما يكون سببا من الفعل ومحال ان يقول هو ممن لا يجي منه الفعل ومع
من يصح منه محال ومن هو في نفسه عنه عاجز فاعرفه واعلم انا وان كنا نفسر

نفس الاستفهام في مثل هذا بالانكار فان الذي هو موجب المعنى انه لتنبيه السامع حتى يرجع الى نفسه فيحمل ونعني بالجواب اما لانه قد ادعى القدرة على فعل لا يتردد عليه فاذا ثبت على ادعواه قيل له فافعل فنصحه ذلك واما لانه هم بان يفعل مالا ينبغي فعله فاذا رجع فيه نبه وعرف الخطأ واما لانه جور وجوه امر لا يوجد مثله فاذا ثبت على تحرج فتح على نفسه وقيل له فارنا له في موضع وفي حال واقم شاهدا على انه كان في وقت ولو كان يكون للانكار وكان المنفي فيه من بد والا لكان ينبغي ان لا يجيء فيما لا يقول عاقل انه يكون حتى ينكر عليه كقولهم ايصعد الي السما فيستطيع ان يفعل الجبال الى ردما ففي سبيل هو واذ قد عرفت ذلك فانه لا يقدر بالمحال ونحا لا يقول احد انه يكون الا على سبيل التمثيل وعلى ان يقال انك في دعواك ما ادعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال وانك في طمعك الذي طمعت فيه بمنزلة من يطمع في الممتنع واذ قد عرفت هذا فاما هو من هذا الضرب قوله تعالى افانت تسمع الصم اولو كانوا لا يعقلون ليس اسماع الصم مما يدعيه احد ويكون ذلك للانكار وانما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وان يترك الذي يظن بهم انهم سيعون اوانه يستطيع اسماعهم منزلة من يرى انه يسمع الصم ونحو قولي العبسي سمو ثم المعنى في تقديم الاسم وان لم يقل اتسمع الصم هو ان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت حصوصا قد اوتيت ان تسمع الصم وان تجعل في ظنه انه يستطيع اسماعهم مما من يظن انه قد اوتي قدرة على اسماع الصم ومن لطيف ذلك قوله ان اوى عبيده

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... اطنين اجنحة الذباب يضير

جعله كانه قد ظن ان طنين اجنحة الذباب مما يضير حين ظن ان وعيده يضير واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل اعني ان تقديم اسم المفعول يقتضي ان يكون الانكار في طريق الاحالة والمنع من ان يكون مثابة ان يوقع به مثل ذلك الفعل فاذا قلت ازيدا تضرب فقد انكرت ان يكون زيد مما يشابه ان تضرب ويوضع ان يحسن اعليه ويستجار ذلك منه ومن ذلك قدم عمر في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا وقوله عز وجل قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما لا يعلم انه لا يكون لو اخر فقيل قل اتخذ غير الله وليا وادعون غير الله وذاك لانه حينئذ يتناول الفعل ان يكون وقع ولا يزيد على ذلك فاعرفه وكذلك في قوله تعالى قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون

تتبعه وذلك لانهم سواء عندهم على ان من كان مسلما لم يكن مشابها ان يتبع ويطاع ويقتدى به فيما يامر وينهى ويصدق انه مبعوث من الله سبحانه وانهم مامورون بطاعته كما جاء في الآخر ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤكم فاتونا بسلطان مبين اي بحجة تدل على صحة ما تدعونه من النبوة وقولهم ما هذا الا بشر مثلكم يريدون ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة هذا هو القول في الضرب الاول وهو ان يكون بفعل بعد المرة لفعل موجود فان تقديم الاسم يقتضي شيئا مما اقتضاه في الماضي من الاخذ بان يقدر انه الفاعل او الانكار ان يكون الفاعل فمثال الاول قولك للرجل ينبغي ويظلم الا تسعى الى الضعيف فتضرب ماله الا انت ترحم ان الا تركت وكيت وعلى ذلك قوله تعالى افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ومثال الثاني الم يتمنون رحمة ربك ... واذ قد عرفت هذه المسايل في الاستفهام فمن مسايل في النفي اذا قلت ما فعلت كيت تعنيت عنك فعلا لم يثبت انه هو المفعول واذا قلت ما انا فعلت كيت تعنيت عنك فعلا ثبت انه مفعول تفسير ذلك انك اذا لم قلت ما قلت كذا كنت نفيت ان يكون قد قلت ذاك وكنت نوطرت في شيء لم يثبت انه مفعول واذا قلت ما انا قلت هذا كنت نفيت ان يكون القايل له وكانت المناظرة في شيء ثبت انه مفعول وكذلك اذا قلت ما ضربت زيدا كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب ان يكون قد ضرب بل يجوز ان يكون قد ضربه غيرك وان لا تكون قد ضربت اصلا واذا قلت ما انا ضربت زيدا لم تعلم الا ان زيدا مضروب وكان القصد ان ينفي ان يكون انت الضارب ومن اجل ذلك صلح في الوجه الاول ان يكون المنفي عاما كقولك ما قلت شعرا قط وما اكلت اليوم شيئا وما رايت احدا من الناس ولم يصلح في الوجه الثاني فكان طعنا ان يقول ما انا قلت شعرا قط وما انا اكلت اليوم شيئا وما انا رايت احدا من الناس وذلك لانه يقتضي المحال وهو ان يكون هرما انسان قد قال كل شعر في الدنيا واكل كل شيء توكل ورأى كل احد من الناس فنفيت ان يكونه وسما هو سوال بين في ان تقدير الاسم يقتضي وجود الفعل قوله

وما انا ان عشقت حسنى بدعي ... ولا انا ان صرمت في العتاب بادئ

المعنى كالاخفى على ان الشعر ثابت موجود وليس القصد به الى انه ولكن الى ان يكون هو الحادث له ويكون قد جرى الى نفسه ومثله في الوضوح قوله

وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله ... الشعر معمول على القطع

في وجوب هذا القرن ويصير العلم به كالضرورة احد مما انه صح فكان نقولنا قلت

هذا ولا ما قاله احد من الناس وما ضربت زيدا ولا ضربه احد سواي ولا يصح ذلك
في الوجه الاخر فلو قلت ما انا فعلت هذا ولا قاله احد من الناس وما انا ضربه زيد اولا
ضربه احد سواي كان خلفا من القول وكان في الناقض بمنزلة ان تقول لست انا ضربت
زيدا امس فثبت انه قد ضرب ثم يقول من بعده وما ضربه احد من الناس وليست
القائلة ذلك فثبت انه قد قيل لم يحق ان يقول وما قاله احد من الناس والثاني من الامرين
انك تقول ما ضربت الا زيدا فيكون كلاما مستقيما ولو قلت ما انا ضربت الا زيدا
كان لغوا من القول وذلك لان بعض النفي لا يقتضي ان يكون ضرب زيد او قد ذلك
ممكن والذي حرف النفي يقتضي نفي ان يكون ضربه فهما يتعاندان فاعرفه
وحتى تلك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتاخيره فاذا قلت ما ضربت زيدا
فقد صححت الفعل كان المعنى انك قد نفيت ان يكون وقد وقع ضرب منك على زيد ولم
تعرض في امر عمرو لنفي ولا اثبات وتركته بما يحتمل لانك اذا قلت ما زيدا ضربت فقد
المفعول كان المعنى على ان ضربا وقع منك على انسان وظن ان ذلك الانسان زيد
فنفيت ان يكون اياه فذلك ان تقول في الوجه الاول ما ضربت زيدا ولا احدا من
الناس وليس لك ذلك في الوجه الثاني فلو قلت ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس
كان فاسدا على ما مضى في الفاعل وما ينبغي ان تعلمه انه يصح لك ان تقول ما ضربت
زيدا ولكني اكرمته فيعقب الفعل المنفي باثبات فعل هو ضده ولا يصح ان تقول ما ضربت
زيدا ولكني اكرمته وذلك انك لم ترد ان تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك فالواجب
اذا ان تقول ما زيدا ضربت ولكن عمرا وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم
المنصوب فاذا قلت ما امرك لهذا المعنى على ان يكون قد امرته بذلك ولم يجب ان
يكون قد امرته بشيء آخر واذا قلت ما لهذا امرك كنت قد امرته بشيء غيره ع

فصل واعلم ان هذا الذي بان لك في الاستقبام والنفي من المعنى
في التقديم والتاخير المثبت فاذا عمدت الى الذي اردت ان تحدث عنه بفعل
فقدمته ذكرته ثم بنيت الفعل عليه فقلت زيد قد فعل وانا فعلت اثبت لفعل
ذلك ان يكون القصد الى الفاعل الآن المعنى في هذا القصد بعينه فيما بين احدهما
وبين الآخر وهو ان يكون الفعل معلقا قد اردت ان تنص فيه على واحد فجعلته له
وتريد انه فاعله دون واحد اخر دون كل احد ومثال ذلك ان تقول انا كتبت
في معنى فلان وانا اشتغلت في بابه حتى جاء ان تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به

وتزيل الاشتباه فيه وتدعه على من زعم ان ذلك كان من عمرو او ان عمرا وقد كتب
فيه كما كتبت ومن الذين في ذلك قولهم في المثل المعلى بضرب اما ترشده والقسم
الثاني ان لا يكون القصد الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على انك اردت ان تحقق
على السامع انه قد فعل ومنعه من الشك فاثبت له ذلك بعد ان ذكره وتوقعه اولا هم
ومن قبل ان يذكر الفعل في نفسه لكي يباعده بذلك من الشبهة ومنعه من الانكار
او من ان يظن بك الغلط او التزيد ومثاله قولك هو يعطي الجزيل وهو يحب
الثناء لا تريد ان تزعم انه ليس ههنا من يعطي الجزيل ويحب الشاعر ولا ان تعرض
بانسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي كما يعطي ولا يرغب كما يرغب ولكنك تريد
ان تحقق على السامع ان اعطاء الجزيل وحب الثناء ابه وان يمكن ذلك في نعته وما
من الشعر هم يعرسون الليل كل طرح ، واجرد سباح يبذ المعانيا

لم يرد ان يدعي لهم هذه الصفة دعوى من تفردهم بها ويخص عليهم فيها حتى كانه
يعرض بقوم آخرين فنفى ان يكونوا احقا بها هذا محال وانما اراد ان يصفهم بانهم
فرسان ممتزيدون صهوات الخيل وانهم يتعمدون الجياد منها وان ذلك دابهم
من غير ان يعرض لنفيه عن غيرهم الا انه بدا بذكرهم ليجيء السامع لهم ونعلم بذلك ما
قصد اليهم مما في نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشك ومن توهم ان يكون
قد وصفهم بصفة ليست بهم وان يكون قد اراد غيرهم فغلط اليهم وعلى ذلك
قول الآخر هم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سائب
لم يرد ان يدعي لهم الانفراد وجعل هذا الضرب لا يكون الا منهم ولكن اراد الذي
ذكرت من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث لتحقق الامور
ويوكده ومن الذين فيه قوله وهو هو رزق بن ادنيه هم

سلمى ازمعت بينا ، فان تولها ابنا

وذلك انه ظاهر معلوم انه لم يرد ان يجعل هذا الازماع لها خاصة ويجعلها من
جماعة لم يرفع البين منهم احدا سواها هذا محال ولكنه اراد ان يحقق الامر
ويوكده فاوقع ذكرها في سمع الذي كلم ابتداء ومن اول الامر ليعلم قبل الحديث انه
اراد ها بالحديث فيكون ذلك ابعد له من الشك وسئله في الوضوح قوله هم
هما نفسان الجد احيى نفسه ، وجحجاح ما اسطاعا عليه كلكلا

لا شبهة في انه لم يرد ان يقصر هذه الصفة عليهما وان يبنيه انما قتل الحديث بينهما

وابن من الجميع قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقوله عز وجل واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذا الذي ذكرت من ان تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التشبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول اذا قدم فرفع بالابتداء او بفعل الفعل الناصب كان له عليه وعدي الى ضمير فشغل به كقولنا في ضربت عبد الله عبد الله ضربته قال واما قولك عبد الله فضربته له لم يثبت عليه الفعل فرفعته بالابتداء فان قلت فمن اين وجب ان يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل اكد لاثبات ذلك الفعل له وان يكون قوله مما يلبسان المجد الخ في جعلها يلبسانه من ابن يتأتى يلبسان المجد فان ذلك من احل انه لا توقف بالاسم يعرى من العوامل الا الحدث قد نوى اسناده اليه فاذا كان كذلك فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت قلبه بانك قد اردت الحديث عنه فاذا جئت بالحديث فعلت سلاما تام اوقلت خرج او ذهبت يذهب علم حيث به وقد وطئت له وقد مت الاعلام له فدخل على القلب دخول المانوس به وقبله القلب قبول المتهيئ له المطمئن اليه وذلك لا محالة اشد كثيرا وانفى للشبهة واصح للشك واد خل في التحقيق وجملة الامر انه ليس اعلامك التي هي مثل اعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة فيه لان ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التاكيد والاحكام ومن هذا قالوا ان الشيء اذا اضمر ثم فسر كان ذلك الخبر له من ان يذكر من غير تقدمة اضمار وبدل على صحة ما قالوه انا نعلم ضرورة ان في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فضمير ترجعه ضرورة الى الحدقة مزيدا بسبب قولنا فان الابصار لا تعمى وكذلك السبيل ابدا في كل كلام كان فيه ضمير قصة كقوله تعالى انه لا يفلح الكافرون ويفيد من الفوز في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل ان الكافرين لا يفلحون لم يستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك الا لانك تعمد اياه من بعد تقدمة وتبنيه انت به في حكم من بدا واعاد ووطد نحو بني ونوح ثم صرح ولا تحتاج بكان المزيدة فيما طريقه هذا الطريق وشواهد ما قلنا من ان تقدم المحدث عنه يقتضي تاكيد الخبر وتحقيقه له انا اذا سلمنا وجد ناهذا الضرب من الكلام حتى فيما سبق فيه الكلام من سكر نحو ان يقول الرجل اسي لعلم بالذي يقول ويقول له انت تعلم ان الامر على ما اقول ولكنك تميل الى تحصي وكقولك الناس هو يعلم فلكونه انكر وهو يعلم الكذب فيما قال وان جهله عليه وكقوله تعالى

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون فصدر اسم ابن حتى وذاك ان الكاذب ولا سيما حتى الذي لا يعترف بانه كاذب واذا لم يعترف بانه كاذب كان ابعد من ذلك ان يعترف بالعلم بانه كاذب او حتى فيما اعترض فيه شك نحو ان يقول الرجل كانك لا تعلم ما صنع فلان ولم يجلعك مفعول انا اعلم ذاك واكن اداريه او في تكذيب مدع كقولك عز وجل واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وذلك ان قولهم آمنا دعوى منهم انهم لم يخرجوا باكذب كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب او مما الفيا في مثله ان لا يكون كقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وذلك ان عباد تهم لما يقتضي ان لا يكون مخلوقة وكذلك في كل شيء كان خبرا على خلاف العادة ومما يستغرب من الامر نحو ان يقول الانسان فلان يدعي العظيم وهو يعلم انا ليس بشجاع وهو يفرق من ادنى شيء ومما حسن ذلك فيه ويكثر الوعد والضمان كقول الرجل انا اعطيك انا الذيك انا القوم بهذا الامر وذاك ان من شان من تعده وتضمن له ان تعرضه للشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو احوج الى التاكيد ولذلك يكثر في المدح كقولك انت تعطي الجزيل انت تعرض في المجد انت تجود واجد وكما قال

ولانت تفري ما خلقت ... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وكقول الاخر ... نحن في المشتاة ندعو الجفلى

وذاك ان من شان المادح ان يمنع السامع من الشك فيما يمدح به وساعدهم من الشبهة وكذلك المفتخر والهجاء يأبيان اذا كان الفعل مما لا يشك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ولكن يوتى به على اسم فاذا اخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته ان يخرج في كل غداة قلت قد خرج ولم تحتج الى ان تجيء له والى ان يتقدم فيه ذكر المحدث عنه وكذلك اذا علم السامع من حال رجل انه على عزم الركوب والمضي الى موضع ولم يكن شك ورد انه ركب او ركب كان حريا ان يقول قد ركب بهو قد ركب فان جئت بمثل هذا في جملة كلام وقد تقدم ذكر المحدث عنه او المجال حسن حينئذ وذاك نحو قولك حسنه وهو قد ركب وذاك ان الحكم بغير اذا صارت الجملة في مثل هذا الموضع ويصير الامر بعرض الشك وذاك انه انما يقول هذا من ظن انه تصاد ثم في منزله وانه يصل اليه من قبل ان يركب فان قلت فانك قد تقول حسنه وقد ركب فهذا التقدم ومع هذا الشك فان

السك لا يقوى حجته فيه في الوجه الاول امالاترى انك اذا استطعت انسانا انا ما تو الشمس قد طلعت كان ذلك ابلغ في استطاعتك له من ان تقول انا ما تو قد طلعت الشمس وعكس هذا انك اذا قلت انا ما تو الشمس لم تطلع كان اقوى في وصفك له بالعجلة والحمق من الوقت الذي ظن انه حمق فيه من ان تقول انى ولم تطلع الشمس بعد هذا وهو كلام لا يكاد يحمق الا ناسا وانما الكلام البليغ هو ان تبدا بالاسم وتبنى الفعل عليه كقول الشاعر

« قد احمدني والطير لم تكم » واذا كان الفعل مما بعد هذه الواو التي يراد بها الحال سار مثل ما يصح الاستئناف على الاسم كقولك رايته وهو يكتب ومررت عليه وهو يصلي الحديث وكقوله

« تمرون رضا والديك يدعو مساجه » اذا ما ينو نفس دموا متصوبا

ليس بصحيح في ذلك الا على ما تراه لو قلت رايته ويقرا وحملت عليه وعلى الحديث ومررت رضا والديك يدعو مساجه لم يكن شيا ومما يوضحه المراد في انك تجد المعنى لا يستقيم الا على ما حاولته من بنا الفعل على الاسم قول اسه تعالى ان الذين اسه الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله وما لنا لا نومن بالله وما جا نا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلو بنيت الفعل في هذا على الاسم لم يكن له معنى ولا يخفى على من له ذوق انه لو جي في ذلك بالفعل غير مبني على الاسم لم يقل ان اسه الذي نزل الكتاب ويتولى الصالحين وحسن اسلام ان جنوده من الجن والانس والطير فيورعون لوجد اللفظ قد نبا عن المعنى والمعنى قد زال عن صورته والحال التي ينبغي ان يكون عليها واعلم ان هذا التسبيح بمنصلي في الفعل المنفي بما المشبه باذا فلو قلت انت لا تحسن هذا كان اشد لنفي احسان ذلك عنه من ان تقول لا تحسن هذا ويكون الكلام في الاول مع من يراك اتجا ما عنه واعرض دعوى في انه يحسن حتى انك لو اثبت بانت مما بعد تحسن فقلت لا تحسن لم يكن له تلك القوة وكذلك قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون بعيد من التاكيد في نفي الاشراك عنهم ما لو قيل والذين لا يشركون بربهم او بربهم لا يشركون لم يفد ذلك كما تراه لعدم حتى العلم على انهم مع ايمانهم يومنون وقوله ذهبت عنهم الحيا ولم يقصر لا يسالون وان سرا لدوب عبد اسه الذين كفروا فهم لا يومنون وما جرى فيه تقدم الاسم فيه كالازم مثل وعمرو في نحو قوله

« سيكفيه بني الحزن عن صوبه » ويسترد الدمع عن عربه

وقولك الناس سلك رعي الحق والحرمة وكقولك الذي قال له الحجاج لتمدنك على الادهم بن عبد العزيز فقال على سبيل المغالطة ومثل الامر حمل على الادهم والاشهب وما اشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثل الى انسان سوا الذي اضيف اليه ولكم يتبين ان من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس وموجب العرف والعادة ان يفعل ما فعل به وان لا يفعل ومن اجل ان كان المعنى كذلك قال المتنبي

« ولم ار مثلك اعني به سواك يا فرد ابلا مشبه »

وكذلك حكم عن اذا سلك به المسلك وقيل عمري يفعل ذلك على معنى اني لا افعله لان يومي بغير الى انسان فيخبر عنه بانه يفعل كقال

« عمري باكثر هذا الناس يخدع »

وذاك انه معلوم انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك فيستنقصه ويصفه بانه مصنوف بغرور وخدع بل لم يرد الا ان يقول اني لست ممن يخدع ويغرر وكذلك يرد ابو تمام بقوله

« وعمري باكل المعروف بخلا » وشحب عنده بعض الاباة

ان يعرض مثلا شاعر سواه فزعم ان الذي فزب به عند الممدوح من انه هجاه كان من ذلك الشاعر لا فيه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان يكون من يكفر النعمة ويلوم واستعمال مثل وعمري على هذا السبيل شي مركوز في الطباع وهو جار في عاداتكم فوقد عرفت الان اذا صحت الكلام وحدت هذين الامرين بعد ان ابدا يجا الفعل اذا نحى بما نحو الذي ذكرت لك ونري هذا المعنى لك ونفهمك فيها اذا لم نعد نا الا ترى انك لو قلت بنفي الحزن عن صوبه مثلك وري الحق والحرمة مثلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الامير وتخدع عمري لهذا الناس واكل عمر المعروف بخلا رايت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيرا عن صورته ورايت اللفظ قد نبا عن معناه ورايت الطبع يابى ان يرضاه واعلم ان معك دستورا اذا فيه ان تاملت غنى عن كل ما سواه وهو انه لا يحوز ان يكون اعلم الكلام وترتيب اجزائه في الاستفهام معنى لا يكون ذلك المعنى في الخبر وذلك ان الاستفهام استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك فاذا كان كذلك كان محالا ان يفرق الحال بين تقديم الاسم وتاخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت ازيد قام غير اذا قلت اقام زيد لم يكن هذا الافتراق في الخبر ويكون هو اك زيد قام وقام زيد سوا ذاك لانه يودي الى ان نسد على امر الاسبيل فيه الى الجواب وان نسبته المعنى

على وجه ليس عنده عبارة تثبته لك فعا على ذلك الوجه وجملة الامران المعنى
في اذا دخلك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام نحو انك تطلب ان تفعك في معنى
ذلك الجملة وسواء دخلها على اثبات او نفي فاذا قلت ازيد منطلق فانت تطلب ان تعلم
ذلك بعم منطلق او يقول لا ما هو منطلق واذا كان ذلك كذلك كان محالا ان
يكون الجملة اذا دخلها همزة الاستفهام استخبارا عن المعنى على اي وجه لا يكون
متى اذا وقعت منها الهمزة احتمالا به على ذلك الوجه فاعرفه ع

[illegible] الفعل

او قدم الفعل عليها اذا قلت اجاءك رجل فانت تريد ان تسأله هل كان مجيء من واحد
من الرجال اليه فان قدمت الاسم فقلت ارجل جاءك فانت تسأله عن جنس من
جاءه ارجل ام امراة ويكون هذا منك اذا كنت قد علمت انه قد اتاك آت ولكنك
لم تعلم جنس ذلك الاتي فيسبق لك في ذلك سببك اذا اردت ان تعرف عن الاتي
فقلت ازيد جاءك ام عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الاولى لان تقديم الاسم
يكون اذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون اما عن عينه او عن
جنسه ولا يأتي ذا كان كذلك كان محالا ان تقدم الاسم النكرة وانت لا تريد ان تسأل
عن جنس الاتي لانه لا يكون لسؤالك حينئذ سبق من حيث لا يبقى بعد الجنس
الا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه فان قلت ارجل طويل جاءك
ام قصير كان السؤال عن ان المجيء من جنس طوال الرجال ام قصارهم فان
وصفت النكرة بالجملة فقلت ارجل كنت عرفته من قبل اعطاك هذا ام رجل لم
تعرفه كان السؤال عن المعطي اكان ممن عرفته قبل ام كان انسانا لم يتقدم منك معرفة
له واذا وقعت الحكم في الاثبات اما النكرة في الاستفهام فان الخبر عليه فاذا
قلت رجل جاءك لم يصلح حتى تريد ان تعلمه ان الذي جاءك رجل لا امراة ويكون
ذلك منك مع من قد عرف ان قد اتاك آت فان لم تردد ذلك كان الواجب ان تقول
جاءك رجل فتقدم الفعل وكذلك ان قلت رجل طويل جاءك لم يستقم حتى يكون
السامع قد ظن انه قد اتاك قصير او توهمه امراة من ظن ذلك وقولهم شر اهر ذا ناب
انما قدم فيه شر لان المراد ان يعلم ان الذي اهر هذا الناب هو من جنس
الشر لا من جنس الخير فجرى مجرى كان يقول رجل جاءني تريد انه رجل لا امراة وقول
العلماء انه اما مع لانه يعني ما اهر ذا الناب الا شر بيان لذلك الاخر الذي انك

لا تقول ما اتاني الا رجل لا حيث يتوهم السامع انه قد اتاك امراة ذلك لان الخبر
مقصور النفي يكون محيث يراد ان يقصر الفعل على شيء ويبقى ما عداه فاذا قلت
ما جاءني الا زيد كان المعنى انك قد قصرت المجيء على زيد ونفيته عن كل من عداه
وانما يتصور قصر الفعل على معلوم ومتى لم يرد بالنكرة الجنس لم يقع السامع منها
على معلوم حتى يتوهم ان قصر الفعل عليه واخبره انه كان منه دون غيره واعلم
انا لم نرد بما قلناه من انه انما يحسن الابتدا بالنكرة في نحو شر اهر ذا ناب ان
نريد به الجنس ان معنى شر والشر سوا وانما اردنا بان الغرض من الكلام ان
يبين ان الذي اهر هذا الناب من جنس الشر لا جنس الخير كما اذا قلنا في قولهم رجل
جاءك ام امراة ان السؤال عن الجنس لم يرد بذلك انه يحتمل ان يقال الرجل ام المراة
اتاك ولكنا نعني ان المعنى على انك سألت عن الاتي اهو من جنس الرجال ام جنس
النسا فالنكرة اذا وقعت اصلا من كونها واحدا من الجنس الا ان القصد منك لم يقع الى
كونه واحدا وانما وقع الى كونه من جنس الرجال وعكس هذا انك اذا قلت ارجل
اتاك ام رجلان كان القصد منك الى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك
اصلا وهو انه قد يكون في اللفظ دليل على امر من لم يقع القصد الى ايجاده دون
الآخر فيصير ذلك الآخر فان لم يدخل في القصد كما لم يدخل في دلالة اللفظ واما
اعتبرت ما قدمته من قول صاحب الكتاب انك اذا قلت عبد الله ضربته لم
تم بنيت عليه الفعل وجدته يطابق هذا وذاك ان التشبيه لا يكون الا على معلوم
كان قصر الفعل لا يكون الا على معلوم فاذا ابدات بالنكرة وقلت رجل واتاك لا
يقصد
بها الجنس وان تعلم السامع ان الذي اردت بالحديث رجل لا امراة كان محالا
ان تقول اني قد تركته لانه المخاطب له لانه يحرج بك الى ان تقول اني اردت ان
اشبهه لكي لا يجعله لكي لا تجعله في جملة ولا تفصيل وذلك ما لا شك في استحالة
فاعرفه ع

[illegible] جواب ذهبي

المسلك لغريب الماخذ عجيب الامر شبيه بالسحر وانك ترى به ترك الذكر افصح من
الذكر والصمت عن الافادة ازيد للافادة وتجدك النطق ما يكون اذا لم تنطق ولم
ما تكون بيانا اذا لم تبن وهذه جملة وقد ذكرها حتى تجيء بتفسيرها حتى تنظر وانا
اكتب لك بعد امثلة مما عرض فيه الحذف ثم ابرهن لك على صحة ما اشرت اليه واقم
الحجة من ذكره عليه الشد صاحب الكتاب ع

اعتاده فيك من ليلى عوايده ... وهاج اهواك المكنونه الطلل
ربع قوا ادمع العصران به ... وكل حيران سار ماوه خضل
قال اراد اك ربع قال وسئله قول الاخر ع
هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا ... كما عرفت تحمن السبيل الخللا
دار المروج اذا اهلي واهلهم ... باكاسيه ترعى اللبوى والغزلا
كانه قال تلك دار فلان فحذفها رحمه الله ولم يحمل البيت الاول على ان الربع بدل من الطلل لان الربع اكثر من الطلل والشيء يبدل مما هو مثله او اكثر منه فما بدل الشيء من اوله فاسد لا يتصور وهذه طريقة مستمرة لهم اذا ذكروا الديار والمنازل وكانهم يتوهمون المبتدأ اذا رأوا فعلا قد يتصرف الفعل فينصبون كقول الشاعر ايضا
ديار مية اذ مي تساعدنا ... ولا يرى مثلها عجم ولا عرب
انشده بنصب ديار على اضمار فعل كانه قال اذكر ديار مية ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستيناف بعد ان يذكر الرجل ويقدموك بعض امره ثم يدعون الكلام الاول ويستانفون كلاما اخر واذا علمت ذلك انوا في اثر الامر بخبر من غير مبتدأ مثال ذلك قوله
وعلمت اني يوم ذاك منازل ... كعبا وفهدا
قوم اذا لبسوا الحديد تمنروا ... حلقا وقدا
وقوله هم حلوا من الشرف النعلا ... ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
سناة مكارم واساة كلم ... دماويهم من الكلب الشعاعا
وقوله رأى عبلي ما بي عميلة فاشتكى ... الى الله مما بي وما بي اشكد
ثم قال بعد علام رماه الله بالخير مقبلا ... اله سميعا ما يشق على البصر
وقوله اذا ذكرا ابا العنبرة لم يضق ... ذراعي والقي استه من اناخر
هلا لان حملان في كل شتوة ... من النفل ما لا يستطيع الاباعر
حملان خبزان وليس بصوفة كانكون لو قلت سلا وحلا ان حملان وما اعتذر به ان يحمل قد يشبه على سبيل المجاز دون قولهم بعد ان يذكر والرجل في سائر كذا واعز من صفته كبت وكبت كقوله
الا لا في بعد ابن ماضر الذي ... ولا عرف الا قوله ولا ذرا
في حنظلي ما زال ركابه ... عقود معروف ويكر منكرا

وقوله ... سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
ومن ذلك قول جميل ع
فعل يبينة بالناس قاسمني ... ذنبي وفاعلة خيرا واحرقها
ترنو بعيني مهاة اصدرت حرما ... وفي عشية ترمي وارمقها
هيفاء مقبلة محراء ممكرة ... رتا العظام بلا عيب تؤاتيها
من الاوانس مكسال مبتذلة ... خود غذاها بلين العيش عاريها
وقوله ايضا ع
اني عشية رحت وهي جزيعة ... فشكوا الي صبابة لصبور
وتقول بت عندي فدتك نفيلة ... اشكوا اليك فان ذاك يسير
فمرا مبسام كان حديرها ... ورعد رقطه مسبل مطير
محطوطه المتنين مضمر الحشا ... ربا الروادف خلقها مكور
وقوله الاتي يسرني ان عمر له موسرا اله فمنعه وقال له كم اعطيك اليوم لو انت تنفقه فيما لا يعنيك والله لا اعطيك فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو موسر فشكاه الى القوم ودسه فوثب اليه ابن عمه فلطمه فانشا يقول
سريع الى ابن العم يلطم وجهه ... وليس الى داعي الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع ع
فتامل الان هذه الابيات كلها واستقرها واحدا فانظر الى مواقعها في نفسك والى ما عهده من اللطف والظرف اذا انت مررت بموضع الحذف منها ثم وقفت النفس عما تجده والطفت النظر فيما حسن ثم تكلف ان تزيد ما حذف الشاعر وابرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت وان رب حذف هو للافادة اجود وفائدة التصويت وان اردت ما عدا ما اوردته فدونك فهاته وانظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر عمر بن ابي ربيعة رحمه الله ع
عرضت على ربيعة بعض ما ... يحاوله فعل اعراس الشواغل
فدب دبيب البطل يالم خصمه ... وقال تعلم اني غير فاعل
تتاب حتى قلت داسع نفسه ... واخرج اشياء بالم كالمعاول
الاصل حتى قلت هو داسع نفسه اي حبسه من شدة التاعب ومحابه من الجهد

تقذف نفسه من جوفه وتخرجها من صدره كما يدع البعير جرته ثم انك تتوكى
بتشبيه الكلام وهيئته نرى مثل ان تنسى هذا المبتدأ او تشاغله عن وممكن وتجيء
ان لا يزيد ورع خلقك ولا تعرض لخاطرك وتراك كانك ستوقاه، ونوفي التي يكره مكانه
والتفعيل حتى مجموعه ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح م

العين تبدي الحب والبغضا ، وتظهر الاحرام والنقضا
درة ما الصقتني في الهوى ، ولا رحمت الجسد المنحضا
عصبني وكا والله يا هلها ، لا اطعم البارد او ترضى

تقوله في جارية كان يحبها وسعى به الى اهلها فمنعوها منه والمقصود قوله عصبني
وذلك ان تعتمد بر هي غصبني او عصبني هي لا محالة الا انك ترى الشيء كيف سقاه في
من الظاهر هذا المحذوف وكيف باشر الى الاضمار وترى الملاحة كيف تذهب ان
رمت الكلام به ومن حديد الامثلة في هذا الباب قول الاخر يخاطب امراته وقد لامته
على الجود قالت حرمته قد عويت بان رات ، حقا ساوب مالنا وقومه

يعني لعمرك لا ازال اعوده ، ما دام مال عندنا موجودا

المعنى ذاك على لا ازال اعوده اليه فدعي عنك لومي ك واذ قد عرفت هذه
الجملة من حال الحذف في المبتدأ فاعلم ان ذلك سبيله في كل شيء فما من
اسم او فعل تجده قد حذف ثم اصيب به موضعه وحذف في الحال التي يبيغي
ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك احسن من ذكره وتوى اضماره في
النفس اولى وانتى من النطق به واذ قد بدانا في الحذف بذكر المبتدأ وهو حذف
اسم اذ لا يكون المبتدأ الا اسما فاني اتبع ذلك ذكر المفعول به اذ هو ذو خصوصا
فان الحاجة اليه امس وهو مما نحن نصدده احض والطافه كاريا فيه اكثر وما
يظهر بسببه من الحسن والرونق اعجب واظهر وهاهنا اصل يجب ضبطه وهو
ان حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى اليه حاله مع الفاعل فكما انك اذا قلت
ضرب زيد فاسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك من ذلك ان تثبت الضرب
فعلا له لا ان تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الاطلاق كذلك اذا عديت الفعل
الى المفعول فقلت ضرب زيد عمرا كان غرضك ان تفيد الشاس الضرب الواقع
من الاول بالثاني وهو وقوعه عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل
فيهما اما كان من اجل ان تعلم الشاس المعنى الذي اطلقت منه بهما فعمل الرفع في

الفاعل

الفاعل لتعلم الشاس الضرب به من جهة وقوعه منه والنصب في المفعول لتعلم الشاس
به من جهة وقوعه عليه ولم يكن ذلك لتعلم وقوع الضرب في نفسه بل اذا اردت الا حياد
بوقوع الضرب وجوده في الجملة من غير ان يتسبب الى فاعل او مفعول او يتعرض
لبيان ذلك فالعبارة عنه ان يقال كان ضرب او وقع ضرب او وجد ضرب وما
شاكل ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء واذ قد عرفت هذه الجملة فاعلم
ان اغراض الناس تختلف في ذكر الافعال المتعدية فربما ذكروها تارة ومرادهم ان
يقتصروا على اثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير ان تعرضوا لذكر
المفعولين فاذا كان الامر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا في انك لا ترى
له مفعولا لا لفظا ولا تقدرا وسائل ذلك قول الناس فلان يعطي ويمنع ويبرم
وينهى ويامر وينفع ويضر وكقولهم هو يعطي ويجزل ويقري وتضيف المعنى في جميع ذلك
على اثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة من غير ان تعرض لتعد
المفعول حتى كانك قلت صار اليه الحل والعقد وصار بحيث يكون منه حل وعقد
وامر ونهي وضر ونفع وعلى هذا القياس وعلى ذلك قوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له من
غير ان يقتصد النص على معلوم وكذلك قوله هو الذي يحيي ويميت وقوله
تعالى وانه هو امات واحيى وقوله وانه هو اضحك وابكى وانه هو اغنى وافقر
المعنى هو الذي منه الاحياء والاماتة والاغناء والافقار وهكذا كل موضع كان القصد
فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء وان يخبر بان من شانه ان يكون منه او
يكون الا منه او لا يكون منه فان الفعل لا يتعدى هناك لان تعديه ينقض
الغرض ويغير المعنى الا ترى اذا قلت هو يعطي الدنانير كان المعنى على انك تقصد
ان تعلم السامع ان الدنانير تدخل في عطاياه او انه يعطيها خصوصا دون غيرها
وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الاعطاء لا الاعطاء في نفسه ولم يكن
كذلك مع من نفى ان يكون كان منه اعطاء بوجه من الوجوه بل مع من اثبت اعطاء
الا انه لم يثبت اعطاء الدنانير فاعرف ذلك فانه اصل كبير عظيم النفع فقد انتهم
من خلو الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون له مفعول يمكن النص عليه وتبين
وهو ان لا يكون له مفعول مقصود فقصره معلوم الا انه محذوف من اللفظ لدليل
الحال عليه وسنتم الجملة لاضافة فيه وخفي يحذف المفعول فقال الحق تبارك

اصغيت اليه وهم يريدون اذني واغضيت عليه وهم يريدون جفني واشا
الخفي الذي يدخله الصنعة ويقترن ويتنوع فنوع منه ان يذكر الفعل وفي شك
له مفعول مخصوص قد علم مكانه اما يجري ذكره او دليل حال الا انك ننشه نفسك
وتخبره وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا الان بيثت نفس معناه من غير ان تقدر به
الى شيء او تعرض فيه لمفعول ومثاله قول البحتري

نحو جشاده وغيظ عداة ان يرى مبصر ويسمع واع

المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واع اخباره واوصافه ولذلك
تعلم علما ذلك انه كانه يسرق علم ذلك من نفسه ويدفع صورته عن وهمه
لتحصل له معنى شريف وغرض خاص وذلك انه يمدح خليفة وهو المعتز وبعتز
بخليفة وهو المستعين فاراد ان يقول ان محاسن المعتز وفضائله المحاسن
والفضائل يكفي فيها ان يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم انه المستحق للخلافة
والفرد الوحيد الذي ليس لاحد ان ينازعه من سرها فانت ترى حساده ويسرى
الحاقد والغيظ من علمهم بان هنا مبصرا يرى وسامعا يعي حتى يتمنون ان لا يكون
في الدنيا من له عين يبصر بها واذن يعي بها كي يخفى مكان استحقاقه للخلافة
فجد وابذلك سبيلا الى ستار عنه اياها وهذا نوع منه اخر وهو ان يكون
معك مفعول معلوم مفعول قد علم انه لبس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه
بدليل الحال او ما سبق من الكلام الا انك تطرحه وتتناساه وتدعه بلزم ضمير
النفس لغرض غير الذي مضى وذلك الغرض ان تتوفر العناية على اثبات الفعل
للفاعل وتخلص له وتصرف مجلبها وكاهي اليه ومثاله قول عمرو

ولو ان قومي انطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح اجرت

اجرت فعل متعد ومعلوم انه لو عداه لما عداه الا الى ضمير المتكلم نحو ولكن
الرماح اجرتني وانه لا يتصور ان يكون هنا مما اخر يتعدى اليه لاستحالة ان
يقول ولو ان قومي انطقتني رماحهم ثم لا يقول ولكن الرماح اجرت غيري الا
انك تجد المعنى يلزمك ان لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه الى لفظك والسبب
في ذلك ان تعد بتلك له توهم ما يوهم خلاف الغرض وذلك ان الغرض هو ان يثبت
انه كان من الرماح اجراء وجبس للالسن عن النطق وان تصح وجود ذلك ولو
اخرتني جاز ان يتوهم انه ان لم يعن بان يثبت للرماح اجراء اثبل الذي عناه ان

يبين انها اجرته فقد ذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول مثاله انك
تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر ان يكون كان من الخاطب ضرب وانما تنكر ان
يكون وقع الضرب منه على زيد وان تستخبره ذلك او تستطيعه فلما كان في عدم
اجرت ما تفهم ذلك وقف فلم يعد البته ولم ينطق بالمفعول لتخلص العناية
لاثبات الاجراء للرماح ويصح انه كان منها وتسلم بكليتها اذا ذاك ومثله قول
حربر امنيت الهوى وجلبت حتى تركت ضمير قلبي مستهاما

الغرض انه يثبت انه كان منها تمنيه وخلابه وان يقول لها اهكذا تصنعين
وهذه حيلتك في فتنة الناس ومن بارع ذلك وناد رما تجده في هذه الابيات
يروى المرزباني في كتاب الشعراء باسناده قال لما تشاغل ابو بكر الصديق رضي
الله عنه باهل الردة استبطاه الانصار فقال اما كلكم عوف احلاف رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالله ما اذا عندي ولا عند احد من الناس ولكني والله ما
ابقي من مودتكم ولا حسن رأي فيكم وكيف لا يحبكم فوالله ما وجدت مثلا لنا
ولكم الا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب ع

جزى الله عنا جعفرا حين زلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت

ابوا ان يملونا ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت

هم خلطونا بالنفوس والحوا الى حجرات ادفأت واظلت

فهاهنا حذف مفعول مقصود قصده في اربعة مواضع قوله لملت والحوا واذفأت
واظلت لان الاصل لملتنا والحوانا الى حجرات اذفأتنا واظلتنا الا ان الحال
على ما ذكرت لك في ان انه في حد المتناسي حتى كان لا قصد الى مفعول وكان الفعل
قد ابهم امره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما يكون اذا قلت قد مثل فلان يريد
ان يقول قد دخله الخلل من غير ان تخص شيئا بل لا يريد على ان يحمل الخلل
من صفته وكما يقول هذا بيت بدئي وبطل يريد انه هذه الصفة واعلم
ان لك في قوله اجرت وملت فائدة اخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية
على اثبات الفعل وهي ان تقول كان من سوء بلا القوم ومن تكذيبهم عن القتال
ما يجر مثله ومما القضية فيه انه لا سبق على قوم الاخرس شاعرهم فلم يستطع
ان يتكلم وتعد بتلك الفعل يمنع من هذا المعنى قطعا لانك اذا قلت ولكن الرماح
اجرتني لم يمكن ان يتاول على معنى انه كان منها ما شان مثله ان يحن فضية يسمرة

في كل شاعر قوم بل قد يخطر ان يوجد مثله في قوم اخرين ولا يجز شاعريهم ونظير
انك تقول قد كان مسك ما يوم كل احد وكل انسان ولو قلت ما يولد لم يولد لك
لانه قد يجوز ان يولد له الى ان يولد عمرك وهكذا قوله ولو ان امنا ملا في الذي
لا قوة منا الحلت يتضمن ان من حكم مسئله في كل ام ان تحمل وتسام وان المشقه
في ذلك الى حد يعلم ان الام تحمل له الابن وتسرم به مع ما في ضياع الامهات من
الضرر على انكاره في مصالح الاولاد وذلك انه وان قال امنا فان المعنى على ان
ذلك حكم كل ام مع اولادها ولو قلت لمثلنا لم يحتمل ذلك لانه يجري مجرى ان
يقول لو لغيت امثالنا ذلك لدخلها ما تحتها منا فاذا قلت ما مثلها منا فقيدت
لم يصلح لان تراد به معنى العموم وانه حيث يحمل كلام من كل ان وكذلك قوله الى
حجرات ادفات واطلت لان فيه معنى قولك حجرات من شان مثلها ان يودق
ويظل اي هي بالصفة التي اذا كان اذا كان البيت عليها ادفا واظل ولا يجيء هذا المعنى
مع اظهار المفعول اذ لا تقول لحجرات من شان مثلها ان تدفينا وتظلنا هذا
لعوس الكلام فاعرفه هذه النكته فانك تجدها في كثير من هذا الفن مسموعة
الى المعنى الاخر الذي هو توفير العناية على اثبات الفعل والدلالة على ان القصد
من ذكر الفعل ان تثبته لما علقه لا ان تعلم النباسه بمفعوله وان اردت ان
ترد اد تبينا لهذا الاصل اعني وجوب ان يسقط المفعول لتوفر العناية على
اثبات الفعل لما علق ولا يدخلها شوب فانظر في قول الله تعالى ولما وردماء
مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى
الى الظل فعبر بما حذف مفعول في اربعة مواضع والمعنى وجد عليه امة من
الناس يسقون اغنامهم ومواشيهم وامراتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي
غنمنا وفسقى لهما غنمهما ثم انه لا يخفى على ذي بصر انه ليس في ذلك كله الا
ان ترك ذكر ونوي بالفعل مطلقا وما ذاك الا ان الغرض في ان تعلم انه كان من
الناس في ذلك الحال سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام
من اجل ذلك سقي فاما ما كان المسقي اغنمهما ام بالاغنم غيره ذلك فخارج عن
الغرض وموهم خلافه وذلك انه لو قيل وجد من دونهم امراتين تذودان غنمهما
جاز ان يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى

لو كان مكان الغنم الجمال نكر كما انك اذا قلت ما لك تمنع اخاك كنت منكرا المنع لا من حيث
منع بل من حيث هو منع اخ فاعرفه تعلم انك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من
الروعة والحسن ربما وجدت الآن في حذفه وترك ذكره فاعرفه جملة وان الغرض لا يصح
الا على تركه وهما هو كما نه نوع غير ما مضى قول البحتري ع

اذا بعدت البلت وان قربت شفت . وهجرا فاصل ولغيابها يشفي

قد علم ان المعنى اذا بعدت عني البلتي وان قربت مني شفتني الا انك تجد الشعر
يابى ذكره ذلك ويوجب اطراحه وذلك لانه اراد ان يجعل البلا كانه واجب في بابها
ان يوجبه وجبلته وكانه كالطبيعة فيه وكذلك حال الشمائع الغرب حتى كانه قال
اندري ما بعادها هو الذي مضى وما قرابها هو الشفا والبرء من كل داء ولا سبيل لك
الى هذه الطبيعة وهذه النكته الا بحذف المفعول البته فاعرفه وليس لباب هذا
الحذف اي حذف للمفعول نهاية فانه طريق الى مرغوب من الصنعة والى لطائف

ع

اعلم ان هاهنا ما يأمن الانكار والحذف يسمى الاضمار على شريطة التفسير وذلك
مثل قولهم اكرمني واكرمت عبد الله اردت اكرمني عبد الله واكرمت عبد الله سكر
تركت ذكره في الاول استغنا بذكره في الثاني فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر
وهي لا تعيابه ويظن انه ليس فيه اكثر مما تريك الاسئله المذكورة منه وفيه اذا انت
طلبت التي من معدنه من دقيق الصنعه ومن جليل العادة ما الاخر الذي كلام
الفحول فمن لطيف ذلك ونادره قول البحتري ع

لو شيبت لم يفسد سماحة حاتم . كرما ولم تهدم مآثر خالد

الاصل لا يحتاج له لو شبهت ان لا تفسد سماحه حاتم لم تفسدها هم حذف ذلك من
الاول استغنا بدلالته في الثاني عليه ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والفخر
وهو على ما ذكرت لك من ان الواجب في حكم البلاغة ان لا يتطلق بالحذف ولا يظهر
الى اللفظ فليس يخفى انك لو رجعت فيه الى ما هو اصله فقلت لو شبهت ان لا تفسد سماحة
حاتم لم تفسدها صرت الى كلام غث ولى يجه السمع وتعافه النفس وذلك ان في
البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك له ابدا لطفا وبلا لا يكون اذا لم يتقدم
ما تحرك وانت اذا تاملت لو شبهت علم السامع انك قد علقت هذه المشيه في المعنى
بمشي فربما وقع في نفسه ان ههنا شيا ينتظر مشيئته اياه ان يكون وان لا يكون فاذا

قلت لم تفسد سماحة حاتم عرف ذلك الشيء ومحى الشبيه بعد لو وبعد حروف الجزاء
هكذا اصوغونه غير بعد ما ان شيء كثير شايع كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
ولو شاء لهداهم اجمعين والسقد يرى ذلك كله على ما ذكرت فالاصل لو شاء الله ان يجمعهم
على الهدى لجمعهم ولو شاء ان يهديهم اجمعين لهداهم الآن البلاغة في ان يجابه بهم
كذلك محذوفا وقد سبق في بعضه ان يكون اظهار المفعول هو الاحسن وذلك في نحو قول
الشاعر ولو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع
فعلى هذا لو كان على حد ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ان تقول ولو شئت بكيت
دما ولكنه كانه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانها احسن في هذا الكلام خصوصا
وسبب حسنه انه كانه لك بدع عجيب ان شاء الانسان ان يبكي دما فلما كان كذلك
كان الاولى ان يصرح بذكره لتقرره في نفس السامع وبونسه به واذا استقرت وجرت
الامر كذلك ابدا سبق كان مفعول المشيء اذا عظمنا او بعدا عن شأنه كان الاحسن ان
يذكر ولا يضمر تقول الرجل يخبر عن عزم لو شئت ان ارد على الامير رددت ولو شئت
ان اتغى الخليفة كل يوم لفعلت فاذا لم يكن مما يكبر السامع فالحذف كقولك لو شئت
خرجت ولو شئت قمت ولو شئت انصرفت ولو شئت لقلت وفي التنزيل لو شاء لفعلنا
وكذا تقول لو شئت كنت كريما قال

لو سب كعب بن مامة ابن دارة محوا لبيت ولحرم

وكذا الحكم في غيره من حروف الجزاء تقول ان شئت قلت وان اردت قمت قال
الله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك وقال عز اسمه من يشا الله يضلله ومن يشا
يجعله على صراط مستقيم ونظائر ذلك من الآي ترى الحذف فيها المستمر وما يعلم
ان ليس فيه الا الحذف وحده قوله طرفه

وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت مخافة ملوي من القد محصد

وقوله حميد

اذا شئت عنقى باجراع بيهة او الروق من تلقاء او تلقما

مطوقة ورقا تجمع كلما دنا السيف منها اجاب الرجع فاجما

وقوله النجوي

اذا شاء عادي سريعة او بعدلة عقابل سرب او تعنص زئيرا

وقوله لو شئت عدت بلاد مجد عوده فملأت بين عقيقه وزروده

معلوم

معلوم انك لو قلت وان شئت ان لا ترقل لم ترقل او قلت اذا شئت ان تعنى باجراع
بيشة عنقني واذا شئت ان يعادي سربه عادي وان شئت ان تعود بلاد مجد
عودة عدت اذهبت المآور والرونق وخرجت الى كلام عنت ولفظ رثت واما قول
الجوهري فلم يبق منى الشوق غير تفكري فلو شئت ان ابكي بكيت تفكرا
فقد نحا به نحو قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته
فاظهر مفعول شئت ولم يقل فلو شئت بكيت تفكرا لاحل ان له غرضا لا يتم الا
بذكر المفعول وذاك انه لم يرد ان يقول لو شئت ان ابكي بكيت تفكرا ولكنه
اراد ان يقول قد اطال في الغزل فلم يبق مني وفي غير خواطر حزن لو شئت بكا
لسرت شؤون وعصرت عين ليسيل منها دمع لم يشغل مجراه ويخرج بدل الدمع
التفكر فالبكا الذي اراد ايقاع المشيء عليه مطلق مبهم غير معدى الى التفكر الى
والبكا الثاني مقيد مع الدمع والتفكر واذا كان الامر كذلك سار الثاني كانه عين
الاول وجرى مجرى ان يقول لو شئت ان تعطى درهما اعطيت درهمين في
ان الثاني لا يصلح ان يكون تفسيرا للاول واعلم ان هذا الذي ذكرنا ليس صريح
اكرمت واكرمني عبد الله ولكنه شبيه به في انه انما حذف الذي حذف من مفعول
المشيء والارادة لان الذي جاء في جواب لو واخواتها يدل عليه وان اردت ما هو
صريح في ذلك ثم هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة فانظر الى بيت
البحتري قد طلبنا فلم نجد لك في السودد والمجد والمكارم مثلا
المعنى قد طلبنا لك مثلا لم حذف لان ذكر في الثاني دل عليه ثم ان التحي به كذلك
من الحسن والروعة ما لا يخفى ولو انه قال قد طلبنا لك في السودد والمجد والمكارم
مثلا فلم نجد لم ترس هذا الحسن الذي تراه شيئا وسبب ذلك ان الذي هو الاصل
في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل واما الطلب فكالشيء يذكر ليبنى
عليه الغرض ويوكد به امره واذا كان هذا كذلك فلو انه قال قد طلبنا لك في السودد
والمجد والمكارم مثلا فلم نجده لكان يكون قد ترك ان يوقع نفي الوجود على صريح لفظ
المثل او تبعه على ضميره ولن سلع الكنابة سلع التصريح ابدا وبين هذا الكلام وكرم
ابو عثمان الجاحظ في كتاب البيان وانا اكتب لك الفصل حتى تستبين الذي هو
المراد قال والسنة في خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر الخطيب الا ترى
ان قيس بن خارجة لما سرب بسيفه موجره واسلمه الحاملين في سان حماله

واحسن وقالت مالي فيهما ايها الفتى فما الاجل ما عندك قال عندي قرائل
تاريد ورشائل ساخط وخطبه من اذن تطلع الشمس الى ان تغرب امرتها بالتوا صل
وابى ربها عن التقاطع قالوا فخطب يوما الى الليل فما اعاد كلمة ولا معنى فقيل لابي
تعمو هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهي عن التقاطع اوليس الامر بالصلة هو
النهي عن التقاطع قال اوما علمت ان الكناية والتعريض لايعملان في العقول عمل
الافصاح والتكشف انتهى الفصل الذي اردت ان اكتبه فقد تعرف هذا ان لن
يكون ابتداع نفي الوجود على صريح لفظ المثل كابتداعه على غيره واذ قد عرفت هذا
فان هذا المعنى بعينه قد اوجب في بيت ذي الرمة ان يضع اللفظ على عكسه واو ضعه
الخبري فيعمل الاول من الفعلين وذلك قوله

* ولم امدح لارضيه بشعري * لعمري ان يكون اصاب مالا *

اعمل لم امدح الذي هو الاول في صريح لفظ النفي وارضى الذي هو الثاني في ضمير
وذلك ان ابتداع نفي المدح على القسم صريحا والمجيء به معه مكشوفا ظاهرا هو الواجب
من حيث كان اصل العرض وكان الارضا تعليلا له ولولاه قال ولم امدح لارضى بشعري
لعمري لكان يكون قد ابهم الامر فيما هو الاصل وابانه فيما ليس الاصل فاعرفه وتحفظ
الذي ذكرناه من ان للتصريح عملا لايكون مثل ذلك العمل للكناية كان لاعادة اللفظ
في مثل قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد
اللفظ من الحبس والبخعة ومن الفحاشة والنيل بالاخفى ومنعه على يسير وكان
لو ترك فيه الظاهر بالى الاضمار فقيل وبالحق انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد هو
الصمد لعدمت الذي انت واجده الان [illegible] قد بان الان لك
لمن نظر نظر التثبت الخصف الراعب في اقتداح زناد العقل والاريحية من
الفضل ومن شانه التوق الى ان يعرف الاشياء على حقايقها ويتفاعل للرديء فايها
وربا سفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر ولايعدو والذي يقع في
اول الخاطر الذي قلت في شان الحذف وتفخيم امره والتنويه بذكره وان ماخذه
ماخذ تشبيه السحر وبهر الفكر كالذي قلت وها هنا فن اخر من معانيه عجيب
وهو ما اذكره لك قال الحتري في قصيدته التي اولها

* اعن سفه يوم الاجيرف ام حلم * وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته
له ودفعه مواثب الزمان عنه *

* وكم ذدت عني من تحامل حادث * وسورة ايام حززن الى العظم *

المعنى لاتحاله وسورة ايام حززن الى العظم الا الذي تحدثه به محدثا واسقاطه
له من النطق وتركه في الضمير مرمية عجيبه وفايدة جليله وذلك ان من حق الناظر
ان يوقع المعنى في نفس السامع ابتداعا بمنعه به من ان يتوهم في بدء الامر شيا غير
المراد ثم يتصرف الى المراد ومعلوم انه لو اظهر المراد المفعول فقال وسورة ايام حززن
اللحم الى العظم لجاز ان يقع في وهم السامع الى ان يجيء الى قوله الى العظم ان هذا الحز كان
في بعض اللحم دون كله وانه قطع ما بقي الجلد ولم يبته الى ما بقي العظم فلما كان كذلك
ترك ذكر اللحم واسقطه من اللفظ ليبدي السامع من عند الوهم ويجعله يحدث بمعنى
المعنى منه في انف الفهم ويصور في نفسه من اول الامر ان الحز منتهي الى اللحم لم
يرده الا العظم افيكون دليل اوضح من هذا وابين واجلى في صحة ما ذكرت لك من
انك قد تحري ترك الذكر افصح من الذكر والاستاع من ان يجري اللفظ من الضمير
احسن للتصوير هـ [illegible]

اول ما ينبغي ان يعلم منه انه ينقسم الى خبر هو جزء من الجملة لاتم الفايدة دونه
وخبر ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر اخر سابق له فالقول خبر المبتدا كالطلق
في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد تكامل الجملة من هذين جزء من الجملة
وهو الاسم في الفايدة والثاني هو الحال كقولك جاني زيد راكبا وذلك لان الحال
خبر في الحقيقة من حيث انك اثبت بها المعنى الذي الحال كائنة لصاحبها
والفعل الفاعل الذي تدل اثبت الركوب في قولك جاني زيد راكبا لزيد الا ان
الفرق انك جيئت به ليزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان تجعله لجزء الجملة
في تحدثه ولم تجيء ابتدا بذكر الركوب ولم تباشره به بل ابتدات واثبت المجيء وصلت
به الركوب فالنسبة به الاثبات على سبيل التبع للمجيء بشرط ان يكون في صلته واما
في الخبر المطلق كقولك زيد منطلق وخرج عمرو فانك لم تجيء لشيا تجرد به لذلك
وجعلته مباشره من غير واسطة ومن غير ان تنسب لغير اليه واعرفه واذا قد
عرفت هذا الفرق فالذي يليه من فنون الخبر هو الفرق بين الاثبات اذا كان
بالاسم وبينه اذا كان بالفعل وهو فرق لطيف لمس الحاجة في علم البلاغة اليه
وبيانه ان موضوع الاسم على ان تثبت به المعنى الذي من حيله ان يقتضي تجدده شيا
بعد شيء واما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيا بعد شيء وذلك

فاذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق فعلا له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث منه شيا فشيا بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمرو قصير فكما لا تقصد ههنا الى ان تجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقضي بوجودهما على الاطلاق كذلك لا تتعرض في قولك زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد واما الفعل فانك تقصد فيه الى ذلك فاذا قلت زيد ها هو ذا ينطلق فقد زعمت ان الانطلاق يقع منه جزا فجزا وجعلته يزاوله ويزجيه وان شيت ان تحس الفرق بينهما من حيث تلطف فتامل هذا البيت

لا يالف الدرهم المضروب صرتنا . الا يمر عليها وهو منطلق .

هذا هو الحسن اللايق بالمعنى ولو قلته بالفعل لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن فان اردت ان تعتبره بحيث لا يخفى ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه فانظر الى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان احدا لا يشك في امتناع الفعل ههنا وان قولنا وكلبهم يبسط ذراعيه لا يودي الغرض وليس ذلك الا لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير ان يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيا فشيا ولا فرق بين وكلبهم باسط وبين ان يقول وكلبهم واحد مثلا في انك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيا بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض اذا تادية هيئة الكلب ومتى اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بينا ولم يعترضك الشك في ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه فاذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه يطول ويقصر وانما تقول يطول ويقصر اذا كان الحديث عن شي يزيد وينمو كالشجر والنبات والصبي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول او يحدث فيه القصر فاما وانت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شي قد استقر طوله ولم يكن ثم تزايد وتجدد فلا يصلح فيه الا الاسم واذا ثبت الفرق بين الشي والشي في مواضع كثيرة وظهر الامر بان ترى احدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب ان تقضي بثبوت الفرق حيث ترى احدهما قد صلح في مكان الاخر وتعلم ان المعنى مع احدهما غيره مع الاخر كما هو العبرة في حمل الخفي على الجلي وينعكس لك هذا الحكم اعني انك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم مكانه ولا يودي ما يوديه فمن البين في ذلك قول الاعشى

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة . الى ضوء نار في يفاع تحرق .

تشب لمقرورين يصطليانها . وبات على النار الندى والمحلق .

معلوم انه لو قيل الى ضوء نار متحرقة لنبا عنه الطبع وانكرته النفس ثم لا يكون ذاك النبو وذلك الانكار من اجل القافية وانها تفسد به بل من جهة انه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال وكذلك قوله

اوكلما وردت عكاظ قبيلة . بعثوا الي عريفهم يتوسم .

وذلك لان المعنى في بيت الاعشى على ان هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والا شعال حالا فحالا واذا قيل متحرقة كان المعنى ان هناك نارا قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة وجرى مجرى ان يقال الى ضوء نار عظيمة في انه لا يفيد فعلا يفعل وكذلك الحال في قوله بعثوا الي عريفهم يتوسم وذلك لان المعنى على توسم وتامل ونظر يتجدد من العريف حالا فحالا وتصفح منه للوجوه واحدا بعد واحد ولو قيل بعثوا الي عريفهم متوسما لم يفد ذلك حق الافادة ومن ذلك قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السما والارض لو قيل هل من خالق غير الله رازق لكم لكان المعنى غير ما اريد ولا ينبغي ان يغرك انا اذا تكلمنا في مسايل المبتدا والخبر قدرنا الفعل في هذا النحو تقدير الاسم كما نقول في زيد يقوم انه في موضع قايم فان ذلك لا يقتضي ان يستوي المعنى فيهما استوا لا يكون من بعده افتراق فانهما لو استويا هذا الاستوا لم يكن احدهما فعلا والاخر اسما بل كان ينبغي ان يكونا جميعا فعلين او يكونا اسمين ومن فروق الاثبات انك تقول زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق زيد فيكون لك في كل واحد من هذه الاحوال غرض خاص وفايدة لا تكون في الباقي وانا افسر لك ذلك اعلم انك اذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم ان انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك ابتدا واذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من عرف ان انطلاقا كان اما من زيد واما من عمرو فانت تعلمه انه كان من زيد دون غيره والنكتة انك تثبت في الاول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا لم يعلم السامع مع من اصله انه كان وتثبت في الثاني الذي هو قولك زيد المنطلق فعلا قد علم السامع انه كان ولكنه لم يعلمه لزيد فافدته ذلك فقد وافق الاول في المعنى الذي له كان الخبر خبرا وهو اثبات المعنى للشي وليس يقدح في ذلك انك كنت قد علمت ان انطلاقا قد كان من احد الرجلين لانك اذا لم تصل الى القطع على انه كان من زيد

دون عمرو كان حالك في الحاجة الى ان تنبه لزيد لحالك اذا لم تعلم انه كان من اصله
وتمام التحقيق في هذا الكلام يكون معك اذا كنت قد علمت انه كان لمن انسان انطلاق
من موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا فحوزت ان يكون ذلك كان من زيد فاذا قيل
لك زيد هو المنطلق صار الذي كان معلوما على حصه الوجوب ثم انهم اذا اراد وا
تاكيد هذا الوجوب او حلوا الضمير المسمى فصلا بين الخبرين فقالوا زيد هو المنطلق
ومن الفرق بين المسالتين وهو ما تمس الحاجة الى معرفته انك اذا تركت الخبر جاز
ان يأتي سيد انان على ان تتركه بحرف العطف في المعنى الذي اخبرت به عن الاول
واذا عرفت لم يجز ذلك تفسير هذا انك تقول زيد منطلق وعمرو زيد وعمرو
منطلق ايضا ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذاك لان المعنى مع التعريف على
انك اردت ان تثبت انطلاقا مخصوصا قد كان من واحد فاذا اضفته لزم صحة
اتيانه لعمرو ثم ان كان قد كان ذلك الانطلاق من اثنين فانه ينبغي ان يجمع بينهما
في الخبر معقول زيد وعمرو بهما المنطلقان لان الفرق متبنه لعمرو ومن الواضح في
تمثيل هذا النحو قولنا هو العامل بيت كذا كقولك جرير هو العامل ع
« وليس لسيبقي العطام بقيه » فانت لو حاولت ان تترك في هذا الخبر فتقول
جرير هو العامل هذا البيت وفلان حاولت محالا لانه قول بعينه فلا يتصور
ان تترك جريرا فيه عمرو واعلم انك تجد الالف واللام في الخبر على معنى الجنس ثم
تترك له في ذلك وجوها احدها ان يقصر جنس المعنى على الخبر عنه لقصدك المبالغة
وذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل الا انك تخرج الكلام
في صورة تدعي ان الجود والشجاعة لم توجد الا فيه وذلك لانك لم تعتد بما كان من
غيره لتصورك عن ان يبلغ الكمال كهذا كما لا تراه في استماع العطف عليه للاشراك
ولو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول والوجه الثاني ان تقصر
جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد
بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى انه لا توجد الا منه ولا يكون ذلك الا اذا
قيدت المعنى الذي تخصصه وتجعله في حكم نوع برأيه وذلك كتخوان تقيده بالحال
والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا وهكذا اذا كان الخبر بعدي
بعد ان اشترطت له بعدا لا مخصوصا كقولك الاعشى ع
« هو الواهب المائة المصطفاة الماتحا ساما عشارا »

فانت تجعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي فيه احد بوفاء خاصا من الوفاء وكذلك
تجعل هبة المائة من الابل بوفاء خاصا وكذا الباقي ثم تجعل كل هذا خبرا على معنى
الاختصاص وانه المذكور دون من عداه الا ترى ان المعنى في بيت الاعشى انه
لا يهب هذه الهبة الا الممدوح وربما ظن الظان ان اللام في هو الواهب المائة المصطفاة
بمنزلتها في نحو زيد هو المنطلق من حيث كان القصد الى هبة مخصوصة كما كان القصد
الى انطلاق مخصوص وليس الامر كذلك لان القصد هيهنا الى جنس من الهبة مخصوص
لا الى هبة مخصوصة بعينها ذلك على ذلك ان المعنى على انه يتكرر منه وعلى ان يجعله
هب المائة مرة بعد اخرى واما المعنى في قولك زيد هو المنطلق فعلى القصد الى
انطلاق كان مرة واحدة لا الى جنس من الانطلاق فالذكر هناك غير متصور كيف
وانت تقول جرير هو القائل وليس لسيبقي العظام بقيه يريد ان يثبت له قول هذا
البيت وتاليفه فاصل بين ان تقصد الى نوع فعل وبين ان تقصد الى فعل واحد
متعين حاله في المعاني حال زيد في الرجال في انه ذات بعينها والوجه الثالث ان لا
تقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور لا في كما كان في زيد هو الشجاع تريد ان تؤكد
قصر المعنى عند سجاعة غيره ولا كما ترى في قوله هو الواهب المائة المصطفاة ولكن
على وجه ثالث وهو الذي عليه قول الخنسا

« اذا فح البكا على متيل » رايت بكاك للحسن الجميلا

لم تزد ان ماهد البكا عليه وليس بحسن ولا جميل ولم يقصد الحسن شيء فيتصور
ان يقصر على البكا كما قصر الاعشى هبه المائة على الممدوح ولكن اردت ان تقرر
في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذي لا ينكره احد ولا يشك فيه شاك ومثله
قول حسان

« وان سنام المجد من آل هاشم » بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

اراد ان ثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الامر فيها ومعروفا بها ولو قال ووالدك
عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية بحالة ظاهر متعارفة وعلى ذلك قول الاخر
« اسود اذا ما ابدت الحرب نابها » وفي سائر الدهر الغيوث الهواطل

واعلم ان لظهر المعرف بالالف واللام معنى غير ما ذكرت لك وانه مسلك دقيق
وجه كالمخفي يكون المتأمل عنده كالباحث تعرف وتنكر وذلك قولك هو الرجل
الجامع وهو المعنى المرجى وانت لا تقصد شيئا مما تقدم فتصير الى معنى قد

يعلم المخاطب انه كان ولم يعلم ممن كان كما سنبين في قولك زيد هو المنطلق ولا تريد ان تقصر معنى عليه على معنى انه لم يحصل لغيره على الكمال كما كان في قولك هو الشجاع ولا ان تقول ظاهرا نه هذه الصفة كما كان في قوله وما الدك العبد ولكنك تريد ان تقول لصاحبك هل سمعت بالمنطلق المحامي وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف معنى ان يكون الرجل حتى يستحق ان يقول ذلك له وفيه فان كنت قبلته علما وتصورته حق تصوره فعلمك صاحبك واشار به يدك فهو صاحبك وعنده بغيتك وطريقة ارتيادك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ساموفان كنت تعرفه فريد هو هو بعينه وبرهان هذا المعنى ظهورا بان تكون الصفة التي تريد الاخبار بها عن المبتدا بحيث لو سقطت كقولك ان الرومي

«هو الرجل المشروك في جل ماله» ولكنه بالمجد والحمد مفرد

تعذيره كانه يقول للسامع انكر في رجل لا يعرف عاداته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله واخذ ماشا واعنه فاذا حصلت صورته في نفسك فاعلم انه ذلك الرجل وحظ من محبب الشان وله مكان من الفخامة والنبل وهو من بحر البيان الذي تقصر اليراعة عن بادية شفه والهول فيه على سراعة النفس واستقصا التامل فاذا علمت انه لا يريد بقوله الرجل المشروك في جل ماله ان يقول هو الذي لفك حد سنه وعرفت من حاله وقصته انه شرك في جل ماله على حد قولك هو الرجل الذي يلفك انه انفق كذا والذي وهب المائة من الابل ولا ان تقول انه على معنى هو الكامل في هذه الصفة حتى كان هيهنا اقواما شركون في جل اموالهم الا انه في ذلك اكمل وانم لان ذلك لا يصور وذاك ان اشراك الرجل في جل ماله معنى لا تقع فيه تفاضل كما ان بذل الرجل كل ما يملك كذلك ولو قيل الذي شرك في ماله جارا ان بتفاوت واذا كان كذلك علمت انه معنى بالت وليس الا ما اشرت اليه من انه تقول للمخاطب ضع في نفسك معنى قولك رجل شروك في جل ماله ثم ماصل فلانا فانك تستمل هذه الصورة منه وتجده بوده بها انك بصاوبا تيك بها كلما وان اردت ان تضع في هذا المعنى ما تسكن النفس اليه سكون الصادي الى الرد الما فاسمع قوله

«انا الرجل المدعو عاشق دهره، اذا لم تكامني صروف زماني»

وان اردت اعجب من ذلك فقوله

«اهدي الي ابو الحسين يدا، ارجو الثواب بها لديه غدا»

«وكذلك عادات الكريم اذا» اولى بما احسنت عليه بدا»

«ان كان يحمد نفسه احد فعلا زعمتك ذلك الاحدا»

لصدا كله على معنى الوهم والتقدير وان يصور في خاطره شيا لم يره ولم يعلمه شيء يجريه مجرى ما عهد وعلم وليس شيء اعلق على هذا الضرب الموهوم من الذي خاله حتى كثيرا ما يقع الك تقدر شيا في نفسك ثم تعبر عنه بالذي ومثال ذلك قوله

«احوك الذي ان تدعه لجلية، يجبك وان تعضب الى السيف يغضب»

وقوله الاخر

«احوك الذي ان ريبته قال انما، اريبت وان عاتبته لان جانبه»

لهذا وضع على انك تذكر انسانا هذه صفته وهذا شانه ثم اخذت السامع على انا من الوهم دون ان يكون قد عرف رجلا بهذه الصفة فاعلمته ان المستحق لاسم الاخوة هو ذلك الذي عرفه حتى كانك قلت احوك زيد هو الذي لا يكون عرفت انك ان تدعه لجلة يجبك وتكون هذا الخبر معهودا من طريق الوهم والتخيل جريا على ما توسف بالاستحالة كقولك للرجل وقد تحقق هذا هو الذي لا تكون وهذا ما لا يدخل في الوجود وكقوله «ما لا تكون فلا تكون بحيلة» ابدا وما هو كائن سيكون»

ومن لطيف هذا الباب قوله

«واني لمشتاق الى ظل صاحب، يروق ويصفو ان كدرت عليه»

وقد تقدر كما ترى سالم تعلمه موجودا ولذلك قال المامون حد مني اخلاقه واعطني هذا الصاحب فحد التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض فيه شك انه موهوم واما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين ان تقول زيد المنطلق فالقول في ذلك انك وان كنت ترى في الظاهر انهما سوا من حيث كان الغرض في الحالين اثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد وليس الامر كذلك بل بين الكلامين فصل ظاهر وبيانه انك اذا قلت زيد المنطلق فانت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كونه الا انه لم يعلم امن زيد كان ام من عمرو فاذا قلت زيد المنطلق ازلت عنه الشك وجعلته انه يقطع بانه كان من زيد بعد ان كان ترى ذلك على سبيل الجواز وليس كذلك اذا قدمت المنطلق فقلت المنطلق زيد بل يكون المعنى حينئذ على انك رابت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم تثبت ولم تعلم ازيد هو ام عمرو فقال لك صاحبك المنطلق بالقرب زيد اي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد وقد ترى الرجل فيما بين

بمسك وعليه ثوب ديباج والرجل ممن عرفته قد تمام بعهدك به فنسبته
فيقال ذلك اللابس الديباج صاحبك الذي كان يكون عبدك في وقت كذا اما تعرفه
لشدة ما شبهت ولا يكون الغرض ان شبهت له لبس الديباج لاستحالة ذلك من حيث ان
دونك الديباج عليه بفتنك عن اخبار تحبر واثبات منبت لنسبه له فتى رأيت
اسم فاعل او صفة من الصفات قد بدى به فجعل مبتدا وجعل الذي هو صاحبك
الصفة في المعنى خبرا فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل او الصفة
خبرا كقولك زيد منطلق واعلم انه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من
هذا الباب حتى يظن ان المبتدا فيها خبر والخبر مبتدا وليس كذلك ومما
ذكرته ما يوهم ذلك قول النحويين في باب كان اذا اجتمع معرفتان كنت بالخيار
ان جعلت ايهما شئت اسما والاخر خبرا كقولك كان زيد اخاك وكان اخوك زيدا فظن من
عرفنا ان كلا الاسمين في التعريف بمنزلة واحدة لا تختلف المعنى بان يبتدأ
بذاك وحتى كان الترتيب الذي يدعي بين المبتدا والخبر وما يوضع لهما من المرتبة
في التقدم والتاخير يسقط ويرتفع اذا كان الخبران معا معرفتين ومما يوهم ذلك
انك تقول الامير زيد وسيفك والخليفة عبد الملك يكون المعنى على اثبات
الامارة لزيد والخلافة لعبد الملك كما يكون اذا قلت زيد الامير وعبد الملك
الخليفة وتقوله لمن لا يشاهد وهو غائب عن حضرة الامارة ومعدن الخلافة
وهكذا اسلوبهم في نحو قوله

ابوك حباب سارق الضيف برده ... وجدي اذا حاج فارس شمراخ

انه لا فصل بينه وبين ان يقال حباب ابوك وفارس شمراخ جدي وهو موضع غامض
والذي يبين وجه الصواب ويدل على وجوب الفرق بين المسالتين انك اذا تاملت
الكلام وجدت ما لا يحتمل التقديم وما احد الفرق فاما في نحو قولنا الاسد الذي
هو الاسم الاكثر فان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما قدمت لك من قول اللابس
الديباج زيد وانت تشير له الى رجل بين يديك ثم انظر الى قول العرب ليس الطيب
الا المسك وقول جرير ... انما خبز من ركب المطايا ...
ونحو قول المتنبي ... انت ام الاولى يعد واساد واه ...
واشباه ذلك مما لا تحصى ولا تعد وارد المعنى على ان تسلم لك مع ما قلت طرفي الجملة
وقل ليس المسك الا الطيب وانما خبز من ركب المطايا ايام والناس ان الاولى يعدوا

وساد واما ك تعلم ان الامر على ما عرفتك من وجوب اختلاف المعنى بحسب التقديم
والتاخير وهو هنا ايضا يمكنه يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق ابدا وهي ان المبتدا لم
يكن مبتدا لانه منطوق به اولا ولا كان الخبر خبرا لانه مذكور بعد المبتدا لم كان المبتدا
مبتدا لانه مسند اليه ومثبت له المعنى والخبر خبرا لانه مسند ومثبت به المعنى
تبين بهذا لك اذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق لزيد واسندته اليه فزيد
مثبت له ومنطلق مثبت به واما تقدم المبتدا على الخبر فلحكم واجب من هذه الجهة
انه من حقه ان كان المبتدا هو الذي ثبت له المعنى ويسند اليه والخبر هو الذي
يثبت به المعنى ويسند ولو كان المبتدا مبتدا لانه في اللفظ مقدم مسند وبه لكان
ينبغي ان يخرج عن كونه مبتدا بان يقال منطلق زيد وجب ان يكون قولهم ان
الخبر مقدم في اللفظ والنية به التاخير محالا واذا كان هذا كذلك لم يحسن عرض
لجعلهما مسندا وخبرا وقد وجب وجوبا ان يكون مثبتا لمعنى الاول
فاذا قلت زيد اخوك كنت قد اثبت باخوك معنى لزيد واذا قدمت واخرت
فقلت اخوك زيد وجب ان يكون مثبتا بزيد معنى لاخوك والا كان نسبك له
الان مسندا واذا ذاك خبرا تعبير اللام عليه من غير معنى ولادى الى ان لا يكون قولهم
المبتدا والخبر فائدة عبارة ان سقدم اسم في اللفظ على اسم من غير ان يفيد كل واحد
منهما حكما لاكون لصاحبه وذلك مما لا يشك في سقوطه ومما يدل على فساد توهمه
على اختلاف المعنى اذا جئت بمعرفتين ثم جعلت هذه مبتدأ وذاك خبرا ثارة
بالعكس قولهم الحبيب انت وانت الحبيب وذاك ان معنى الحبيب انت انه لا فصل بينك
وبين من يحبه اذا صدق المحبة وان مثل المحاين مثل نفسين يمتزجا حتى صارا كما
جاء في بعض الحكما انه قال الحبيب انت الا انه غيرك فقد كما ترى معنى لطيف
وكنه شريف ولو حاولت ان تعيد هذا المعنى اذا قلت انت الحبيب حاولت ما لا يصح لان
الذي يعقل من قولك انت الحبيب هو ما عناه المتنبي في قوله

انت الحبيب ولكني اعوذ به ... من ان يكون محبا غير محبوب

ولا تحتاج بعد ما بين الغرضين والمعنى في قولك انت الحبيب انك انت الذي اختصه
بالمحبة من بين الناس واذا كان ذلك كذلك عرفت ان الغرض واجب ابدا واياه
لا يجوز ان يكون اخوك زيد وزيد اخوك بمعنى واحد وعلى هذا فقس يجب النظر فيه
وهون قولك انت الحبيب كقولنا انت الشجاع تريد انه الذي تملت فيه الشجاعة

اركموا نا زيد المنطلق نريد انه الذي كان منه الانطلاق الذي سمع المخاطب به
واذا نظرنا وجدناه لا يحمل ان يكون كقولنا انت الشجاع لانه يقتضي ان يكون
المعنى انه لا محبه في الدنيا الا انا هو به حبيب كما ان المعنى في هو الشجاع انه لا شجاع
في الدنيا الا انا لجده عنده وما هو شجاع به وذلك محال واما خبر هو هو الحبيب
فمعنى معقول فالمحبة اذا لست شيئا له بالحقيقه وانما هي صفه لغيره فقد
لا يسلمه ويعلق به تعلق الفعل بالمفعول والصفة اذا وصفت بالكمال وصفت
به بحيث ان يرجع ذلك الكمال الى من هي صفة له دون من يلابسه ملابسة المفعول
واذا كان كذلك بعد ان يقول انسان المحبوب على معنى انت الكامل في كونك محبوبا
كان بعيدا ان يقال هو المضروب على معنى انه الكامل في كونه مضروبا وان جاء
من ذلك شيء على تعسف وتاويل لا يتصورها هنا وذلك ان يقال مثلا زيد هو
المظلوم على معنى انه لم يصب احد اظلم سيلغ في الشدة والساعة الظلم الذي
لحقه فصار كل ظلم سواه عدما في جنبه ولا يجري هذا التاويل في انت الحبيب لانا نعلم
انه لا يريد ون نقصد الكلام ان يقولوا ان احدا لم يحب احدا مثلك وان ذلك
قد ابطل المحبات كلها حتى ضرب الذي لا تعقل المحبه معنى الا اياه والذي يريده
ان المحبه متى حصلتها مقصوره عليك وانه ليس لاحد غيرك حظ في محبه مني واذا
كان كذلك بان انه لا يكون بمنزله انت الشجاع زيد الذي يتكامل الوصف فيه الا
انه ينبغي من بعد ان نعلم ان بين انت الحبيب وبين زيد المنطلق فرقا وهو ان
لك في المحبة التي اثبتها طرفا من الجنسيه من حيث كان المعنى ان المحبة متى
جعلتها مقصوره عندك ولم تعد الى محبه واحده من محبائك الا ترى انك قد
اعطيت بقولك انت الحبيب انك لا تحب غيرك وان لا محبه لاحد سواه عندك
ولا تصور هذا في زيد المنطلق لا تملا وجه هناك للجنسيه اذ ليس الانطلاق
واحد قد عرف المخاطب انه كان واحتاج ان يعين له الذي كان منه ويتصور عليه
فان قلت زيد المنطلق في جاءتك زيد الذي من شانه ان يسعى في محاجاتك
عرض فيه معنى الجنسيه حتى يعد على احد هذا في انت الحبيب وهاهنا اصل يجب
ان يجعله وهو ان من شان انما الاجناس كلها اذا وصفت ان تنوع بالصفة
تصير الرجل الذي هو جنس واحد اذا وصفت فقلت رجل ظريف ورجل طويل
ورجل قصير ورجل شاعر ورجل كاتب انواعا مختلفه تعد كل نوع شائعا في نوع

ومتباينا في امر الرجل بكل صفه تعزوها اليه جنسيه وهكذا القول في المصادر تقول
العلم والجهل والضرب والقتل والسير والقيام والقعود تعد كل واحد من هذه المعاني
جنسا كالرجل والفرس والحمار فاذا وصفت فقلت علم كذا او علم كذا كقولك علم نحو
وعلم مكتسب وعلم جلي وعلم خفي وضرب شديد وضرب خفيف وسير سريع وسير
بطيء وما شاكل ذلك انقسم الجنس بها اقساما وصارا نواعا وكان مثلها مثل الشيء
المجموع المؤلف تفرقه فرقا وتشعبه شعبا وهذا مذهب معروف عند هم
واصل متعارف في كل جيل وامة ثم ان ههنا اصلا هو كالمتفرع عن هذا الاصل او
كان كالنظير له وهو ان من شان المصدر ان يفرق بالصلة كما تفرق بالصفات
ومعنى هذا الكلام انك تقول الضرب تريد جنسا واحدا فاذا وصلت الضرب بالسيف
صار بعد ذلك له الى السيف نوعا مخصوصا الا ترى انك تقول الضرب بالسيف غير
الضرب بالعصا تريد انهما نوعان مختلفان وان اجتماعهما في اسم الضرب لا يوجب
ائتلافهما لان الصلة قد فصلت بين ما فرقها ومن المثال البين في ذلك قولك المعنى
وتوهموا التعب الوعا والطعن في الهيجا غير الطعن في الميدان ،
لولا ان اختلاف حكم المصدر يقتضي اختلافه في نفسه وان تحدث فيه اقسام
وتنوع لما كان لهذا الكلام معنى ولكان في الاستحالة كقولك والطعن غير الطعن
فقد بان اذا انه انما كان كل واحد من الطعنين جنسا براسه غير الاخر بان كان
هذا في الهيجا وذاك في الميدان وهكذا الحكم في كل ما عدى اليه المصدر وتعلق
فاختلاف معمول المصدر يقتضي اختلافه وان يكون المتعدي الى هذا المفعول
غير المتعدي الى ذاك وعلى ذا قولك يعول ليس اعطاوك الكثير كاعطائك القليل وهكذا
اذا عديته الى الحال تقول ليس اعطاوك معسرا كاعطائك موسرا وليس ذلك وانت
تعقل كنهه اذا وانت شكيره واذ قد عرفت هذا من حكم المصدر فاعتبر حكم
الاسم المشتق منه واذا اعتبرت ذلك علمت ان قولك هو الوفي حين لا يفي احد
وهو الواهب المائة المصطفاه وقوله ،

« وهو الضارب الكتيبه والطعنه تعلوا والضرب اعلى واغلى »

واشباه ذلك كلها اخبار فيها معنى الجنسيه وانها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس المطلق
اذا اصلته خبرا فقلت انت الشجاع فكانك لا تقصد تقول انت الشجاع الى شجاعة
بعينها قد كانت وعرفت من انسان واردت ان تعرف ممن كانت بل تريد ان تقصر

حبس الشجاعة عليه ولا يجعل لاحد عرج منه حظا كذلك لا تقصد بقولك انت الوفي حين لا بقي احد الى وفا واحد كيف وانت تقول حين لا بقي احد وهكذا محال ان يقصد في قوله هو الواهب المائة المسطفاة الى هبة واحدة لانه تقتضي ان يقصد الى مائة من الابل قد وهبها سرع ثم لم يعد لمثلها ومعلوم انه خلاف الغرض لان معنى انه الذي من شانه ان يهب المائة ابدا او الذي يبلغ عطاؤه هذا المبلغ كما يقول هو الذي يعطي بادحه الالف والالفين وكقوله

« وحاتم الطائي وهاب المائة » وذلك اوضح من ان يخفى « واصل اخر وهو ان من حقنا ان نعلم ان مذهب الجمهور في الاسم وهو خبر عبر عنها وهو سيد القوم هنا او ان قولنا ان اللام في قولك انت الشجاع للجنس كقوله في قولك الشجاع موفى والحيان ملقى فان الغرض بهما عظيم وذلك ان المعنى في قولك الشجاع موفى انك تثبت الوفاية لكل ذات من صفتها الشجاعة فهو في معنى قولك الشجعان كلهم موفون ولست اقول ان الشجاع كالشجعان على الاطلاق وان كان ذلك ظن كثير من الناس ولكني اريد انك تجعل الوفاية مستغرقة الجنس وشاملة وسع فيه واما في قولك انت الشجاع فلا تجعل فيه للاستغراق اذ لست تريد ان تقول انت الشجعان كلهم حتى كانك تذهب به مذهب قولهم انت الخلق كلهم وانت العالم كافة « ان جمع العالم في واحد » ولكن تجد بك الجملة عبرها اخذ ذلك وهو انك تعمد بها الى المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها اليه لا الى نفس الصفة ثم ذلك في توجيهها اليه سلك دقيق وذلك انه ليس المقصد ان ناتي باسم كثير فنجمعها له ونوجد هما فيه ولا ان نقول ان الشجاعات التي يوسم وجودها في الموصوفين بالشجاعة هي وجوده فيه لانهم هذا كله محال بل المعنى على انك تعمد كما قد عقلنا الشجاعة وعرفناها حقيقتها وما هي وكيف ينبغي ان يكون الانسان في قدامه وبطشه حتى يعلم انه شجاع على الكمال واستقرينا الناس فلم نجد في جميعهم حقيقة ما عرفناه حتى اذا صرنا الى مخاطبتك وجدناه قد استكمل هذه الصفة واستجمع شرائطها فاخلص جوهرها وروح فيه سنحها وتبين لك ان المراد لك بالف واللام جميع ما يصح ان يتصور منهم له معنى الكامل ولو كان المعنى على انه استغرق الشجاعات التي يوسم كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قال الا انه معنى الكامل في الشجاعة لان الكمال هو ان تكون الصفة على ما ينبغي ان يكون عليه وان لا تخالطها ما يقدح فيها

وليس الكمال ان تجمع احاد الجنس وتضم بعضها الى بعض والعرض اذا هو ما انت الشجاع به والعرض بقولهم هذه هي الشجاعة على الحقيقة وما عداها اضاحين وهكذا الكرم والعلم وما عداه تخيل وهذا هو الشعر وما سواه فليس بشيء وذلك اظهر من ان يخفى وضرب اخر من الاستدلال في ابطال ان يكون انت الشجاع معنى انك كانك جميع الشجعان على حد انت الخلق كلهم وهو انك في قولك انت الخالق وانت الناس كلهم وقد جمع العالم سنك في واحد يدعي له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير ان تطلق تلك المعاني وتغيرها عن الناس بل على ان تدعي له اسنانها الاخرى انك اذا قلت في الرجل انه معدود بالف رجل فلست تعني انه معدود بالف رجل لا معنى لهم ولا فضيلة لهم بوجه بل تريد انه يعطيك من معاني الشجاعة او العلم او كذا او كذا محصورا ما لا تجد مقدار معشرا الا في الف رجل واما في نحو انت الشجاع فانك تدعي له انه قد انفرد بجميع الشجاعة وانه قد اوتي فيها من مزيد وحاصية لم يوتها احد حتى ساغ الذي يعد الناس شجاعة غير شجاعة وحتى كان كل اقدام اجحام وكل قوة عرفت في البشر ضعف وعجز بذلك فالواحد حتى يحل كل جواد وحتى صح ان يسمى اسم الجواد كما قال

« وانك لاتجود على جواد » صنائعك ان تلقب بالجواد »

وكما يقال جاد حتى كان لم يعرف لاحد جود وحتى كان قد كذب الواصفون الغيث بالجود كما قال

« اعطيت حتى تركت الربح حاسرة » وجدت حتى كان الغيث لم يجد »

هذا فصل في الذي حصوصا

اعلم ان لك في الذي علما كثيرا واسرارا جمة وخبايا اذا بحثت عنها وتصورتها اطلعتك على فوائد تونس النفس وتملأ الصدر وربما افضى بك اليه من اليقين وزوده ايك من حسن التبيين والوجه في ذلك ان تتامل عبارات لم فيه لم وضع ولاي غرض اجتلبت واشباهها وسقوطها في نحو قولك اي في الذي فولم ان الذي اجتلبت لتكون وصلة الى وصف المعارف بالجمل كما اجتلبت ذو لتتوصل به الى الوصف باسماء الاجناس بعد ذلك انك تقول مررت بزيد الذي ابوه منطلق وبالرجل الذي كان عبدا امس فتجد ذلك قد توصلت بالذي الى ان اثبت لزيد امن عمرو بالجملة التي هي قولك ابوه منطلق ولولا الذي لم تصل الى ذلك كما انك تقول مررت برجل ذي مال فتتوصل بذي الى ان تبين الرجل من عمرو بالمال ولولا ذو لم تستطع ان ذلك اذ لا تستطيع ان تقول برجل

مالك فهذه جملة معهودة الان يحتاجها يحتاج الى الكشف عنها فمن ذلك ان تعلم
من اين امتنع من ان توصف المعرفة بالجملة ولم يكن حالها في ذلك حال النكرة التي
تنعت بها في قولك مررت برجل ابوه منطلق ورأيت انسانا تعاد الجناب بين يديه
وقالوا ان السبب في امتناع ذلك ان الجمل نكرات كلها بدليل انها تستفاد والما تستفاد
المجهول دون المعلوم قالوا فلما كانت كذلك كانت وقعا للنكرة فجاز وصفها بها ولم
يجز ان توصف بها المعرفة اذا لم تكن وقعا لها والقول البين في ذلك ان يقال
انه انما اجتلب حتى اذا كان قد عرف رجل بقصة وامر جرى له فحسن بذلك ان تقصه
وبذلك الامر عند السامع ثم اريد القصد اليه ذكر الذي تفسير هذا انك لا تصل
الذي الا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وامر قد عرفه له نحو ان يرى عنده
رجلا ينشده شعرا فتقول له من عند ما تعمل الرجل الذي كان عندك بالامس
ينشدك الشعر وهذا احكم الجملة بعد الذي اذا انت وصفت به شيأ كان
معنى قولهم انه اجتلب ليتوصل به الى وصف المعارف بالجمل انه حتى به ليفصل بين
ما يراد ذكر التي جملة قد عرفها السامع له وبين ان لا يكون الامر كذلك فان قلت
فلم بعد الذي بالجملة غير المعلومة للسامع وذلك حيث يكون الذي خبرا كقولك
هذا الذي كان عندك بالامس وهذا الذي قدم رسولا من الحضرة انت في هذا
وشبهه تعلم المخاطب امرا لم يسبق له به علم ويفيده في المسار اليه شيأ لم يكن
عنده ولو لم تكن كذلك لم يكن الذي خبرا اذ كان لا يكون الشيء خبرا حتى يفاد بالقول
في ذلك ان الجملة في هذا الفصل وان كان المخاطب لا يعلمها لعين من اثرت اليه فانه
لا بد من ان يكون قد علمها على الجملة وحدث بها فانك على كل حال لا تقول هذا الذي
قدم رسولا لمن لم يعلم ان رسولا قد قدم ولم يبلغه ذلك في جملة ولا تفصيل وكذلك لا
تقول هذا الذي عندك امس لمن قد نسي انه كان عنده امس انسان وذهب عن
ذكره واما قوله لمن ذاك منه على ذكر الا انه ترى رجلا مقبلا من بعيد فلا يجوز انه
ذاك وتظنه انه انسانا غيره وعلى الجملة فكل عاقل يعلم بون ما بين الخبر بالجملة مع
الذي وبينها من غير الذي فليس من احد به طوق الا وهو لا شك ان ليس المعروف في
هذا الذي قدم رسولا من الحضرة كالمعنى اذا قلت هذا قدم رسولا ولا هذا الذي
يسكن في محله كما تقول هذا الذي يسكن محله كما وليس ذاك الا لانك في قولك هذا
قدم رسولا من الحضرة مبتدئ خبرا لم يعلم السامع ولم يعلمه السامع اصلا وفي

كان

قولك هذا الذي قدم رسولا يعلم في امر قد بلغه ان هذا صاحبه ولم يحل اذا من الذي
بدا به امر الجملة مع الذي من انه ينبغي ان يكون جملة قد سبق من السامع علم بها ما عرفه
فانه من المسائل التي من جهلها جهل كثيرا من المعاني ودخل عليه الغلط في كثير من الامور
والله الموفق للصواب هـ

اعلم ان اول فرق في الحال انها تجيء مفردا وجملة والقصد هنا الى الجملة فنقول
ما ينبغي ان نضبط من امرها انها تجيء تارة مع الواو واخرى بغير الواو فمثال مجيئها مع
الواو قولك اتاني وعليه ثوب ديباج ورأيته وعلى كتفه سيف ولعبت الامير
والجند حواليه وجاءني زيد وهو مستلئم سيفه ومثال مجيئها بغير واو جاءني
زيد يسعى غلامه بين يديه واتاني عمرو يقود فرسه وفي تمييز ما مضى الواو مما
لا تقتضيه صحبته والقول في ذلك ان الجملة اذا كانت من مبتدا وخبر فالغالب عليها
ان تجيء مع الواو كقولك جاءني زيد وعمرو امامه واتاني وسيفه على كتفه فان كان المبتدا
من الجملة ضميرا ذي حال لم يصلح بغير الواو البتة وذلك كقولك جاءني زيد وهو راكب
ورأيت زيدا وهو جالس ودخلت عليه وهو يملي الحديث وانتهيت الى الامير وهو في
الحمام لو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصلح فلو قلت جاءني زيد هو راكب ودخلت عليه
هو يملي الحديث لم يكن كلاما فلو كان الخبر في الجملة من المبتدا او الخبر طرفا كان وقد
تقدم على المبتدا كقولنا في الدار رجل وفي الدار صاحبك ربما جاء بغير واو وربما جاء
معه كذلك قول الشاعر

• اذا الكرنبي بلاد او كرضها • خرجت مع البازي على سواد •

اي على بقيه من الليل • وقول الاخر

• فاثبت هنيا عليك التاج مرتفقا • في رأس مجدان دارا سكك حللا •

وقول الاخر

• لقد صبرت للذل اعواد منبر • تقوم عليها في يديك قضيب •

كل ذلك في موضع الحال وليس فيه واو كما ترى ولا هو محمول عليها اذا اضطرت وقد يجيء
ترك الواو فيما ليس الخبر فيه كذلك ولكنه لا يكثر من ذلك كقوله وهو الى في رجع عود
على بدئه في قول من رفع ومنه بيت الاصلاح

• نصف النهار الماء غامره • ورفيقه بالغيب لا يدري •

ومن ذلك انشاد الشيخ ابو علي في الاعقاب

« ولولا حنان الفيل ما آب عامر » الى جعفر سربالة لم يمزق »

وما ظاهره انه منه قوله

« اذا البيت ابتره وان سأله » وجدته حاضرا للجود والكرم »

فقوله حاضرا للجود والكرم جملة من المبتدا او الخبر كما ترى وليس فيها واو والموضع موضع حال الا ترى تقول ابتيته فوجدته جالسا فيكون جالسا حالا اذ لا يكون وجدته في مثل هذا من الكلام لانكون المتعدية الى مفعولين ولكن المتعدية الى مفعول واحد كقولك وجدت الضالة الا انه ينبغي ان تعلم ان تقديمه الخبر الذي هو حاضرا له يؤتى بمعنى الغنى عن الواو وانه لو قال وجدته الجود والكرم حاضرا لم يحسن حسنه الان وكان السبب في حسنه مع التقديم انه يقرب في المعنى من قولك وجدته حاضر الجود والكرم او حاضرا عنده الجود والكرم وان كانت الجملة من فعل وفاعل او الفعل مضارع مثبت غير منفي لم تكد تجيء الواو ولم ترى الكلام يحتاج عبارة من الواو كقولك جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه وكقوله

« وقد علوت قتود الرحل منعفرا » يوم قتدت نعامة الخوتا مسمومة

وقوله

« ولقد اعتدي يد افع ركبي » احوذي ذو سعة اسريع »

وكذا قولك جاءني زيد يسرع لانفصال بين ان تكون الفعل لذي الحال وبين ان يكون لمن هو من سببه فان ذلك كله يستمر على الغنى عن الواو وعليه التنزيل والكلام ومثاله في التنزيل ولا تمنن تستكثر وقوله وسحبها الاتي الذي يوفي ماله يزكي وكقوله عز اسمه ويذرهم في طغيانهم يعمهون فاما قول ابي همام السلولي

« لما خشيت اظافره » نجوت وارهنهم مالكا »

في رواية من روى ارهنهم وما شبهوه به من قولهم قمت واصك وجهه ولكن ارهن واصك حكاية حال مثل قوله

« ولقد امر على اللئيم يسبني » فمضيت ثمت قلت لا يعنيني »

الغرض من قوله ولقد امر لي يسبني فكما ان امر بهما في معنى مررت كذلك يكون ارهن واصك في معنى رهنت وصككت وبين ذلك انك ترى العاجي بكاد الواو في مثل هذا وذلك كقولك احاني الخبر في حديث عبد الله بن عمر حين خرج خل على ابي رافع اليهودي بحصنه قال فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم لا ادري

ان هو من البيت فقلت اين ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش فما اغني شيئا فصاح فخرجت من البيت فامكث غير كثير ثم دخلت عليه فاذا هو مستلق على ظهره فوضعت سيفي في بطنه حتى سمعت صوت العظم فعرفت انى قتلته

فقوله فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش فما اغني شيئا فصاح فخرجت من البيت فامكث غير كثير ثم دخلت عليه فاذا هو مستلق على ظهره فوضعت سيفي في بطنه حتى سمعت صوت العظم فعرفت انى قتلته

فقوله فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش فما اغني شيئا فصاح فخرجت من البيت فامكث غير كثير ثم دخلت عليه فاذا هو مستلق على ظهره فوضعت سيفي في بطنه حتى سمعت صوت العظم فعرفت انى قتلته

فقوله فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش فما اغني شيئا فصاح فخرجت من البيت فامكث غير كثير ثم دخلت عليه فاذا هو مستلق على ظهره فوضعت سيفي في بطنه حتى سمعت صوت العظم فعرفت انى قتلته

الى العرب وقال خالد بن يزيد بن معاوية،

« لوان فوقا لارتفاع قبيلة ، وخلوا الثما وحلرها لا اعجب »

وهو كثير الا انه لا يستدعي الى وضعه بالموضع المرضي الامس كان صحيح الطبع ومما يجيء بالواو وغير الواو الماضي وهو لا يقع حالا الا مع قد مظهرة او مقدرة اما مجيئها بالواو فالكثير الشايع كقولك اتاني وقد جهده السير واما بغير الواو فكقوله

« متى اردت الصبح قد لاحت محاسنه ، والليل قد مزقت عنه المراجيل »

وقوله الاخر ، فانوا بالرماح مكسرات ، وأبنا بالسيوف قد انحنينا »

وقال اخر وهو لطيف

« ممنون قد كسروا الجفون الى الوغى منتصبين ودونهم استبسار »

ومما يجيء الواو فيه الاكثر الاشيع ثم اتى في مواضع بغير الواو ليلطف مكانه ويدل على البلاغة الجملة قد دخلها البتة كقولك اتاني وليس عليه ثوب ورايته وليس معه غيره فهذا هو المعروف المستعمل وقد جاء بغير الواو وكان من الحسن على ما ترى وهو قول الاعراف

« لما هبى واجد الاثنا ، يعرفه الارسان والثولا »

« اذا جرى في اثنه الوسقا ، حتى الغليب ليس فيه مثا »

ومما ينبغي ان يراعى في هذا الباب انك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو فحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك انما حسن من اجل حرف دخل عليها مثاله قوله عز وجل

« فقلت عسى ان تبصريني كانما ، بي حولك الاسود الحوارد »

قوله كانما يجيء الى اخره في موضع الحال من غير شبهة ولو انك تركت كان فقلت عسى ان تبصريني حولك الاسود رايته لاحسن حسنه الان ورايت الكلام يقتضي الواو كقولك عسى ان تبصريني وبي حولك كالاسود الحوارد وشبيه لهذا انك ترى الجملة قد جاءت حالا تعقب مفردا قد لطف مكانها ولو انك اردت ان تجعلها حالا من غير ان تجد قبلها ذلك المفرد لم تحسن مثال ذلك قوله اني الرومي

« والله يبقيك لنا سالما ، مردا اك تجليل وتعظيم »

فقوله مردا اك تجليل في موضع حال ثانية ولو انك اسقطت سالما من البين فقلت والله يبقيك مردا اك تجليل وتعظيم لم يكن شيا واذ قد رايت الجمل الواقعة حالا قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلا بد من ان يكون ذلك انما كان من اجل علل توجبه واسباب تقتضيه فحال ان يكون ها هنا جملة لا تصلح الا مع الواو

واخرى لا تصلح فيها الواو وبالجملة يصلح ان تجيء فيها بالواو وان تدعها فلا تجيء بها ام لا يكون لذلك سبب وعلة وفي الوقوف على العلة في ذلك اشكال وغموض ذاك لان الطريق اليه غير مسلوك والجملة التي منها تعرف غير مكشوفة وانا اكتب لك اصلا في الخبر اذا اتضح لك وجه العلة في ذلك اعلم ان الخبر ينقسم الى جزء وجزء من الجملة لا تتم الفايدة دونه وخبر ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر اخر سواه فالاول الخبر المستقل بالمخبر عنه كقولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الاصل في الفايدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا وذاك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث انك اثبت بها المعنى الذي الحال كائنة عليه للمبتدا او بالفعل للفاعل الا ترى انك قد اثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك اثبت به لزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان جعلته لهذه الهيئة لم تجيء به ولم تجرده اثباتك للركوب ولم تباشره به ابتداء بل بدات فاثبت المجيء ثم وصلت به الركوب فالتبس به الاثبات على سبيل التبع لغيره ويشترط ان يكون في صلته ضمير صاحبه واما في الخبر المطلق نحو زيد منطلق وخرج عمرو فانك انما اثبت المعنى اثباتا مجردا له وجعلته يباشره من غير واسطة ومن غير ان تتسبب بغيره اليه واذ قد عرفت هذا فاعلم ان كل جملة جاءت حالا لم تستغن من الواو وذاك لانك جئت بالفعل الواقع في صدرها مضمومة الى الفعل الاول في اثبات واحد وكل جملة جاءت حالا لم تقتض الواو وذاك لانك لم تستانف بها خبرا وغير فاسد ان تضمها الى الفعل الاول في الاثبات تقدير ذلك انك اذا قلت جاءني زيد يسرع كان بمنزلة قولك جاءني مسرعا في انك اثبت مجيئا فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالاخر وتجعل الكلام خبرا واحدا وتريد ان تقول جاءني كذلك وجاءني كذا وهكذا قوله

« وقد علوت قتود الرحل يسفعني ، يوم قد يدمغ الجوزاء مسموره »

كانه قال وقد علوت قتود الرحل باريا الشمس صاحيا وكذلك قول من ارى الصبح باديا لاحيا بينا متجليا وعلى هذا القياس ابدا فاذا قلت جاءني وعلامته بين يديه ورايت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى على انك بدات فاثبت المجيء ثم استانفت خبرا وابتدات اثباتا ثانيا لمعنى العلام بين يديه والكون السيف على كتفه ولما كان المعنى على استيناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى تجيء بالواو كما جيء بها في قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب والعلم حسن والجهل قبيح ونحو ذلك

لها واو حال لا تخرجها عن ان تكون مجتلبة بضم جملة الى جملة ونظير هاتين هذا الفا
في جواب الشرط نحو ان تاتني فانت مكرم فانها وان لم تكن عاطفة فان ذلك لا تخرجها
من ان تكون بمنزلة العاطفة في انها جاءت لربط جملة ليس من شانها ان ترتبط بنفسها
فاعرف ذلك وتزل الجملة في نحو جاءني زيد يسرع وقد علوت فيه والرجل يستغني
يوم منزلته الخبر الذي يستغني عن الفا الآن من شانه ان يرتبط بالشرط من غير رابط
وهو نحو ان تعطني اشكرك وتزل الجملة في جاءني زيد وهو راكب منزلة الخبر الذي
ليس من شانه ان يرتبط بنفسه ويحتاج الى الفا كالجملة في نحو ان تاتني فانت مكرم فيما
سوناه موازنة صحيحة فان قلت قد علمنا ان علة دخول الواو على الجملة ان
تستانف الاثبات ولا تصل المعنى الثاني بالاول في اثبات واحد ولا تنزل الجملة منزلة
المفرد ولكن بقي ان لم نعلم لم كان بعض الجمل بان يكون تقدير هما تقدير المفرد في ان
لا تستانف بها الاثبات اولى من بعض وما الذي منع في نحو جاءني زيد وهو يسرع او
وهو يسرع ان يدخل الاسراع في صلة المجيء وتضامه في الاثبات كما كان ذلك حين
قلت جاءني زيد يسرع فالجواب ان السبب في ذلك ان المعنى في نحو جاءني زيد وهو
يسرع على استيناف اثبات للسرعة ولم يكن ذلك في جاءني زيد يسرع وذلك انك
اذا احدثت ذكر زيد بحيث يضرح المتفصل الموضوع كان منزلة ان تعيد اسمه صريحا
فتقول جاءني زيد وزيد يسرع في انك لا تحدث سببا الى ان يدخل يسرع في صلة المجيء
وتضمه اليه في الاثبات وذلك ان اعادتك ذكر زيد لا يكون حتى يقصد استيناف
الخبر عنه بانه يسرع وحتى يبتدئ اثباتا للسرعة لانك انما تفعل ذلك متى كان المبتدا
الذي هو ضمير زيد واسمه الظاهر فصيحة وجملته لغوا في البين وجرى نحو ان يقول
جاءني زيد وعمرو يسرع امامه ثم توهم انك لم تسانف كلاما ولم تبتدئ للسرعة اثباتا
وان حال يسرع ههنا حاله اذا قلت جاءني زيد يسرع فجعلت السرعة له ولم تذكر عمرا
وذلك محال فان قلت انما استحال في نحو جاءني زيد وعمرو يسرع امامه ان
ترد يسرع الى زيد وتجعله منزله نحو جاءني زيد يسرع من حيث كان في يسرع ضمير يعود
وتضمه ضمير عمرو ممتنع ان يكون لزيد وان تقدر حالا له وليس كذلك جاءني زيد وهو
يسرع لان السرعة هناك لزيد لا محالة فكيف ساغ ان تغير احدى المسندين على الآخر
مثل ليس المانع ان يكون يسرع في نحو جاءني زيد وعمرو يسرع امامه حالا من زيد
انه فعل لعمرو فانك لو اخبرت عمرا فقلت يسرع واو ليست يسرع زيدا فعلت جاءني

زيد يسرع عمرو امامه وجدته قد سلم حالا لزيد مع انه فعل لعمرو واما المانع
ما عرفناك من انك تدع عمرا مستيعه وحتى يستانف اثباتا للسرعة فيه فلان
على فساد ذلك انك تودي الى ان يكون يسرع قد اجتمع في موضعه النصب والرفع
وذلك ان جعله حالا من زيد يقتضي ان يكون في موضع نصب وجعله خبرا عن
عمر المرفوع بالابتداء يقتضي ان يكون في موضع رفع وذلك بين التدافع والتحيف
هذا التدافع اذا اخبرت عمرا فقلت جاءني زيد يسرع عمرو امامه لانك حينئذ
ترفعه بيسرع على انه فاعل له واذا ارتفع به لم يوجب في موضعه اعرابا فيبقى يسرعا
لانك تقدر فيه النصب على انه حال من زيد وجرى مجرى ان تقول جاءني زيد
مسرعا عمرو امامه فان قلت فسبيل على هذا الاصل الا تجيء جملة من مبتدا وخبر
حالا الا مع الواو وقد ذكرت قبل ان ذلك قد جاءني مواضع من كلامهم فالجواب
ان القياس والاصل ان لا تجيء من مبتدا وخبر حالا الا مع الواو واما الذي جاء من
ذلك فسبيله سبيل الشيء يخرج عن اصله وقياسه والظاهر فيه تضرب من التاويل
ونوع من التشبيه نحو قولهم كلمته فوه الى فيّ اما حسن بعير واو من اجل ان المعنى
كلمته مشافهة له وكذلك قولهم رجع عوده على بدئه انما جاء الرفع فيه والابتداء
من غير واو لان المعنى رجع ذاهبا في طريقه الذي جاء فيه واما قولهم وجدته
حاضرا له الجود والكرم فلان تقديم الخبر الذي هو حاضرا له يوجب ان يحمله كانه قال وجدته
حاضرا عنده الجود والكرم وليس الحمل على المعنى وتنزيل الشيء منزلة غيره بعزيز
في كلامهم وقد قالوا زيد اضربه فاجازوا ان يكون مثال الامر في موضع الخبر لان
المعنى على النصب كواضرب زيدا ووضع الجملة من المبتدا والخبر موضع الفعل
والفاعل في نحو قوله تعالى ادعوهم ام انتم صامتون لان الاصل في المعادلة ان يكون
الثانية كالاولى نحو ادعوهم ام صمتم ويدل على ان ليس مجيء الجملة من المبتدا والخبر
حالا بغير الواو اصلا قلته وانه لا يجيء الا في الشيء بعد الشيء هذا ويجوز ان يكون مبتدا
من ذلك انما جاء على اراده الواو كانها الماضي على اراده قد واعلم ان الوجه فيما
كان مثل قولك بشار مخرجت مع البازي على سواده ان الوجه فيه يقول
اي لبسين فيرفع سواد بالظرف دون الابتداء ويجري الظرف هنا مجراه اذا اخبرت
الجملة صفة على النكرة نحو مررت برجل معه صقر صائد به غدا وذلك ان
صاحب الكتاب يوافق ابا الحسن في هذا الموضع فترفع صقرا في بعده من معنى

الا مع تكذيبك من يجري الحال مجرى الصفة ومرفوع الظاهر بالظرف اذا وقعا حالا فيكون ارتفاع سواد فيما ذكرنا على من معنى الفعل لا لانه اسم يشبه ان يتقدر بفعل خصوصا ان الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل اعني ان يكون المعنى خرجت كائنا على سواد وبائنا على سواد ولا تقدر خرجت بكون على سواد او يبقى على سواد اللهم الا ان يقدر فيه فعلا ما ضيا مع قد كقولك خرجت مع الساري قد بقي على سواد الليل الا ان يقدر فيه فعلا والاول اظهر واذا تاملت الكلام وجدت الظرف وقد وقع مواقع لا تسعهم فيها الا ان يقدر تقدير اسم فاعل ولذلك قال ابو بكر في قولنا زيد في الدار انك مخير بين ان تقدر فيه فعلا فيكون استقر في الدار وبين ان تقدر اسما فاعلا فيكون مستقر في الدار واذا عاد الامر الى هذا كان الحال في ترك الواو ظاهرة وكان سواد في قوله خرجت على سواد نظيره فيما ذكرته في قوله

• سا عسل عني العار بالسيف حالبا • على فرسا ابلق كان حالبا •

في كونه اسما ظاهرا فاذا ارتفع باسم فاعل بد اعتمد على ذي حال وعمل عمل الفعل ويدلك على ان التقدير فيه ما ذكرت وانه من اجل ذلك حسن ان تقول جاءني زيد والسيف على كتفه وخرج والتاج عليه فتجده لا تحسن الا بالواو وتعلم انك لو قلت خرج زيد السيف على كتفه وخرج التاج عليه كان كلاما نافرا لانك اوقعت في الاسماء ما وذلك لانه نظير قولك جاءني وهو سيفه على كتفه وخرج وهو تاج على التاج في ان المعنى على انك استانفت كلاما وابتدات ابيانا وانك لم ترد جاءني فكذا ولكن جاءني وهو كذا فاعرفه ع

القول في الفصل والوصل ع

اعلم ان العلم مما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض او ترك العطف فيها والمجيء بها مستانف بعضها بعد اخرى من اسرار البلاغة وهو مما لا يتاتى اتمام الصواب فيه الا لاعراب الخلص والائمة طبعوا على البلاغة وأوتوا فيها من المعرفة في ذوق الكلام مع بها افراد وقد بلغ من قوة الامر فيه ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم انه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لعمري وقد سلكه وانه لاجل لاحرار الفضيلة فيه احد لا تحمل لسائر معاني البلاغة واعلم ان سبيلنا ان ننظر الى فائدة العطف في المفرد ثم نعود الى الجملة فنعلم فيها وتعرف حراءه جملوم ان فائدة العطف في المفرد ان تشرك الثاني في اعراب

الاول وانما اذا اشركه في اعرابه فقد اشركه في حكم ذلك الاعراب من جواز المعطوف على المرفوع بانه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بانه مفعول به او نحو ذلك مما له في ذلك واذا كان هذا اصله في المفرد فان الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين احدهما ان يكون المعطوف عليها موضع من الاعراب واذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد اذ لا تكون الجملة موضع من الاعراب حتى يكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الاولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهرا والاشراك بها في الحكم موجودا فاذا قلت مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد اشركت الجملة الثانية في الحكم الاول وذلك الحكم كونها في موضع جر بانها صفة للنكرة ونظير ذلك بكر وانت تريد بهما والذي يشكل امر هو الضرب الثاني وذلك ان تعطف على الجملة العارية الموضع من الاعراب جملة اخرى كقولك زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح لا سبيل لنا الى ان يدعي ان الواو اشركت الثانية في اعراب قد وجبت للاولى بوجه من الوجوه فاذا كان كذلك ينبغي ان يعلم المطلوب من هذا العطف والغرض منه ولم يستو الحال بين ان تعطف وبين ان تدع العطف فتقول زيد قائم وعمرو قاعد بعد ان لا يكون هنا امر يعقول يدعى بالعاطف لتشرك بين الاول والثانية فيه واعلم انه انما يعرض الاشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف وذاك لان تلك تفيد مع الاشراك معاني مثل ان الفاء توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه مع تراخ وأو ترد الفعل بين شيئين وتجعله لاحد هما لا بعينه فاذا عطفت بواحدة منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة فاذا قلت اعطاني فشكرته ظهر بالفاء ان الشكر كان معقبا على العطاء ومباشرا له واذا قلت خرجت فخرج زيد افادت ثم ان خروجه كان بعد خروجك وان مهلة وقعت بينهما واذا قلت يعطيك او يكسوك دلت او على انه يفعل واحدا منهما لا بعينه وليس للواو معنى سوى الاشراك في الحكم الذي يقتضيه الاعراب الذي وقعت فيه الثاني للاول فاذا قلت جاءني زيد وعمرو ولم تقد بالواو شيئا اكثر من اشراك عمرو في المجيء الذي اثبته لزيد والجمع بينه وبينه ولا تقصد اشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يعقل ذلك الاشراك فيه فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا في قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى نزعم ان الواو اشركت بين هاتين الجملتين فيه ثبت اشكال المسئلة ثم ان الذي توجبه النظر والتامل ان نقال في ذلك انا وان قلنا زيد قائم وعمرو قاعد فانا لا نزعم

حكما يرجعان الواوحات للجمع بين الجملتين فيه فانا نرى امرا اخر يحصل معه على بعض الجمع وذلك انا نحو قولك زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو مسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين وحيث اذا عرف السامع حال الاول عساه ان يعرف حال الثاني وبيد لك على ذلك انك حيث تعطف على الاول شيا يبين منه سببية هو مما نذكره ونمثل حديثه محدثك لم يستتم فلو قلت خرجت اليوم من داري ثم قلت واحسن الذي يقول بعد كذا قلت ما يضحك منه ومن هنا عابوا ابا تمام في قوله

* لا والذي هو عالم ان النوى * صبرٌ وان ابا الحسين كريم *

وذاك لانه لا مناسبة بين كرم ابي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لاحدهما بالاخر وليس يقتضي الحديث بعدها الحديث بذاك واعلم انه كما يجب ان يكون المحدث عنه في احدى الجملتين سبب من المحدث عنه في الاخرى كذلك ينبغي ان يكون المخبر عنه الثاني مما يجري مجرى الشبه والنظير او النقيض للخبر عن الاول فان قلت زيد طويل القامة وعمرو ناعور كان خلفا لانه لا مشاكلة ولا تعلق بين طول القامة وبين النعور وانما الواجب ان تقول زيد كاتب وعمرو شاعر او زيد طويل القامة وعمرو قصير وجملة الامر انها لا تحتى حتى يكون المعنى في هذه الجملة لغفا للمعنى في الاخرى وشبيها له مثل ان زيدا وعمرا اذا كانا اخوين او نظيرين وسبكي الاحوال على الجملة كان لكل الذي يكون عليها احد هما من قيام او قعود او ما شاكل ذلك مضمومة في النفس الى الحال التي يكون عليها الاخر من غير شك وكذا السبيل ابدا والعهد في ذلك كالا تخاس فاما قولك مثلا العلم حسن والجهل قبيح لان كون العلم حسنا مضموم في المعقول الى كون الجهل قبيحا واعلم انه اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا هو يقول ويفعل وينصر وينفع ويحسن ويسيء ويأمر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ ويعطي ويمنع ويضر وينفع ويأكل ويشرب واشباه ذلك اراد بمعنى الجمع في الواو قوة وظهورا وكان الامر حينئذ صريحا وذلك انك اذا قلت هو يضر وينفع كنت قد افدت بالواو انك اوقعت له الفعلين جميعا وجعلته بفعلهما بعثا ولو قلت تضر ينفع من غير واو لم يحصل ذلك بل قد يجوز ان يكون قولك ينفع رجوعا عن قولك يضر وابطالا له واذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة ازداد الاشكال والالتباس حتى لا تصور تعذر افراد في احدهما عن الاخر وذلك في مثل قولك العجب من اني احسنت واسأت وبكيك ما قلت

وسمعت وحسن ان تنهى عن شيء وتأتي مثله وذلك انه لا يستقيم على عامل ان المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد ومن البين في ذلك قوله

* لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم * وان يكف الاذى عنكم ونؤذونا *

المعنى لا تطمعوا ان ترموا اكراما فقد وجد منكم اهانتكم وجاز هنا في الحصول ومما له حاذ لطيف في هذا الباب قوله اي تمام

* لهان علينا ان نقول ونفعلا * وتذكر بعض الفضل منك وتفضلا *

واعلم انه كما كان في الاسما ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلة معناه لمن واصل وصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي تحتاج في اتصالها بالموصول الذي يسبقها به وكالتأكيد الذي لا تستقيم كذلك الا بما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما يتصل من ذاتها بالتي قبلها ويستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها وهي كل جملة كانت موكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت اذا حصلت لم تكن شيا سواها كما لا تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد فاذا قلت جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم لم تكن الظريف وكلهم غير زيد وغير القوم ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قوله لا ريب فيه بيان وتأكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له ويجوز له ان يقول هو ذلك الكتاب فتعيد مرة ثانية ليس يثبت الخبر عن الخبر ولا يبني بعضه على بعض احتاج الى ضمائر يضمه ويعاطف بعضه ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم قوله لا يؤمنون تأكيد لقوله سواء عليهم انذرتهم او لم تنذرهم وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم تأكيد ثان ابلغ من الاول لان من كان حاله اذا انذر مثل حاله اذا لم ينذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعا مطبوعا على قلبه لا محالة وكذلك قوله عز وعلا ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله الما مثل يخادعون ولم يقل يخادعون لان هذه المخادعة ليست شيا غير قولهم امنا من غير ان يكونوا موصوفين بايمان اكثر منه كلام آخر هو في معناه وليس شيا سواه وهكذا قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون وذلك لان معنى قولهم انا معكم انا مثلكم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به تخرصات وتمويهات وقولهم انما نحن مستهزئون خبر يبتدئ الدعي بعينه انه

لا فرق بين ان يقولوا انا لم نعلم بالمنام من انا حتى الاستهزاء وبين ان يقولوا انا لم نخرج
من دينكم وانا معكم بل بما في حكم الشيء الواحد فصار كانهم قالوا انا معكم انا لم نفارقكم فكيف
لا يكون انا لم نفارقكم شيئا غير انا معكم كذلك لا يكون انا نحن مستهزئون غيره فاعرفه

ومن المواضع التي في هذا المعنى

قوله تعالى واذا اتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا الآن المقصود
من التشبيه ممن في اذنيه وقر هو بعينه المقصود من التشبيه ممن لم يسمع الآن الثاني
ابلغ واكد في الذي اريد وذلك ان المعنى في التشبيهين جميعا ان ينفي ان تكون تلاوة ما
تلي عليه من الآيات فايدة سمعه ويكون لها تاثير فيه وان يجعل حاله اذا تليت عليه كحاله
اذا لم تتل ولا شبهه في ان التشبيه ممن في اذنيه وقر ابلغ واكد في جعله كذلك حيث كان
من لم يصح منه السمع وان اراد ذلك ابعد من ان يكون لتلاوة ما تتلى عليه فايدة من
الذي يصح منه السمع الا انه لا يسمع اما اتفاقا واما قصدا الى ان لا يسمع فاعرفه
واحسن تدبره ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
وذلك ان قوله ان هذا الا ملك كريم مستانف لقوله ما هذا بشرا وداخل في حكمه
من ثلاثة اوجه وجهان منها يومئ بهما شبيه بالتاكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة
فاحد وجهي كونه شبيها بالتاكيد هو انه اذا كان ملكا لم يكن بشرا واذا كان كذلك كانت
اثبات كونه ملكا تحقيقا لامحاله وتاكيدا لنفي ان يكون بشرا والوجه الثاني الذي
في العرف والعادة انه اذا قيل ما هذا بشرا وما هذا بادمي والحال حال تعظيم وتعجب
مما يشاهد في الانسان من حسن خلق او خلق ان يكون الغرض والمراد من الكلام ان
يقال انه ملك وان يكنى به عن ذلك حتى لا يكون مفهوم اللفظ واذا كان من اللفظ
قبل ان يذكر كان ذكره اذا ذكر تاكيدا لامحاله لان حد التاكيد ان يحقق باللفظ معنى
قد فهم من لفظ احر قد سبق سمك افلا ترى انه اما كان كلام في قولك جاءني القوم كلهم
تاكيدا من حيث كان الذي فهم منه من الشمول قد فهم بدياً من ظاهر لفظ القوم ولو
انه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم ولا كان من موجبه لم يكن كل تاكيد اولكان الشمول
مستفادا من كل ابتداء واما الوجه الثالث الذي هو فيه شبيه بالصفة فهو انه
اذا نفى ان يكون بشرا فقد اثبت له جنسا سواه اذ من المحال ان يخرج من جنس البشر
ثم لا يدخل في جنس اخر واذا كان الامر كذلك كان اثباته ملكا تعيينا وتخصيصا لذلك
الجنس الذي اريد ادخاله فيه واغنانا عن ان يحتاج الى ان يسال فيقول فان لم يكن

بشرا فما هو وما جنسه كما انك اذا اولت مررت بزيد الظريف كان الظريف تعيينا
وتخصيصا للذي اردت من بين من له هذا الاسم وكنت قد اعدت الخطاب في الفائدة
الى ان يقول اي الرجل اردت ومما حاذيه الاثبات بان والا على هذا الحد قوله
عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين وقوله وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى افلا ترى ان الاثبات والاستثناء جميعا تاكيد لنفي ما نفي
فاثبات ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم واوحي اليه ذكرا وقرانا تاكيد ونفيت ان
يكون قد علم الشعر وكذلك اثبات ما يتلوه عليهم وحي من الله تاكيد وتقرير لنفي ان
ينطق به عن هوى واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة انت تقول فيه انه دقيق
غامض وقد يتفق صعب الاوعر هذا الباب اخمص منه واخفى واذن واصعب وقد وضع
الناس فيه بان يقولوا اذا راوا جملة قد ترك فيها العطف ان الكلام قد استوفى وقطع
عما قبله لا تطلب الفهم منهم زيادة على ذلك ولقد عملوا عوله شديدة ومما هو اصل
في هذا الباب انك قد تترك الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن الى اخيه
ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لامر عرض فيها صارت به اجنبيه مما قبلها مثال
ذلك قوله الله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الظاهر كالذي
يقتضي ان يعطف على ما قبله من قوله انما نحن مستهزئون وذلك انه ليس يخفى
في هو نظير ما جاء معطوفا من قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقوله وسكروا
ومكر الله وما اشبه ذلك مما يرد فيه التجزع على الصدر ثم انك تجده وقد جاء غير معطوف
وذلك لامر اوجب ان لا يعطف وهو ان قوله انما نحن مستهزئون حكاية عنهم انهم
قالوا ولبس يخبر من الله تعالى وقوله تعالى الله يستهزئ بهم خبر من الله تعالى انه يجازيهم
على كفرهم واستهزائهم واذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة ان يكون الذي
هو من خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم ولا يخفى ذلك على احد خبر من
الله تعالى الى كونه حكاية عنهم ولي ان يكونوا قد قالوه واعلى انهم بانهم مواعدون
وان الله تعالى عالم عليه وليس كذلك الحال في قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم
ومكروا ومكر الله لان الاول من الكلامين فيهما كالثاني في انه خبر من الله تعالى وليس
كذلك وهذا هو العلة في قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم بهم المفسدون ولكن لا يشعرون انما جاء انهم بهم المفسدون ساغ
مقترنا بالا لانه خبر من الله تعالى بانهم كذلك والذي قبله من قولهم انما نحن مصلحون

حكايته عنهم فلو عطف اللزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية ويسار خبرا من انهم وصفا منهم لانفسهم بانهم مفسدون ونصارى كانه قيل قالوا انما نحن مصلحون وقالوا انهم هم المفسدون وذلك ما لا يشك في فساده وكذلك قوله واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفها الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون لو عطف انهم هم السفها على ما قبله لكان يكون قد ادخل في الحكاية ويسار حديثا منهم عن انفسهم بانهم هم السفها من بعد ان زعموا انهم انما تركوا ان يؤمنوا لئلا يكونوا من السفها على ان في هذا امرا اخر وهو ان قوله انؤمن استفهام ولا يعطف الخبر على الاستفهام فان قيل هلا كان يجوز ان يعطف قوله الله يستهزئ بهم على قالوا من قوله قالوا انا معكم لانا على ما بعده وكذلك كان يفعل بالذين امنوا منهم المفسدون وانهم هم السفها وكان يكون نظير قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون وذلك ان قوله ولو انزلنا ملكا معطوف على قالوا دون ما بعده فقل ان حكم قالوا فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك ان قالوا انما هو جواب شرط فلو عطف قوله الله يستهزئ بهم عليه للزم اخذا له في حكمه من كونه جوابا وذلك لا يصح وذلك انه متى عطف على جواب الشرط بنيّ قالوا كان ذلك على ضربين احدهما ان يكونا سببين يتصور وجود كل واحد منهما من دون الاخر ومثاله قولك ان تاتني اعطك واكسك والثاني ان يكون المعطوف شيئا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون الشرط كذلك سببا فيه بواسطة كونه سببا للاول ومثاله قولك اذا رجع الامير الى الدار استاذنه وخرجت فالخروج لا يكون حتى يكون الاستيذان وقد صار الرجوع سببا في الخروج من اجل كونه سببا في الاستيذان وهلون المعنى في مثل هذا على كلا الضربين نحو اذا رجع الامير استاذنته واذا استاذنته خرجت واذا عرفت ذلك فانه لو عطف قوله تعالى الله يستهزئ بهم على قالوا كان يصير معه ان يكون من هذا الضرب الثاني وان يكون المعنى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون واذا قالوا ذلك استهزء الله بهم وهذا معنى باطل بهم وهذا ان كان جرى انه مستقيم وليس هو مستقيم وذلك ان الخبر انما هو على نفس الاستهزاء ولم يرد به ان اراد بهم انه في حوانم انما استأنف لاجل ابهم حدثوا عن انفسهم بانهم مستهزئون والعطف على ما قالوا يقتضي ان يكون الخبر على حدثهم عن انفسهم بالاستهزاء لا عليه نفسه وبين ما ذكرنا من ان الخبر اجنبي

ان يكون على قصدهم الاستهزاء وتعليم لهم انهم على انفسهم بانما مستهزئون انهم لو كانوا قالوا انكم انما نحن مستهزئون وهم يريدون بذلك ردعهم عن انفسهم هذا الكلام وان يبلغوا من شرهم وان يوبخوهم انهم سفهاء وانهم لم يكونوا كذلك لكان لا يكون عليهم مواخذة فيما قالوه من حيث كانت المواخذة تكون على الاستهزاء والخديعة في اظهار الايمان لا في القول انا استهزئنا من غيرنا ان يقترن بذلك القول اعتقاد وتبيه هذا وهيا امر سوا ما مضى توجب الاستيناف وترك العطف وهو ان الحكاية عنهم بانهم قالوا كيت وكيت يحرك السامعين لان يعلموا مصير امرهم وسامع بهم وانزل الثقة بهم عاجلا ام لا فيتذلوهم ويتوقع في نفوسهم التمني لان يبين لهم ذلك واذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو قوله الله يستهزئ بهم في معنى ما يصدر جوابا عن هذا المقدر ووقوعه في نفس السامعين واذا كان مصدرة كذلك كان حقه ان يوتى به مبتدا غير معطوف ليكون في صورته اذا قيل فان سائلهم فقيل لهم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا استقرت وجدت هذا الذي ذكرت لك من نظم الكلام اذا اجاب عقب ما يقتضي سوالا منزلته اذا صرح بذلك السوال كيف ترى لطف ذلك قوله

« زعم العواذل انني في غمرة ٭ صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي »

لما حكى عن العواذل انهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع لان سامعه قد يقول لما قولك في ذلك وما جوابك عنه اخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له وصار كانه قال اقول صدقوا انا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في ملامتي ولو قال زعم العواذل انني في غمرة وصدقوا لكان يكون لم يضع في نفسه انه مسؤول وان كلامه كلام مجيب وسئله قول الاخر في الحماسة

« زعم العواذل انناقة جرد به ٭ بحبوحة غرة واجتنبوا »
« كذب العواذل لو رأين سراحها ٭ بالقاعة سبة فلن طلع وذلت »

وقد زاد هذا الشاعر امر القطع والاستيناف وتقدير الجواب تاكيدا وضع الظاهر موضع المضمر فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه لما اعاد ذكر العواذل ظاهرا كان ذلك ابين وافوى لكونه كلاما مستانفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه الى ما قبله والى ما هو ليس قبله كلام وما هو على ذلك قوله الاخر

« زعم ابن اخوتكم قريش لئيم الف وليس كما الف »

وذاك ان قوله لئيم الف تكذيب لدعواهم انهم من قريش ولو اراد تمزيا ان يقول كذبهم

لم الف وليس لكم الا الف ولو قال زعيم ان اخوتكم قريش ولهم الف وليس لكم الا الف لصار
كمن قال تقول زعيم ان اخوتكم قريش وكذبتم في انه كان يحرج عن ان يكون موضوعا
على انه جواب سائل يقول له فما اقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم فاعرفه واعلم
انه لو اظهر كذبتم لكان يجوز ان يعطف هذا الكلام الذي هو قوله لهم الف عليه فيقول
فتقول كذبتم فلهم الف وليس لكم ذلك فاما الان فلا سماع لدخول الفا البتة لانه
يصير حينئذ معطوفا بالفا على قوله زعيم ان اخوتكم قريش وذلك يخرج الى العجب
من حيث يصير كانه يستشهد بقوله لهم الف على ان هذا الزعم كان منهم كما انك
اذا قلت كذبتم فلهم الف كنت قد استشهدت عند ذلك على انهم كذبوا فاعرف ذلك وتدبر
اللطيف في الاستئناف على ما مضى وجعل الكلام جوابا في التقدير قوله البريدي

• ملكته حبلى وكنه العناء من زهد على عاذلي •

• وقال اني في الهوى كاذب • استغفر الله من الكاذب •

استئناف قوله استغفر الله من الكاذب لانه جعل نفسه كانه جعب سائلا له فاقول
فيما اتمسك به من انك كاذب فقال اقول استغفر الله من الكاذب ومن الناه رائيشا
في ذلك قوله القائل

• قالت لي كيف انت قلت عليل • سهر دائم وحزن طويل •

لما كان في العادة اذا قيل للرجل كيف انت فقال عليل ان يسأل ثانيا فيقال له ما بك
وما علتك فكانه قد قيل له ذلك فاتى بقوله سهر دائم جوابا عن هذا السؤال
المفهوم من محكي الحال فاعرفه ومن الحسن البين في ذلك قول المتنبي

• وما عرفت الرياح له محلا • عفاه من حدا بهم وساقا •

لما نفى ان يكون الذي يرى به من آله وربوبه والعفاء من الرياح وان يكون التي تقلت
ذلك وكان في العادة اذا نفي الفعل الموجود الحاصل عن واحد فقيل لن تفعله فلا
ان يقال فمن فعله قد يكون فلا قال قد وجدت ان الرياح لم يعف له محلا فاعفاه
اذا فقال يجيبه له عفاه من حدا بهم وساقا وسئله قول الوليد بن يزيد

• عرفت المنزل الخالي • عفا من بعد احوالي •

• عفاه كل جثان • عسوف الويل هطال •

لما قال عفا من بعد احوالي فقد كانه قيل له فما عفاه فقال عفاه كل جثان واعلم
ان السؤال اذا كان ظاهرا مذكورا في مثل هذا كان الاكثر ان لا يذكر الفعل في الجواب

ويقتصر على الاسم وحده فاما مع الاضمار فلا يجوز الا ان يذكر الفعل تقدير
هذا انه يجوز ذلك اذا قيل ان كانت الرياح لم تعفه فما عفاه ان يقول من حذا بهم
وساق ولا يقول عفاه من حدا كما يقول في جواب من يقول من فعل هذا زيد
ولا يجب ان يقول فعله زيد واما اذا لم يكن السؤال مذكورا كالذي عليه البيت فانه
لا يجوز ان يقول ذكر الفعل فلو قلت مثلا وما عفت الرياح اه محلا حتى حذا بهم وساقا
يرجع ان اردت عفاه من حذا بهم ثم تركت ذكر الفعل احلت لانه انما يجوز تركه حيث
يكون السؤال مذكورا الان ذكر فيه بدل على ارادته في الجواب فان لم تات بالسؤال
لم يكن الى العلم به سبيل فاعرف ذلك واعلم ان الذي يراه في التنزيل من لفظ قال فعسى
غير معطوف هذا هو التقدير فيه ولكنه والله اعلم اعني مثل قوله هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم فقال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا
لا تخف حتى ما يقع في انفس المخاطبين من السؤال فلما كان في العرف والعادة فيما
بين المخاطبين اذا قيل دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان تقولوا اذا قال هو وتقول
المجيب قال فلان كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه
وسلك بالفظ معرم المسلك الذي يسلكونه وكذلك قوله الا تاكلون وذلك ان قوله
فجاء بعجل سمين فقربه اليهم يقتضي ان يتبع هذا الفعل بقول فكانه قيل والله اعلم
ما قال حين وضع الطعام بين ايديهم فاتى بقوله قال الا تاكلون جوابا عن ذلك
وكما قالوا لا تخف لان قوله فاوجس منهم خيفة يقتضي ان يكون من الملائكة كلام
في نفسه وتسكينه مما خامره فكانه قيل فما قالوا حين راوه وقد تغير وجهه للخيفة
فقيل قالوا لا تخف وذلك والله اعلم المعنى في جميع ما يجيء منه على كثرته كالذي يجيء في
قصة فرعون وفي رد موسى عليه السلام عليه كقوله قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون
قال ربكم ورب اباءكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فاذا ذلك كله والله اعلم
على تقدير السؤال والجواب كالذي جرت به العادة فيما بين المخاطبين فلما كان السامع
مما اذا سمع الخبر عن فرعون بانه قال ورب العالمين وقع في نفسه ان يقول

فما قال موسى عليه السلام له اى قوله قال رب السموات والارض ما فى الجواب مبتدا
محذوفا غير معطوف وهكذا التقدير والتصوير ابدا فى كل ما جاء فيه لفظ قال هنا
الخبى وقد يكون الامر فى بعض ذلك اشد وضوحا كما هو فى عامة الوضوح قوله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وذلك انه لا يخفى على
عاقل انه جاء على معنى الجواب وعلى ان ترك السامعون كانهم قالوا انا قال له الملائكة
فقيل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وكذلك قوله عز وجل فى سورة يس واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شئ ان
انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم
بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون التقدير الذى قدرناه من معنى السؤال والجواب
بين ظاهر فى ذلك كله وبالله التوفيق للصواب والعصمة من الزيغ ع .

فصل واذ قد عرفت هذه الاصول والقوانين فى بيان فصل الجمل
ووصلها فاعلم انا قد حصلنا من ذلك على ان الجمل على ثلاثة اضرب جملة حالها مع
التى قبلها حال الصفة مع الموصوف والتاكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة
لشبهه العطف فيها لو عطفت بعطف النسق على نفسه وجملة حالها مع التى قبلها حال الاسم
يكون خبرا لذى قبله الا انه يشاركه فى حكم ويدخل معه فى معنى مثل ان يكون كلاهما خبرين
او حالا او معمولا او مضافا اليه فيكون فيها العطف وجملة تشبه فى بعض الحالين
جملة يسئل عنها مع التى قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شئ فلا يكون اياه ولا مشاركا
له فى معنى بل يعوض ان تذكر ما لا مرية بعد به ويكون ذكر الذى قبله وترك الذكر سواء
فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه راسا وحق هذا ترك العطف البتة وترك العطف يكون
اما للانسداد الى الغاية او للاتصال الى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين
وكان له حال بين الحالين فاعرفه ع هذا هو

فاعلم ان مما يعلل نظر الناس فيه من امر العطف انه قد
يوتى بالجملة ولا عطف على ما قبلها ولكن تعطف على جملة غيرها وبين هذه التى تعطف جملة
او جملتان مثال ذلك قوله المتنبى ع

«تولوا بغته فكانّ جبنا ، يخبّرهم بما لاقى اعادى»
«فكان سيرهم ميلا ، وسير الدمع انهم ابتعادا»

قوله فكان سير عيرهم معطوف على تولوا بغته دون ما يليه من قوله وما بهم
لانا ان عطفناه على هذا الذى يليه افسدنا المعنى من حيث انه يدخل فى معنى كان وذلك
يودى الى ان لا يكون سير عيرهم حقيقة ويكون تومها كما كان سبب البين لذلك وهذا
اصل كبير والسبب فى ذلك ان الجملة المتوسطة من هذه المعطوفة اخيرا وبين المعطوف
عليها الاولى مرتبط بعضها بسلك الاولى كالذى ترى ان قوله فكان بينا صدق مرتبط
بقوله تولوا بغته وذلك ان الثانية مسبب والاولى سبب الاترى ان المعنى تولوا بغته
فتوهمت ان جنا فصبنى ولا شك ان هذا التوهم كان مسببا ان كان التولى بغته واذا
كان كذلك كانت مع الاولى كالشئ الواحد وكان منزلتها منها منزلة المفعول والظرف
وسائر ما يجئ بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن افراده عن الجملة والبغته
كلاما على حدته ع ، وهاهنا شئ اخر دقيق وهو انك اذا نظرت الى قوله فكان سير
عيرهم ذميلا وجدته لم يعطف هو فقط بل وجدته وحده على ما عطف عليه ولكن تجد العطف
قد تناول جملة البيت مربوطا اخره بأوله الاترى ان الغرض من هذا الكلام ان يجعل
تولّيهم بغته وعلى الوجه الذى توهم من اجل ان البين بغته سند عيرهم كما ووجب
ان يتوهم معه فلم بغته ان يذكر ذميلا لان العيس لا تذكر هملات الدمع وان يوقف
بينهما وكذلك الحكم فى الاول فحص وان كنا قلنا ان العطف على تولوا بغته وانا لا نعنى ان
العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده بل العطف عليه مضموما اليه ما بعده الى اخره
وانما اردنا بقولنا ان العطف عليه ان يعلم انه الاصل والقاعدة وان يعرف عن ان
نظرجه وتجعل العطف على ما يلى هذا الذى تعطفه فرعا ان قوله فكان سير عيرهم معطوف
على فاحاى فمنع الخطا كالذى ارسلك فامر العطف انما هو موضوع على انك خطوت بانيه
على جملة وتعمد اخرى الى جملتين او جمل فتعطف بعضها على بعض ثم تعطف مجموع عدة
على مجموع تلك وينبغى ان تجعل ما يصنع فى الشرط والجزاء من هذا المعنى اسلا تعتد به
وذلك انك متى ترى حتى تشيب جملتين قد عطف على الاخرى احدهما تمام جعلنا المحمول
شرطا وسئالة ذلك قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا الشرط كالاعطى فى مجموع الجملتين لا فى كل واحدة منهما على الانفراد ولا فى
واحدة دون الاخرى لانا ان قلنا انه فى كل واحدة منهما على الانفراد جعلنا مجازاة من

واذا احصلنا هما شرطين انتفى جزأن وليس بعضا الاخر واحد وان قلنا انه في احدهما دون الاخر فلم يوجد فيه اشتراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساده ثم انا نعلم من طريق المعنى ان الجزء الذي هو احد جزأي الانسان والانام الذين امر بتعلق الحكم بالمجموع ما حصل من الجملتين وليس هو لا كتساب الخطيئة على الانفراد ولا يجوز ان يرى بالخطيئة والانام على الاطلاق بل يرى الانسان البريء خطيئة اذا ما كان من الوارد وكذلك الحكم اذا قلت انت طالق ومن يخرج من بيته فهو ان الى بيت وسوء ثم لم يدركه الموت فقد وقع اجر على انه لم تعلق الحكم فيه بالمخرج على الانفراد بل بما مخرجنا الزمان يدركه الموت عليها واعلم ان سبيل الجملتين في هذا وجعلهما مجموعا بمنزلة الجملة الواحدة سبيل الجزأين تعقيبهما الجملة ثم جعل المجموع خبرا وصفة او حالا كقولك زيد قام غلامه وزيد ابوه كريم ومررت برجل ابوه كريم وجاءني زيد وجهه مثل وجهه فكما يكون الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع الجزأين لا في احدهما كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين لا في احدهما واذا اعلمت ذلك في الشرط فاعتبره في العطف فانك تجده مشكلا سواء وصالا يكون العطف فيه الا على حد الحد قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين لو حررت على الظاهر لجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها تبع سنه المعنى وذلك انه يلزم منه ان يكون قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو معطوفا على قوله فتطاول عليهم العمر وذلك يقتضي دخوله في معنى لكن ويصير كانه قيل ولكنك ما كنت ثاويا وذلك ما لا يخفى فساده واذا كان كذلك بان سنه انه ينبغي ان يكون قد عطف مجموع وما كنت ثاويا في اهل مدين الى مرسلين على مجموع قوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فان قلت فهلا قدرت ان يكون وما كنت ثاويا في اهل مدين معطوفا على وما كنت من الشاهدين دون ان ترعم انه معطوف عليه مضموما اليه ما يتبعه الى قوله انا كنا مرسلين لانا نقدر ذلك وجب ان ينوي به التقديم على قوله ولكنا انشأنا قرونا دون ان يكون الوسط وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم اياتنا ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ولكنا كنا مرسلين وفي ذلك ازاله لكل عن موضعها الذي ينبغي ان يكون فيه ذلك لان سبيل لكن سبيل الا ومحال ان يقول حاش العوم وخرج اصحابك الا

زيدا والاحمر اجعل الا زيدا استثنا من حاش القوم والاحمر من خرج اصحابك الا ذلك لا يجوز ان يصنع مثل ذلك لكن معوله ما جاءني زيد وما خرج عمرو لكن كرما جاءني ولكن جاءك خارج واذا لم يجز ذلك وكان تقدير ذلك الذي رجحت يؤدي اليه وجب ان يحكم باستباعه فاعرفه هذا واما يجوز فيه التاخير في نحو عساه يفعل له ذلك التاخير مثل ان يكون الاسم مفعولا يقتضيه ان يكون بعد الفاعل واذا قدم على الفاعل فوق به التاخير ويعني لكن في الآية يقتضي ان يكون في موضعها الذي هي فيه فلك يجوز ان يتوى بها التاخير به الى موضع اخر

في امر اللفظ والنظم فيها فصل تحد التصريح وزيادة كشف عما فيه من السر

فصل وعلط الناس في هذا الباب كثير فمن ذلك انا نجد كثيرا ممن يتكلم في بيان البلاغة اذا ذكر ان للعرب الفضل والمزية في حس النظم والتالف وان لهما في ذلك شانا وبلغه الدخلا في كلامهم والموازنون جعل يعلل في ذلك بان يقول انهم كانوا فان الفهم فيها بالطبع وليا بالتكلف وان علم الدخيل في اللغات والاكتساب سلم من يشاء عليها ويدري متى اول امره بها واشباه هذا مما يوهم ان المزية انما هي في جانب العلم باللغة وهو خطا عظيم وغلط منكر ويعني فاعلمه الى دفع الانكار من حيث لا تعلم وذلك انه لا يثبت انكار حتى يثبت مزايا يعوت علوم الشعر ويعصر قوى طرفهم عنها ومعلومات ليس في بيان افكارهم وخواطرهم ان يعني بهم اليها ويطلعهم عليها وذلك محال فيما كان على بابه اللغة لانه يؤدي الى ان يحدث في لا بل اللغة ما لم يوضع عليه اهل اللغة وذلك ما لا يخفى استباعه على عاقل واعلم انا لم نوجب المزية من اجل العلم بالنحو الفروق والوجوه ونسنده الى اللغة ولكنا اوجبناها للعلم بوضعها وما ينبغي ان يصنع فيها فليس الفضل للعلم بان الواو للجمع والفاء للتعقيب حتى يخرج له شرط التراخي وان لكذا واذا لكذا او لكن لان يشاركك اذا ابطنت شعرا واعنت رشدا ان يحس النحو وان يعرف لكل من ذلك موضعه واصوا احراد اما طلقه الانسان انف من حكاية هذا القول فضلا عن اعتقاده وهو ان المزية لو كانت تحدث من احل اللغة والعلم بما وضعها وما اراده الواضع فيها لكان ينبغي ان لا تحب الا لمن يعلم الغاوم وان اذا وما اشبه ذلك مما يعبر عنه وضع لغوي فكانت لا تحب لاصل وترك العطف والحذف والتكرار والتقديم والتاخير وسائر ما هو من هذا الجنس التالف وتقتضيها الغرض الذي نؤم والمعنى الذي نقصد وكان ينبغي ان لا تحب

ان لاعجب المرية مما يستبد به الشاعر والخطيب في كلامه من استعارة اللفظ الذي ليس
بمستعمل له وان لا تكون الفضيلة الا في استعارة قد تعورفت في كلام العرب وكثر
جريانه ولم يكن هذا الاستبداء وهذا الغلط الا لانه ليس في جملة الخفايا والمشكلات
عرف مدعاها في العموم وقد اعجب منها هذه التي نحن نصددها ولا اكثر تعلقا من
العوام والسفلة لانه وان الذي قاله العلما والبلغا في صفتها والاخبار عنها رموزا لها
الانس بعوني مثل جاليم من لطف الطبع ومن هو منهما لعلم تلك الاستارات حتى كان
تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح والاذهان قد تواضعت فيما بينها على ما يسلك
سبيل الترجمة بتواطا عليها قوم فلا تعدوهم ولا يعرفها من ليس منهم وليت شعري
من اين لمن لم يتعب في هذا الشان ولم يمارسه ولم يوقع عنايته عليه ان يظن في قول
الحاطئ وهو يذكر اعجاز القرآن ولو ان رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة
قصيرة او طويلة ليتبين له في بعضها وعجزها من اولها وظاهرها انه عاجز عن مثلها
ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر عجزه عنها وقوله وهو يذكر رواة الاخبار ودواعيهم فقد طالما شاهدنا لهم وسمعنا لا يقعون على الالفاظ المخترعة والمعاني
المنتخبة والمحارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد
وعلى كل كلام له ماء ورونق وقوله في بيت الخطيبة ع

« متى يأته يعشو الى ضوء ناره » يجد خير نار عندها خير موقد

وما كان ينبغي ان يمدح لهذا البيت الاعشى بوجه اهل الارض على ان لم اجعل عناء
الكرماني في غلطه وطبعه وحمقه وسبكه منهم منه شيئا او يعف للطابع والنظار
و الصيب والسبك والمحارج السهلة على يعني او على منه متى وكيف بان يعرفه وربما
خفي على كثير من اهله واعلم ان الداء الدوي والذي عيي امره في هذا الباب لعلماء
قدم الشعر وعلمائه وامثل الاحتمال باللفظ وحمل لا يعطيه من المزية ان هو اعمل الا
ما فصل عن المعنى بعوله ساقي اللفظ لولا المعنى وهل الكلام الا معناه فانت تراه
لا تقدم شعرا حتى يكون قد اودع حكمة او ادبا واشتمل على تشبيه غريب ومعنى
نادر فان مال الى اللفظ شيئا ورأى ان تحلة بعض الفضيلة لم يعرف غير الاستعارة
ثم لا ينظر في حال تلك الاستعارة احسنت لمجرد كونها استعارة ام من اجل فرق
ووجه ام للامرين لا تجعل عمدة لوجه قد قنع بظواهر الامور وبالجهل وبان
يكون كمن يجلب المتاع للبيع انما همه ان يروح عنه ري انما اذا تكلم في الاخذ والرد

واحسن ان يقول اخذه من فلان والم به يقول فلان فقد استكمل الفضل وبلغ
اقصى ما يراد واعلم انا وان كنا اذا احببنا العرف والعادة وما يحسن ويستحسن
عليه العامة انما ذلك ان الصواب معهم والقول يجب ان يكون على المعنى وانما
الذي لا سوغ القول بخلافه فان الامر بالسند اذا جاء الخفاق والى ما عليه
المحصلون لا ما لا نرى مستفيدا في علم البلاغة سبيلا في شاهدا الا وهو بيكر هذا
الراي ويعيبه ويزري على القايل به وبعض منه لمن ذلك ما روي عن الخزرجي
روي ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأله عن مسلم واي نواس ايما اشعر
فقال ابو نواس فقال ان ابا العباس تغلبا لا توافقك على هذا فقال ليس هذا من شان
تغلب وقد وبه من المتعاطين لعلم الشعر وذي عمله انما تعلم ذلك من دفع في مضايق
طرق الشعر التي يضايقه وانتهى الى ضروراته وعن بعضهم انه قال راى الخزرجي
وهي دفتر شعر فقال ما هذا فقلت شعر الشعري فقال ولي ان اسمعني فقلت
ان ابا العباس اقرأه عليه فقال قد رايت اباعباسكم هذا منذ اربعين
سنة فما رايته ناقد الشعر ولا مميز الالفاظ ورايته يستجيد شيئا وينشده وما
هو بافضل الشعر فقلت له انا نقده وتبينه لهذه صناعة اخرى ولكنه اعرف
الناس باعرابه وغريبه فما كان بينه قال قول الحارثي وعله

« قومي هم قتلوا اميم اخي » فاذا رميت يصيبني سهمي
« فلئن عفوت لاعفون جللا » ولئن سطوت لاوهنن عظمي

فقلت والله ما اشد شعرا الا احسن معنى ولفظ فقال ان الشعر الذي
فيه عروق الذهب فقلت مثل ماذا فقال مثل قول ابيه وانشد ع

« ان تعقلوك فقد ثللت عروشهم » بعتيبة بن الحارث بن شهاب
« باشد بهم كلبا على اعدائه » واعزهم فقدا على الاصحاب

اسرد الحكاية عن الخزرجي وفي مثل هذا قال الاعرابي

« زوامل الاشعار لا علم عندهم » بجيدها الا كعلم الاباعر
« لعمرك ما يدري البعير اذا غدى » باوساده ام راح ما في الغرائر

وقال آخر

« يا ابا جعفر احكم في الشعر وما ذيك آلة الحكام »
« ان نقد الدينار لا على الصيرف صعب فكيف نقد الكلام »

« قد رأيتك لست تفرق في الاشعار من الارواح والاجسام »

واعلم انهم لم يعيبوا قدامة الكلام لمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان ادق وحكمه وكان غريبا نادرا فهو اشرف مما ليس كذلك بل اعلموه من حيث كان من حكم من قضى في جنس من الاجناس بفضل او نقص ان لا نعتبر في قضيته تلك الا الاوصاف التي تخص ذلك الجنس وترجع الى حقيقته وان لا نشترط فيها الى جنس آخر وان كان من الاول بسبب ومتصلا به اتصال ما لا ينفك منه ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصناعة وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يصور والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم او سوار فكما ان محالا اذا اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ان ينظر الى الفضة الحاصلة تلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة لذلك محال اذا اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد معناه وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضه هذا اجود او فضة انفس لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل معنا ان لا يكون ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام وهذا قاطع فاعرفه واعلم انك لست تنظر في كتاب مصنف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ورأيتهم يشددون في انكاره وعيبه والعيب به واذا نظرت في كتب الحاطبي وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ويشدد دعابه الشدة وقد اعترف في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مشتركا ويوجي فيه من الخاسة والعامة قال وربات ناسا يتهرجون الاشعار المولدين ويستسقطون من رواها وادار ذلك قط الا في رواية غير بصير بها ورودي ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان وانا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استحسانه لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضره قرطاسا ودواة حتى كتبهما قال الحاطبي وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولو لا ان ادخل في الحلوة بعض الغيب لرجوت ان ابدا لا يقول الشعر ايضا وبما قوله

لا حسن الموت موت البلى وانما الموت سوال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا اشد من ذاك على كل حال

ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة في الطرق يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من التصوير وقد بين في كتب اسقط امر المعاني فاني ان نجب بها فضل قال وهي مطروحة في الطريق ثم قال وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا فاما ذلك ان فضل الشعر بلفظه لا بمعناه وانه اذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة واعاد طرفا من هذا الحديث في البيان فلعال ولقد رأيت انا عمرو الشيباني يكتب اشعارا من افواه جلسائه ليدخلها في باب التحفظ والتذكر ورأيته يميل الى اشياء ولذلك الشعر لا يستطيعون ابدا ان يقولوا شعرا جيدا وان كان اصرافهم من اولئك الاباعد قال ولولا ان اكون عشانا ثم تعلقا خاشعة لصورت لك بعض ما سمعت من ابي عبيدة ومن هو ابعد في ومعك من ابي عبيدة واعلم انهم لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ما بلغوه الا لان الخطابية عظيم وانه يقضي بصاحبه الى ان ينكر الاعجاز ويبطل التحدي من حيث لا يشعر وذلك انه ان كان العمل على ما يذهبون اليه من ان لا يجب فضل ومزية الا من جانب المعنى وحتى يكون قد قال حكمة او ادبا او استخرج معنى غريبا او شبيها نادرا فقد وجب اطراح جميع ما قالت الناس في الفصاحة والبلاغة وفي شان النظم والتالف وبطل ان يجب بالنظر فضل وان يدخله المزية وان يتفاوت فيه المنازل واذا بطل ذلك فقد بطل ان يكون في الكلام معجز وساغ لانسان ان يقول ما يقوله اليهود ومن قال مثل مقالتهم في هذا الباب ودخل في مثل تلك الجهالات وتعود بالله من العمى بعد الابصار [illegible] لا يكون لاحدى العبارتين مزية على الاخرى حتى يكون لها في المعنى تاثير لا يكون لصاحبتها فان ملت فاذا افادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا عبارتين عن معنى واحد بل بما عبارتان عن معنيين اثنين فسل لك ان فوائد المعنى في مثل هذا ايراده للغرض والذي اراد المتكلم ان يثبته او ينفيه من الحكم كقولك تقصد تشبيه الرجل الاسد فتقول زيد كالاسد ثم ترتيد هذا المعنى بعينه فتقول كان زيدا الاسد فتفيد بتشبيه ايضا الاسد الا انك تريد في تشبيهه به زيادة لم تكن في الاول وهي ان تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وانه لا يثبت له شيء حتى حيث لا تميز عن الاسد ولا تفصل عنه حتى يتوهم انه اسد في صورة

ادبى واذا كان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق مما وجب في
نظم اللفظ وترتيبه حيث قدم الكاف الى صدر الكلام وركبت مع ان واذا لم يكن
الى الشك سبيل ان ذلك كان بالنظم فاجعله العبرة في الكلام كله ورض نفسك على
تفهم ذلك وتتبعه واجعل فيها انك تزاول منه امرا عظيما لا يقادر قدره وتدخل
في بحر عميق لا يدرك قعره فصل هو في اخر يرجع الى هذا الكلام
قد علم ان المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بانه فصيح وبليغ
ومتخير اللفظ جيد السبك ونحو ذلك من الاوصاف التي نسبوها الى اللفظ واذا
كان هذا هكذا فبنا ان ننظر فيما اذا اتى به كان معارضا ما هو اهو ان يجيء بلفظه
فيضعه مكان لفظ اخر نحو ان يقول بدل اسد ليث وبدل بعد ناي ومكان
قرب دنا ام كيف ذلك ما لا يذهب اليه عاقل ولا يقوله من يعطي كيف ولو
كان ذلك معارضة لكان الناس لا يفصلون بين الترجمة والمعارضة ولكان كل من
فسر كلاما معارضا له واذا بطل ان يكون جهة المعارضة وان يكون الواضع نفسه
في هذه المنزلة معارضا على وجه من الوجوه علمت ان الفصاحة والبلاغة وسائر
ما يجري في طريقها اوصاف راجعة الى المعاني والى ما يدل عليه بالالفاظ دون
الالفاظ انفسها لانه اذا لم يكن في القسمة الا المعاني والالفاظ وكان لا يعقل تعارض
في الالفاظ المجردة الا ما ذكرت لم يبق الا ان تكون المعارضة معارضة من جهة
ترجع الى معاني الكلام المعقولة دون الفاظه المسموعة واذا عادت المعارضة
الى المعنى وكان الكلام يعارضه من حيث هو فصيح وبليغ ومتخير اللفظ حصل من
ذلك ان الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص ووجوه تكون
معاني الكلام عليها وعن زيادات تحدث في اصول المعاني كالذي اريتك فيما بين
زيد كالاسد وكان زيدا الاسد وان لا نصيب للالفاظ من حيث هي الفاظ فيها
بوجه من الوجوه واعلم انك لا تشفي الغلة ولا تنتهي الى ثلج اليقين حتى تتجاوز حد
العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا وحتى لا يقنعك الا النظر في زواياه والتغلغل
في مكامنه وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه وانتهى في البحث عن جوهر
العود الذي تصنع فيه الى ان تعرف منبته ومجرى عروق الشجر الذي هو منه وانا
لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الاعمال الصناعية كنسج الديباج
وصوغ الشنف والسوار وانواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعد ان يبلغ

مبلغا يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون
له بها صيت ويدخل في حد ما يعجز عنه الاكثرون وهذا القياس وان كان
قياسا ظاهرا معلوما وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترى العامة فيه كالخاصة فان
فيه امرا يجب العلم به وهو انه يتصور ان يبدا هذا فيعمل ديباجا ويبدع في نقشه
وتصويره فيجيء اخر ويعمل ديباجا اخر مثله في نقشه وهيئته وجملة صفته حتى لا
يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال الا انهما صنعة رجل واحد
وخارجان من تحت يد واحدة وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه
هذا ويجيء ذاك فيعمل سوارا مثله ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يغادر منها شيئا البتة
وليس يتصور مثل ذلك في الكلام لانه لا سبيل الى ان تجيء الى معنى بيت من الشعر او فصل
من النثر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصفته بعبارة اخرى حتى يكون المفهوم
من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا امر من الامور ولا يغرنك
قول الناس قد اتى بالمعنى بعينه واخذ معنى كلامه فاداه على وجهه فانه تسامح
منهم والمراد انه ادى الغرض فاما ان يؤدي المعنى على الوجه الذي يكون عليه في الكلام
الاول حتى لا تعقل ههنا الا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال
الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين ففي غاية الاحالة وظن
يفضي بصاحبه الى جهالة عظيمة وهي ان تكون الالفاظ مختلفة المعاني اذا فرقت
ومتفقتها اذا جمعت والف منها الكلام وذلك ان ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين
نحو قعد وجلس ولكن فيما فهم من مجموع كلام ومجموع كلام اخر نحو ان ينظر في قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة وقول الناس قتل البعض احياء للجميع فانه وان كان
قد جرت العادة من الناس بان يقولوا في مثل هذا انهما عبارتان معبرهما واحد
فليس هذا القول منهم قولا يمكن الاخذ بظاهره او يقع لعاقل شك ان ليس المفهوم
من احد الكلامين المفهوم من الاخر فصل الكلام على ضربين ضرب
انت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك اذا قصدت ان تخبر عن زيد
مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد وبالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق
وعلى هذا القياس وضرب اخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده
ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك
المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة

والمثل وقد مضت الامثلة فيها مشروحة مستقصاة ولا تزى انك اذا اطلت هو كثير رماد القدر او قلت طويل النجاد او قلت في المراة نؤم الضحى فانك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن بدلالة اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم بعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال المعنى ثانيا هو مراد كقولك من كثير رماد القدر انه مضياف ومن طويل النجاد انه طويل القامة ومن نؤم الضحى في المراة انها مترفة محدودة لها من يكفيها امرها وكذا اذا قال رايت اسدا وذلك الحال على انه لم يرد السبع علمت انه اراد التشبيه لانه لم يفعل الذي راه بحسب لا يتميز عن الاسد في شجاعته وكذلك تعلم من قوله يلقى لكل عدم رجلا ذو خزاجزى انه اراد التردد في امر البيعة واختلاف العزم في الفعل وتركه على ما مضى الشرح فيه واذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي ان نقول المعنى ومعنى المعنى نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي يصل اليه بغير واسطة وبمعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى اخر كالذي مر بك واذ قد عرفت ذلك فاذا رايتهم يجعلون الالفاظ رسنة للمعاني وحلية عليها او يجعلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض لها وكالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرابعة الى اشباه ذلك مما يتحفون به امر اللفظ ويجعلون المعنى يتبل به ويشرع فاعلم انهم يصنعون ذلك لانك اذا اعطاك المتكلم اعراضه فيه من طريق معنى المعنى فكأنه عرض وشكل واستعار ثم احسن في ذلك كله واصاب ووضع كل شيء منه في موضعه واصاب به شاكلته وحمد فيما كفى وشبه ومثل الى ما حسن ماخذه ودق مسلكه ولطفت اشارته وان العرض وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني كقوله فانى جبان الكلبة مهزول الفصيل الذي هو دليل على انه مضياف فالمعاني الاول المفهومة من انفس الالفاظ هي المعارض والوشي والحلي واشباه ذلك والمعاني الثواني التي هي بوسايط اليها تسلك المعاني هي التي تكسى تلك المعارض والوشي والحلي واشباه ذلك وكذلك اذا اجمل المعنى يتصور من اجل اللفظ بصورته ويبدو في هيئة وشكل فشكل يرجع المعنى في ذلك كله الى الدلالات المعنوية ولا تصل بي منه حيث الكلام على ظاهره وحيث لا يكون كناية وتمثيل ولا استعارة ولا استعانة في الجملة بمعنى على معنى وتكون الدلالة على العرض من مجرد اللفظ فلو ان قايلا قال رايت الاسد وقال اخر اعنى به ليس

لم يجز ان يقال في الثاني انه صور المعنى في صورته الاولى ولا يقال ارداه في معرض سوى معرضه ولا شيا من هذا الجنس وجملة الامر ان صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز حتى لو اراد من الالفاظ ظواهرها وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان اخر واعلم ان هذا كله كذلك ما دام النظم واحدا فاما اذا تغير النظم فلا بد حينئذ من ان يتغير المعنى على ما مضى البيان في مسايل التقديم والتاخير وعلى ما رايت في المسالة التي مضت الان اعني قولك ان زيدا كالاسد وكان زيدا الاسد ذاك لانه لم يتعرض للفظ شبه وانما تغير النظم فقط واما فحكك ان عرد تؤدم الكاف وكانت مكسورة فلا اصعد ادريها لان معنى الكسرة في محاله واعلم ان السبب في ان احالوا في اشباه هذه الحاسن التي ذكرتها لك على اللفظ انها ليست بانفس المعاني بل هي زيادات فرشا وخصايص لا تزى ان البسة المزينة التي تجدها لقولك كان زيدا الاسد على قولك زيد كالاسد شيء خارج عن التشبيه الذي هو اصل المعنى وانما هي زيادة فيه وفي حكم المحسوسة في الشكل كخوان يصاغ خاتم على وجه واخر على وجه اخر يجمعهما صورة الخاتم وتفترقان بخاصة وشي تعلم الا انه لا يعلم مفردا ولما كان الامر كذلك لم يمكنهم ان يطلقوا اسم المعاني على هذه الخصايص اذ كان لا يفترق الحال حينئذ بين اصل المعنى وبين ما هو زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية فيه فلما امتنع ذلك توسلوا الى الدلالة عليها بان وصفوا اللفظ في ذلك باوصاف يعلم انها لا تكون اوصافا له من حيث هو لفظ كقولهم في وصفه انه لفظ شريف وانه قد زان المعاني وانه في بساحة وان عليه طلاوة وان المعنى منه في مثل الوشي وانه عليه كالحلي الى اشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا يعني بمثله الصوت والحرف ثم انه لما جرت به العادة واستمر عليه العرف وصار الناس يقولون اللفظ واللفظ لزم ذلك بالنفس اقوام ارباب من الفساد وخامرهم منه شيء ليست بحسن وسوء [illegible] ومن الصفات التي عمد [illegible] على اللفظ ثم لا تعرض لشبهه وانكون سبك توقف في انها ليست له ولكن لمعناه فوجدهم لا يكون الكلام يسمى اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك وفوايد يدخل في الاذن بلا اذن فهذا اما لا شك العاقل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى فانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه

الذى وضع له فى اللغة ذلك لانه لا يخلو السامع اما ان يكون عالما بالغة ومعانى الالفاظ التى يسمعها او يكون جاهلا بذلك فان كان عالما بتصور ان سفاوته حال الالفاظ بعده ويكون معنى لفظ اسرع الى فهمه من معنى لفظ اخر وان كان جاهلا كان ذلك فى وضعه ابعد وجملة الامر انه انما يتصور ان يكون السامع لمعنى اسرع فهما منه لمعنى اخر اذا كان ذلك مما يدرك بالفكر واما اذا كان مما يجب ان يعلم به عند سمعه الكلام وذلك محال فى دلالات الالفاظ اللغوية لان طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتعريف واذا كان ذلك كذلك علم ان الغرض ومرجع ان مصرف ذلك الى دلالات الفاظ على المعانى وانهم اراد وان من شرط البلاغة ان يكون المعنى الاول الذى يجعله دليلا على المعنى الثانى وسيطا بينك وبينه ممكنا فى دلالته مستقلا بوساطته بقدر بينك وبينه احسن سفارة وتشير لك اليه ابين اشارة حتى يحيل اليك انك فهمته من حاق اللفظ وذلك لغاية الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله اليك وكان من الكناية مثل قوله لا اسمع

« لا اسمع الغوث بالغصات ، ولا اساع الامر به الاحمل »

ومن الاستعارة مثل قوله

« وصدر راح الليل عازب همه ، تضاعف فيه الحزن من كل جانب »

ومن التمثيل مثل قوله

« لا اذود الطير عن شجر ، قد بلوت المر من ثمره »

وان اردت ان تعرف ما حاله عند من هذا وكان متعوص الفوه فى تاديه ما يريد منه لانه يعترضه ما يمنعه ان يقضى حق السفارة فيما بينك وبين معناك وتوضح تمام الايضاح عن معزاك فانظر الى قول العباس من الاحنف

« ساطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ، وتسكب عيناى الدموع لتجمدا »

بدا ودل بسكب الدموع على ما توجبه الفراق من الحزن والكمد فاحسن واصاب لان من شان البكاء ان يكون امارة للحزن وان يحمل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم ابكانى واضحكنى على معنى سانى وسرنى وكقولك

« ابكانى الدهر وياربما ، اضحكنى الدهر بما يرضى »

ثم ساق هذا القياس الى نقيضه فالتمس ان يدل على ما بوجبه دوام البكاء من السرور بقوله لتجمدا وظن ان الجمود يبلغ له فى افاده المسرة والسلامة من الحزن

ما يبلغ سكب الدموع فى الدلالة على الكآبة والوقوع فى الحزن ونظر الى ان الجمود خلو العين من البكاء لانقطاع الدموع عنها وانه اذا قال لتحجرا بكائه فقد قال اخرج اليوم ليلا احزن عبدا وتبكى عيناى جهدها ليلا تبكى ابدا وغلط فيما ظن فى ذلك ان الجمود هو ان لا تبكى العين مع ان الحال حال بكاء ومع ان العين مرادة ان تبكى وتستزاد فى ان لا تبكى ولذلك لا ترى احدا يذكر عينه بالجمود الا وهو يشكوها ويذمها وينسبها الى البخل وبعد استناعها من البكاء تركا لمعونة صاحبها على ما به من الم الاحزان الى قوله

« الا ان عينا لم تجد يوم واسط ، عليك بحارى به لجمود »

فانى بالجمود تاكيدا لنفى الجود ومحال ان يحملها لا تجود بالبكاء واسى هناك التماس بكائها لان الجود والبخل يتقسمان مطلوبا بدلا او ممنوع ولو كان الجمود يصح لاراده السلامة من البكاء ويصح ان يدل به على ان الحال حال سرور وحبور بحيث ان بدا تبكى به فلرجل بقاء لا زالت عينك حامدة كما يقال لا ابكى الله عينك وذلك مما لا تبكى فى بطلانه وعلى ذلك قول اهل اللغة عين جمود لا ماء فيها وسنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها فكما لا تجعل السنة والناقة جمادا الا على معنى ان السنة تخيله بالقطر والناقة لا تحلب الدر كذلك حكم العين لا تجعل جمودا الا وهناك ما يقتضى ارادة البكاء منها واعطاها اذا كنت محسنة موصوفة بان تدجاد وحنت وافالم تبك مسيئة موصوفة بان تدخب وجلت فان قلت انه اراد ان يقول انى اليوم اخرج عند نفس الفراق واحمل نفسى على امر ثقيل واحتمل ما تودى اليه من حزن يقبض الدموع من عينى ويسكرها لكى اتسبب بذلك الى وصل بعد مرور مسرح متصل حتى لا اعرف بعد ذلك الحزن اصلا ولا اعرف عينى البكاء وتصير فى ان لا ترى باكية اعيا كالجمود التى لا يكون لها مع فان ذلك لا يستقيم ولا يستقيم لانه يوقعه فى التناقض ويجعله كانه قال احتمل البكاء هذا الفراق عاجلا لاسرع الاجل بدار الوصل واتصال السرور لصور من يريد من عينه ان تبكى ثم لا تبكى لانها خلقت حامدة ولما فيها وذلك من الهفوات والاضطراب حيث لا تخبط الخبطة فيه وجملة الامر انا لا نعلم احدا جعل جمود العين دليل سرور واشارة غير ذلك وكناية على ان الحال حال فرح فصح استدلال فيما يوجد بالضد مما شرطوا من ان لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك لانك ترى اللفظ يصل الى سمعك ويحتاج ان تجب وتوضع فى طلب المعنى وتحرى ذلك هذا الشرح والتحليل

في النظم كما جرى في اللفظ لانه اذا كان النظم سويا والتاليف سنيا كان وصول
المعنى الى قلبك بلا وصول اللفظ الى السمع وتبينت في المعنى نظائره وتشابه فيه واول
امره لامره ذاك سار الى التعقيد الذي قالوا انه يستهلك المعنى واعلم انك لم تعن
العبارة ولم تقصر اللفظ ولم يتعلق الكلام في هذا الباب الا لانه قد نشا حتى في الفوس
والحصا الى اقصى الغايات وانك لا ترى اعرب منه هنا ولا اعجب ملهما ولا احرى بان
تضطرب فيه الآراء منه وما فوقك في شيء قد بلغ من امره ان يدعى على اكبار العلماء له
جملة ولم يعطوا له قيدا ترى ان البحتري قال حين سئل عن مسلم وابي نواس ايهما
اشعر فقال ابو نواس فقيل فان العامة تغلبنا لانوا فقك على هذا فقال هذا بحسب
شان تغلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من دق في
مسلك طريق الشعر الى مضايقه وانتهى الى سره وانى لم يسلك القائلون به والذب
عنه من اهله من دخول الشبهة فيه عليهم ومن اعتراض الريب والغلط لهم روى
عن الاصمعي انه قال كنت اسد وامن اهل عمرو بن العلا وخلف الاحمر وكانا
يامران بشارا فيسلمان عليه تعاية الاعظام ثم يقولان يا ابا معاذ ما احدثت
بخير مما ينشد بالليل عليك فيقول ويلان عنه مبواضعين له حتى يأتي وقت الغداة ثم
ينصرفان واشياء يوما فقالا لاما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن قتيبة قال
حمما الذي بلغكم قالوا بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب قال نعم بلغني ان سالما يتباهى
بالغريب فاحببت ان اورد عليه ما لا يعرف فالا فانشد بالها يا معاذ فانشد بكرا صاحبي قبل المجمر ، ان ذاك النجاح في التبكير ،
حتى مر منها فقال له خلف لو قلت يا معاذ فكان ان ذاك النجاح بكرا فانه النجاح
في التبكير كان احسن فقال بشار انما بنيتها اعرابيه وحشيه فقلت انه ذاك
النجاح كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكرا فان النجاح كان هذا من كلام المولدين
ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة قال فقام خلف فقبل ما بين
عينيه فهذا كان هذا القول من خلف والنقد على بشار الا اللطف المعنى في ذلك
وخفاءه واعلم ان من شان ان اذا جاءت على هذا الوجه ان تعني عنا الفاء الفاصلة
مثلا وان تعيد من ربط الجملة بما قبلها امرا محببا فانت ترى الكلام بها مستانفا
غير مستانف ومقطوعا عما موصولا بما قبله الا ترى انك لو اسقطت ان من قوله انه ذاك
النجاح في التبكير لم تر الكلام يلتئم ولرايت الجملة الثانية لا تتصل بالاولى ولا يكون منها

بسبيل حتى يجيء الفاء فتقول ، بكرا صاحبي قبل المجمر فذاك النجاح في التبكير ومثله
قول بعض العرب ، فمنها وهي لك الفدى ، ان منى الابل الحمدا ،
فانظر الى قوله ان منى الابل الحمدا والى ملاءمته الكلام قبله وحسن تشبيه
به والى حسن تعطف الكلام الاول عليه ثم انظر اذا تركت ان قلت فمنها وهي لك
الفدى منى الابل الحمدا كيف تكون السوية وكيف بنبو احد الكلامين عن الاخر
وكيف تنكر هذا وتعرف ذاك حتى لا تجد حيلة في ايلافهما الا بان يجعل لهما الفاء
فتقول فمنها وهي لك الفدى فمنى الابل الحمدا ثم تعلم ان ليست الالفة بينهما بمن
جنس ما كان وان قد ذهبت الالفة التي كنت تجد والحسن الذي كنت ترى ،
وروي عن ابن عيينة انه قال قد مر ذو الرمة الكوفة فوقف عند الناس الكناس
فصيدته الخامسة التي منها

، حي البرد والاسفار والصرد والمنى ، وموت الهوى في العلندى المبرح ،
، وكان الهوى بالنأي مني فبيننا ، وحبك عندي مستجد وسوح ،
، اذا غير النأي المحبين لم يكد ، رسيس الهوى من حب مية يبرح ،

قال فقلنا انتهى الى هذا البيت فاداه من شرعة يا عبلان اراه قد برح قال فتنحنح
ذو الرمة ناقته وجعل يناخرها ويتكر ثم قال

، اذا غير النأي المحبين لم احد ، رسيس الهوى من حب مية يبرح ،

قال فقلنا انتهى الى هذا البيت قال اخطا ان شعره حين اكمه على ذي الرمة
ما اسند واخطا حين غير شعره لقوله ان شعره انما هذه الكلمة اسم تعالى علما
بعضها فوق بعض اذا اخرج بعضه لم يكد يراها وانما هو لم يرها ولم يكد يراها وانما
سبب الشبهة في ذلك انه قد جرى في العرف ان يقال ما كاد يفعل ولم يكد يفعل
قد تجعل على بعض انه لم يفعل الا بعد الجهد وبعد ان كان بعيدا في الظن ان يفعله
كقولنا تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون فلما كان مجيء النفي في كاد يفعل هذا السبيل
توهم ابن شرعة انه اذا قال لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح فقد زعم
ان الهوى يبرح ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن وليس الامر كذلك يا ذي الرمة وان
الذي يقتضيه اللفظ اذا قيل لم يكد يفعل وما كاد يفعل ان يكون المراد ان الفعل
لم يكن من اصله ولا قاربت ان يكون ولا ظن انه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد
علمنا ان كاد موضوع لان يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى انه قد سار

الوجود واذا كان كذلك كان محالا ان يوجب نفيه نفي الفعل لانه يودي الى ان يوجب نفي مقاربه الفعل الوجود وجوده وان يكون فولك ما قارب ان يفعل مقتضيا على السنة وقد فعل واذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك ان تطرقني لم يكن المعنى على انه قد كانت هناك صورة تقتضي ان لا يكون الفعل وحال يبعد معها ان يكون ثم بعد الامر كالذي تراه في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون فليس الا ان يلزم الظاهر ويحمل المعنى على انك تزعم ان الفعل لم يقارب ان يكون فضلا عن ان يكون فالمعنى ما في بيت ذي الرمة على ان الهوى من رسوخه في القلب وشوته فيه وغلبته على طباعه بحيث لا يتوهم عليه البراح وان ذلك منه لا يقارب ان يكون فضلا عن ان يكون كما يقول اذا سألا المحبون وفتروا في محبتهم لم يقع لي في دهم ولم يجر على بال اذ هو اعلى ما يشبه السلوة وما بعد فتره فضلا عن ان يوجد ذلك مني واصير اليه وينبغي ان تعلم ايهم اما قالوا في التفسير لم يرها ولم يكد وامنعوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه لعلوك ان ليس سبيل لم يكد هذا سبيل ما كاد في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون في انه نفي يعقب على اثبات ان وليس المعنى على ان رؤيه كانت من بعد ان كادت لا تكون ولكن المعنى على ان رؤيتها لا تقارب ان تكون فضلا من ان تكون ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل لكان هذا الكلام سنهم محالا اجمارشا محيري ان يقول لم يرها وراها فاعرفه وها هنا نكته وهي ان لم يكد في الآية والبيت واقع في جواب اذا والماضي اذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى فاذا قلت اذا خرجت لم اخرج كنت نفيت خروجا فيما يستقبل واذا كان الامر كذلك استحال ان يكون المعنى في البيت او الآية على ان الفعل قد كان لانه يودي الى ان يجيء الفعل ماضيا صريحا في جواب الشرط فتقول اذا خرجت لم اخرج امس وذلك محال فاعرفه ومما ينضح فيه هذا المعنى قول الشاعر

ودبار لجمية ما لمغنى ... سقاهن مرتجز باكر
وراح عليهن ذو هيدب ... ضعيف القوى هاوه زاخر
اذا رام فصلا بها لم يكد ... كذي الساق اخطاه هاء الجابر

واعود الى الغرض فاذا ابلغ من وجه هذه المعاني ان تشبيه الامر فيها على سبيل خلق الاهم وان سبيرسة وحتى يشتبه على ذي الرؤية في صواب قاله وبري انه عبر سوا فاطبك بعبرهم وما يحبك من ان يكون التخليط فيه ومن العجب في هذا المعنى قول

ابي النجم ... قد اصبحت ام الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم اصنع

قد حمله الجميع على انه ادخل نفسه من ربع في شيء مما عجز عنه الصرورون من غير ان يكون به اليه ضرورة فالوالانه ليس في نصب كل ما يكرهه وزنا او سنعة من معنى ارادة واذا اسلمت وجدته لم يركبه ولم يحمل نفسه عليه الا لحاجة له الى ذلك والالانه رأى النصب يمنعه ما يريد وذاك انه اراد ان يدعي عليه وسائر يصنع منه شيئا البته لا قليلا ولا كثيرا ولا بعضا ولا كلا والنصب يمنع من هذا المعنى ويقتضي ان يكون فعاني من الذنب الذي ادعته نفسه وذاك انا اذا اسلما وجدنا اعمال الفعل في كل والفعل ينفي ان يصلح الا حيث يراد ان بعضا كان وبعضا لم يكن تقول لم اكل الغوم ولم اخذ كل الدراهم فيكون المعنى انك لغيت بعضا من الغوم ولم تلق الجميع واخذت بعضا من الدراهم وتركت الباقي ولا يكون ان تريد انك لم تلق واحدا من الغوم ولم تاخذ شيئا من الدراهم وتعرف ذلك بان تنظر الى كل في الاثبات وتعرف فايديته فيه واذا نظرت وجدته قد اجتلب لان يفيد النفي في الفعل الذي اسنده الى الجملة ان توقعه لضا فتغيير ذلك انما دلت حاني الغوم كلم لانك لو دلت حاني الغوم وسكت لكان يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف عنك بعضهم الا انك لم تعتد بهم او انك جعلت الفعل اذا وقع من بعض الغوم وكانما وقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كانما لفعله فعلتم وصنعتم يراد فعل ابد كان من بعضهم او واحد منهم وكذا الحكم ابدا واذا دلت راست الغوم كلم ومررت بالغوم كلهم كنت قد جئت بكل ايلا يتوهم انه قد بقي عليك من لم ترَ ولم تمر به وينبغي ان تعلم انا لا نعني بقولنا يفيد الشمول ان صيغة في ذلك مثل التي توجب المعنى من اصله وانه لو لا مكان كل لما عقل الشمول ولم يكن مما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان كذلك لم يكن سبيل اكيدا فالمعنى انه ممنع ان يكون اللفظ المقتضي الشمول مستعملا على اختلاف ظاهر ومتجوزا فيه واذ قد عرفت ذلك فها هنا اصل وهو ان حكم النفي اذا دخل على كلام تم كان في ذلك الكلام تفيد على وجه من الوجوه ان يتوجه الى ذلك التفيد وان يقع له خصوصا بتغيير ذلك انك اذا قلت اتاني القوم مجتمعين فقال قائل لم ياتك القوم مجتمعين كان تفيد ذلك منوطا الى الاجتماع الذي هو تفيد في الاتيان دون الاتيان نفسه حتى انه ان اراد ان ينفي الاتيان من اصله كان من سبيله ان يقول انهم لم ياتوك اصلا فاما معنى قولك

مجتمعين هذا لا شك فيه عاقل واذا كان هذا حكم النفي اذا تعود دخل على كلام فيه تقييد فان التأكيد ضرب من التقييد فهي تعيت كلاما فيه تأكيد فان تعمك ذلك بوجه الى التأكيد خصوصا ويقع له فاذا قلت لم ار القوم كلهم او لم يأتني القوم كلهم او لم يأتني كل القوم ولم ار كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى كل خاصة وكان حكمه حكم مجتمعين في قولك لم يأتني القوم مجتمعين واذا كان النفي يقع لكل خصوصا فواجب اذا قلت لم يأتني القوم كلهم او لم يأتني كل القوم ان يكون قد اتاك بعضهم كما يجب اذا قلت لم يأتني القوم مجتمعين ان يكونوا قد اتوك اشتاتا وكما يستحيل ان تقول لم يأتني القوم مجتمعين وانت تريد انهم لم يأتوك اصلا لا مجتمعين ولا متفرقين كذلك محال ان تقول لم يأتني القوم كلهم وانت تريد انهم لم يأتوك اصلا فاعرفه واعلم انك اذا تدبرت وجدت الامثلة كالتي فيما ذكرت لك ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه وذلك انك اذا قلت جاءني القوم كلهم كان كل فائدة خبرك هذا والذي يتوجه اليه الشك بدلالة ان المعنى على ان الشك لم يقع في بعض المجيء انه كان من القوم على الجملة وانما وقع في قوله الكل وذاك الذي عناك امره من كلامك وجملة الامر انه ما من كلام كان فيه امر زائد على مجرد اثبات المعنى الذي الكلام الغرض الخاص من الكلام والذي تقصد اليه وترجي القول فيه فاذا ملت جاءني زيد راكبا وما جاءني زيد راكبا كنت وسعت الشك لان نفيت مجيئه راكبا لوسعي ذلك لان نفيك الشيء ونفيه مطلقا هذا ما لا سبيل الى الشك فيه واعلم انه يلزم من شك في هذا انه يجوز ان يقول لم ار القوم كلهم على معنى انك لم تر واحدا منهم ان يجري النفي هذا المجرى فتقول لا تضرب القوم كلهم على معنى لا تضرب واحدا منهم فاذا قال ذلك لزمه ان يحيل قول الناس لا تضربهما معا ولكن اضرب احدهما ولا تأخذ منهما جميعا ولكن واحدا منهما وكفى به فسادا واذ قد بان ذلك من حال النصب انه يقتضي ان يكون المعنى على انه قد صنع من الذنب بعضا وترك بعضا فاعلم ان الرفع على خلاف ذلك وانه يقتضي نفي ان يكون قد صنع منه شيئا واني منه قليلا وكثيرا وانك اذا قلت كلهم لم يأتك وكل ذلك لا يكون وكل هذا الاحسن كنت نفيت ان يأتيه واحد منهم وايبت ان يكون اوجس شيء مما ارتاب اليه ومما مثله لك بذلك من الشعر قوله وكيف

« وكيف وكل ليس بعد وحمامه » ولا امر مني بما قضى الله مرجل

المعنى على نفي ان يبعد والخد من الناس حمامه بلا شبهة ولو قلت وكيف وليس بعد وكل حمامه فاحرزت كلا لافسدت المعنى وصرت كانك تقول ان من الناس من يسلم من الحمام وبقي خالدا لا يموت كما انك اذا قلت ليس كل رجل هذا كان المعنى ان من الناس من لا يقوله ومثله قول

« فواسه ما ادري بأي بليتها » رمتني وكل عند نا ليس بالكدي

« ايا لجبيد ام بحري الوشاح وانى » لا يتم عيني بامرء الفاحم الجعد

المعنى على نفي ان يكون في بليتها ما كد على وجه من الوجوه ومن الدين في ذلك ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال النبي صلى الله عليه وسلم اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك قد كان المعنى لا محالة على نفي الامرين جميعا وعلى انه صلى الله عليه وسلم اراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان ولو وصل لم يكن كل ذلك لكان المعنى انه قد كان بعضه واعلم انه لما كان المعنى مع اعمال الفعل المنفي في كل يجوز يأتني القوم كلهم ولم ار القوم كلهم على ان الفعل قد كان من البعض ووقع على البعض وذلك لم يأتني القوم كلهم ولكن اتاني بعضهم ولم ار القوم كلهم ولكنني رايت بعضهم فاثبت بعض ما نفيت ولا يكون ذلك مع رفع كل الابد اذ لو قلت كلهم لم يأتني ولكن اتاني بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك لم يحز لانه يؤدي الى التناقض وهو ان تقول لم يأتني واحد منهم ولكن اتاني بعضهم واعلم ان ليس الناس بما ذكرنا من اعمال الفعل وتركه اعماله على الجميع وانما الناس ولا مر اخر وهو دخول كل في حيز النفي وان لا يدخل فيه وانما علقنا الحكم في ابيات وسائر ما مضى باعمال الفعل وترك اعماله من حيث كان اعماله فيه يقتضي دخوله في حيز النفي وترك اعماله يوجب خروجه منه من حيث كان الحرف النافي في البيت حرفا لا يتصل عن الفعل وهو لما لا تكون له معمولا للفعل وغير محمول يقتضي ما رأيت من الفرق الا ترى انك لو جئت بحرف نفي حيث انفصاله عن الفعل لرأيت المعنى في كل مع ترك اعمال الفعل مثله مع اعماله وذلك قولك قوله « ما كل ما يتمنى المرء يدركه » وقول الآخر

« ما كل راي الفتى يدعو الى رشد » كلا ولا كل ما تهوى النفوس سوى

الا ترى غير مجعل فيه الفعل مرفوع اما بالابتداء واما بانه اسم ما ان المعنى مع ذلك على ما يكون عليه اذا اعملت فيه الفعل فعلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يدعو كل راي الفتى الى رشد وذاك لان الناس لو فوضه في حيز النفي وذلك حاصل في الحالين ولو قدمت كلا فعلت كل ما يتمنى المعنى

لا يدركه وكل راى النفى لا يدعو الى رشد لعبر النفى ولصار ممن له ان يقال انّ
المرء لا يدرك شيأ مما يتمناه ولا يكون فى راي النفى ما يدعو الى رشد بوجه من
الوجوه فاعرفه واعلم انك اذا دخلت كلا فى خبر النفى وذلك بان يتقدم النفى عليه
لفظا او تقديرا فالمعنى على نفى الشمول دون نفى الفعل والوصف نفسه واذا اثرت
كلا من خبر النفى ولم تدخله فيه لا لفظا ولا تقديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة
فنفيت الفعل والوصف عنها واحدا واحدا والعلة فى ان كان ذلك كذلك انك اذا
بدأت بكل كنت قد بنيت النفى عليه وسلطت الكلية على النفى واعملتها فيه وجعلتها
معنى الكلية فى النفى يقتضى ان لا يبقى شئ عن النفى فاعرفه واعلم ان من مسائل
الوجوه والفروق ان لا تزال تحدث بسببها وعلى حسب الاغراض والمعانى التى
تعرض فيها دقائق وخفايا لا تزال تجد وراءها ولطائف يأنف انفسها تحدها حتى
لا يبقيه لاثرها ولا يعلم انتهاءه وحتى لا تزال ترى العالم يتعرض للرهو فيه وحتى انه
ليقصد الى الصواب فيقع فى اثناء كلامه ما يوسم الخطأ كل ذلك لشدة الخفاء وفرط
الغموض واعلم انه اذا كان لبيتا فى النفى انه لا يحتمل الا الوجه
الذى هو عليه حتى لا تشكل وحتى لا يحتاج فى العلم بان ذلك حقه وانه الصواب
الى فكر ورويّة فلا مزيد وانما يكون المزيد ويجب الفصل اذا احتمل فى ظاهر الحال
غير الوجه الذى جاء عليه وخطأ الخروج رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الظاهر
ورأيت الذى جاء عليه حسنا وقبولا بعد منها اذا انت تركته الى الثانى ومثال
ذلك قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ليس يخاف ان لم تقدم الشركاء حسبان ورعمه
وما خذا من القلوب انت لا تجد شيأ منه ان انت اخرت فقلت وجعلوا الجن شركاء
لله وانك ترى حالك من نقل عن الصورة المليحة والمنظر الرائق والحسن الباهر
الى التى العقل الذى لا تخلى منه بكبير طائل ولا تنصر النفس على الجاصل والسبب فى
ان كان ذلك كذلك هو ان للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لاسبيل اليه مع التأخير
بيانه انا وان كنا نرى ان جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركاء لله وعبدوهم
مع الله وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فان تقديم الشركاء يفيد
هذا المعنى ويفيد بعده معنى اخر وهو انه ما كان ينبغى ان يكون لله شريك لا من
الجن ولا غير الجن واذا اخر فقيل وجعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه الا
الخبر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله تعالى فاما انكار ان يعبد مع الله غيره

وان يكون من الجن وغير الجن فلا يكون فى اللفظ مع تاخير الشركاء دليل عليه وذلك انا وان قدرنا
يكون مع التقديم ان شركاء مفعول اول لجعل ولله فى موضع المفعول الثانى ويكون الجن
على الكلام الثانى وعلى تقديره كان قيل لنا من جعلوا شركاء لله فقيل الجن واذا كان التقدير
شركاء له مفعول اول ولله فى موضع المفعول الثانى ومع الانكار يحتمل ان يكون شركاء لله على
الاطلاق من غير احتساس شئ دون شئ وحصل من ذلك انا اذا اعتمدنا التركيب من غير
الجن قد دخل فى الانكار دخول الجماد من الجن لان الصفة اذا ذكرت مطلقة غير
مجراة على شئ كان الذى تعلق به من النفى عاما فى كل ما يجوز ان يكون له تلك الصفة
فاذا قلت ما فى الدار رجل كنت نفيت ان يكون فى الدار من كل من يكون انثى ومن
وجب الانكار اجد حكم النفى واذا اخرت الشركاء فقيل وجعلوا الجن شركاء لله صار الجن مفعولا
اول والشركاء مفعولا ثانيا واذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا غير مطلق من حيث كان
محالا ان يجرى خبرا على الجن ثم يكون عاما فهم وفى غيرهم واذا كان كذلك احتمل ان يكون
القصد بالانكار الى الجن خاصوصا ان يكونوا شركاء دون غيرهم جل الله تعالى عن ان يكون
له شريك وشبيه محال فانظر الان الى شرف ما حصل من المعنى بان قدم الشركاء واعتبر
فانه يهديك لكثير من الامور وبذلك على عظم شان النظم وتعلم به كيف يكون الاتساع
وما صوره وكيف يزاد فى المعنى من غير ان يزاد فى اللفظ اذ قد ترى ان ليس الامر قد زيد
فيه خبر فانه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما ان حاولته مع تركه لم يحصل لك وانت
الى ان تستانف له كلاما نحو ان تقول وجعلوا الجن شركاء لله وما ينبغى ان يكون لله شريك
لا من الجن ولا من غيرهم ثم لا يكون له اذا تعمل من كلامين من الشرف والفخامة ومن كون
الموقع فى النفس ما تجده له الان وقد تعمل من هذا الكلام الواحد قوله تعالى ولتجدنهم
احرص الناس على حياة اما انت رأيت نفسك اذا كنت حسك وحدت لهذا الذكر
واف قيل على حياة ولم يقل على الحياة حسن ورونق ولطف موقع لا يعاد ردد وجه
تقدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاضافة والانس الى جلالتها والسبب فى ذلك ان
المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من اصلها وذلك انه لا يحرص الا الخائف الفوت
الحياة فلا يصح منه الحرص الا على الحياة ولا على غيرها واذا كان كذلك صار كانه قيل
ولتجدنهم احرص الناس ولوعا اما علموا على ان يزدادوا الى حياتهم فى اتى اوقات
فراغه حياة فى الذى يستقبل فكانك لا تقول هم انك ان تزداد الى حياتهم الحياة
بالتعريف وانما تقول حياة اذا كان التعريف يصلح حيث يراد الجنس على الاطلاق كقولنا

كل احد حب الحياة ويكره الموت كذلك الحكم في الاية والذي ينبغي ان يراعى ان المعنى الذي وصف الانسان بالحرص عليه اذا كان موجودا حال وصفك له فالحرص عليه لم يتصور ان يجعله حريصا عليه من اصله كيف ولا يحرص على الزائل ولا الفاسي وانما يكون الحرص على ما لم يوجد بعد وشبيه بتنكير الحياة في هذه الاية تنكيرها في قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وذلك ان السبب في حسن التنكير وان لم يحسن التعريف ان ليس المعنى على الحياة نفسها ولكن على انه لما كان الانسان اذا علم انه اذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل وسلم صاحبه صار حياة هذا الزموم بمثله في مستأنف الوقت مستفادة بالقصاص وصار كانه حي بما بقي من عمره واذا كان المعنى على حياة ما في بعض اوقاته وجب التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي ان يكون الحياة قد كانت بالقصاص من اجلها وان يكون القصاص قد كان سببا في كونها في كافة الاوقات وذلك خلاف المعنى وغير ما هو المقصود وبين ذلك انك تقول لك في هذا غنى فتنكر اذا اردت ان تجعل ذلك من بعض ما يستغنى به فان ملت بك فيه الغنى كان الظاهر انك جعلت كل غناء به وامر اخر وهو انه لا يكون ارتداع حتى يكون هم وارادة وليس بواجب ان لا يكون انسان في الدنيا الا وله عدو يهم بمثله ثم يرتدع عنه خوف القصاص واذا لم يجب ذلك لم يهم انسان بمثله فكيف ذلك الهم بخوف القصاص فليس هو ممن يهوى بالقصاص واذا دخل الخصوص فقد وجب ان يقال حياة ولا يقال الحياة كما وجب ان يقال شفا ولا يقال الشفا في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس حين لم يكن شفا للجميع واعلم انه لا يتصور ان يكون الذي هم بالقتل فلم يقتل خوف القصاص مرتدعا خلافا للجملة وان يكون القصاص افاده حياة كما افاد المقصود قبله وذلك ان هذا انما هي لمن كان يقتل لولا القصاص في ذلك محال في صفة القاصد القتل بما يصح في وصفه ما هو كالضد لهذا وهو ان يقال انه كان لا يخاف عليه القتل لولا القصاص واذا كان هذا كذلك كان هذا وجها ما لما في وجوب السكير [illegible] واعلم انه لا تصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا تجد له به قبولا حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن يجد نفسه بان لما يوحي اليه من الجنس واللطف اصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تامل الكلام فتجد الاريحية مرة وتعزب مرة اخرى وحتى اذا اعجبته عجب واذا اهشته طرب لمزية انه فاما من كان خالا

والوجهان عنده اجد اعلى سواء وكان لا يتفقد من امر النظم الا الصحة المطلقة والامر ظاهر فما اقل ما يحدث الكلام معه ولكن من هذه سفته عندك ممن له من عدم الانسان يوزن الشعر والذوق الذي يفهمه به والطبع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومن هو من سالمه وما خرج من البحر عما يخرج منه فاني لا اتصدى له ولا اتكلف تعريفه لعلمك انه قد عدم الاداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن تدحك في يده وارتكك في عودا نتفع منه في نار واعلم ان هولاء ان كانوا ما هم الاة العطف في هذا الباب فان من الاة ايضا من زعم انه لا سبيل الى معرفة العلة في قليل ما يعرف المزية فيه وكثير وان ليس الا ان نعلم ان هذا التقديم او هذا التكير وهذا العطف او هذا الفصل حسن وان له موقعا من النفس وخاصا من القبول فاما ان نعلم لم كان كذلك وما السبب فلا سبيل اليه ولا مطمع في الاطلاع عليه او يكون بنوا نيه والكسل فيه في حكم من قال ذلك واعلم انه ليس لعالم يمكن معرفة الكل فقد وجب ترك النظر في الكل بان تعرف العلة والسبب فما امكنك معرفته ذلك فيه وان قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف الى ان تقف باب المعرفة على نفسك وتاخذها عن العلم والعلم وتعودها التسلل والتوثبا قال الجاحظ وكلام كثير قد جرى للمتقدمين والمتاخرين وله مضرح شديد ومرمرع قوي امر ذلك تولعهم بما بدع الاول الاخر شيئا قال ولوان على كل عصر من قد حرت هذه الكلمة في افواههم تركوا الاستنباط لما بين ايديهم عمن قبلهم لرابت العلم مختلا واعلم ان العلم انما هو معدن ذهبا انه لا يمنعك ان تركب الوف وفرسك اخرجت من معدك تبرا ان تطلب فيه وان تاخذ ما تجد ونوكده ونوسمه كذلك ينبغي ان تصنع وان يكون رايك في طلب العلم ومن الله سبحانه التوفيق هـ

هذا فن من المجاز لم يذكر فيما تقدم اعلم ان طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل انك ذكرت الكلمة وانت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له او شبيه فتجوزت بذلك في دلالات الكلمة وفي اللفظ نفسه واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان في الكلام مجازا على غير هذا السبيل وهو ان يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط وتكون سائر كلمه على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض والمثال فيه قولهم نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي وتجلى هي وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقول الفرزدق

سعتها خروق في المسامع لم تكن ، محللها والمحبوطة في اللحم .

انت ترى مجازا في هذا كله ولكن لا في دلالات الكلم وانما في الالفاظ ولكن في احكام اجريت عليها فالاول انك لم تجد ذلك في قولك صام نهاره وقام ليله ولكنك تجد ان اجريتهما خبرين على الليل والنهار وكذلك ليس المجاز في الاسناد في لفظه ومحله وانما هو في اسناده الى المجاز وهكذا الحكم في قوله سقتها حروف ليس المجاز في نفس سقتها ولكن في ان اسندها الى الحروف فلا ترى انك لا ترى شيئا منها الا وقد اردت به معناه الذي وضع له على حقيقته وحقيقته فلم ترد بصام غير الصوم ولا بقام غير القيام ولا بمحت غير الريح ولا بسقت غير السقي كما اردت بسالت في قوله

وسالت باعناق المطي الاباطح ، غير السيل واعلم ان الذي ذكرت لك في مجاز نهار صائم من ان من شأنه ان يجعل عليه المعنى ويحدث فيه الشاهد قائم لك مثله ههنا ملتبس بشبهه على عادة ان ليس بحال المعنى وموضعه من النفس في قوله فناء ليل وبحر علمي كالم يكن الحال في قولك رأيت اسدا كالحال في قولك رأيت رجلا كالاسد ومن الذي يخفى عليه مكان العامل وموضع المزية وصورة الغرابة من قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وان اردت ان تزداد للامر تبينا فانظر الى قول جرير

عمى اذا اخترط السيوف نساءنا ، ضرب تطير له السواعد ارعل

وان لم تفعله ومأتيه والى ما علمته من الطلاوة ثم ارجع الى الذي هو الحقيقة وقل عمى اذا اخترط السيوف بضرب تطير له السواعد ارعل ثم اسبر نفسك وانظر هل ترى مما كنت تراه شيأ وهذا الضرب من المجاز على جدته كثير من كنوز البلاغة وماده الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان والاتساع في طرق البيان وارتجال الكلام مطبوعا مصنوعا وان يضعه بعيد المرام فترتاض الاذهان ولا يطرق سمعك من امره انك ترى الرجل يقول اقاسي الشوق الى لقائك وسار بي الحنين الى لقائك واقدمني بلدك حتى لكأنك ترى في الانسان واشباهه ذلك مما تجده لنفسه وتشهده يجري مجرى الحقيقة التي لا تشكل امرها فليس هو كذلك لبداهة بدق ولطف حتى يمتنع مثله الا على الشاعر المفلق والكاتب البليغ وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة ما رق لها وحمله الامران سبيله سبيل الضرب الاول الذي هو مجاز في نفس اللفظ وذات الكلمة فكما ان من الاستعارة والتمثيل ما يعرفه الجميع مثل رأيت اسدا ورأيت بحرا وشاهدت بدرا ومثل من رأيه سيفا ماسيا وحاتما الا كل له كل احد مثل قوله وسالت باعناق المطي الاباطح كذلك الامر في هذا المجاز الحكمي واعلم انه

ليس يواجب في هذا ان يكون الفعل فاعله في المعنى اذا انت نقلت الفعل البه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في قارحت تجارتهم قارحوا في تجارتهم وفي عمى اخترط السيوف مسا انا ضرب عمى مسا انا بضرب فان ذلك لا بيان في كل شيء لا ترى انه لا يمكنك ان تثبت الفعل بقولك اقدمني بلدك حتى لك على انسان فاعلا غير الذي لا تستطيع في قوله

وصيرف هواك وفي لحبي بضرب المثل ، وقوله

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا ،

ان تزعم ان لصيرف فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما فعل ذلك في ربحت تجارتهم وعمى مسا انا بضرب ولا تستطيع كذلك ان تقدر ذا يزيد في قوله يزيدك وجهه فاعلا غير الوجه فالاعتبار اذا بان يكون المعنى الذي يدل عليه الفعل موجودا في الكلام على حقيقته معنى ذلك ان الفعل وصل قولك اذا مشى حتى فعل انسان موجود على الحقيقة وكذلك الضوء في قوله يزيدك وجهه موجود تارة على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه واذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة في الحكم فاعرف هذه الجملة واحسن مسبطها حتى تكون على بصيرة من الامر ومن اللطيف قول جرير يصف

ابى غير العوارس يوم راح ، وعمى مالك وضع ابتهاما ،

فلو صاحبتنا لرضيت عنا ، اذا لم يغبق الماء الغلاما ،

يريد اذا كان العام عام جدب وحفت ضروع الابل وانقطع الدر حتى ارتجلت منها ساما لم يحصل من لبنها ما يكون غبوق غلام واحد فالفعل الذي هو غبق مسند في نفسه على حقيقته غير محرج من معناه واصله الى معنى على اخر ويكون قد دخلت مجازا واما المجاز في ان اسند الى الابل وجعل فعلا لها واسناد الفعل الى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه واعلم ان من سبب اللطف في ذلك انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي بل يجيء له كذلك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تبغي الشيء وتطلبه لذلك حتى تتوخاه في النظم وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى قوله

تناسى طلاب العامرية اذ نأت ، بها حين قال الشيخ يأتي الصغر

اذا ما احسنه الاقاحي تميرت ، سواه الاقاحي من سلمه عمر

محبوب له الظباء عينا كانها ، وجاجة شرب غير هلاي ولا صفر ،

يصف جملا ويريد انه يعتدي بثور عينه في الظبا ويمكنه بها ان يحرزها ويحميها ولولا ها لكانت الظبآء كالسد والحاجز الذي لا تحد شيا يعرجه به ويحصل لنفسه منه سبيلا فاتت الان تعلم انه لولا انه قال محبوب له فعلق له بمحبوب لما سلط الضمير لان مسند محبوب انها ولكان لا يبين حينة التحور انها في جعل المحبوب فعلا للعين كما هي وكذلك تعلم انه لو قال مثلا محبوب له الظبا عينه لم يكن له هذا الموقع ولا مطرب عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان بعينه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به الان فتامل هذا واعتبره فهذه النهيئة وهذا الاستعداد في هذا المجاز الحكمي بظهر انك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة وانت تحتاج في الاكثر الى ان تمهد لها وتقدم او تؤخر ما يعلم به انك مستعير ومشبه وتفتح طريق المجاز الى الكلمة الا تري الى قوله

وساعة من نصله سكفي بها ، على اروس الاقران خمس حجاب ،

عنى بخمس حجاب انامله ولكنه لم يات فيه بالاستعارة دفعة ولم يرها اليك نهتة بل ذكر ما ينبغي عنها ويستدل به عليها فذكر ان هناك صاعقة وقال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على اروس الاقران ثم قال الخمس فذكر الخمس التي هي عدد الانامل فبان من مجموع هذه الامور عرضه والشد والعض الاعوان فان تعاونوا العدل والايمانا ، فان في ايمانا بيرانا ،

يريد فان في ايماننا سيوفا نضربكم بها ولولا قوله اذا فان تعاونوا العدل والايمان في ذلك دلالة على ان جوابه انهم محاربون ويتسرون على الطاعة بالسيف قوله فان في ايماننا لما عقل مراده ولما جاز له ان يستعير البران للسيوف لانه كان لا تعقل الذي يريد لانا وان كنا نقول في ايديهم سيوف قلع كما نقول شار كما قال ناهضتهم والبارقات كانها ، شعل على ايديهم تلتهب ،

فان هذا التشبيه لا يبلغ سلع ما يعرف مع الاطلاق فكيف اذا قال رايت اسدا انه يريد الشجاعة واذا قال لقيت ضمغما وبدرا انه يريد الحسن ولا تعوي تلك القوة ومما طريق المجاز فيه الحكم قوله الخنسا

عرفت ما ترتعي هي اذا ، اذكرت فاتها هي اقبال وادبار

وذاك انها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما مما هو كون قد تجوزت في نفس الكلمة

وانما تجوزت في ان جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر وتفعله ذاك عليها وانشاء سرها وانه لم يكن لها حال غيرهما كانها قد تجسمت من الاقبال والادبار وانما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو انها كانت قد استعارت الاقبال والادبار لمعنى غيرهما بما الذي وضعاه في اللغة ومعلوم ان ليس الاستعارة مما اراده في شي واعلم انه ليس بالوجه ان يعد هذا مع الاطلاق بعد ما حذف منه المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مثل واسئل القرية ومثل قوله النابغة

وكيف تواصل من اصبحت ، خلالته كابي مرجب ، وقوله الاعرابي

حسبت بغام راحلتي عناقا ، وما بي وبب غيرك بالعناق ،

وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون انه في تقدير وانما هي ذات اقبال وادبار فاك لان المضاف المحذوف من نحو الاية والبيتين في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعنى كمثل ان تحذف خبر المبتدا او المبتدا فاول الامر فيما اذا حذف كان في حكم المنطوق به وليس الامر كذلك في بيت الحماسة الا اذا جعلنا المعنى فيه الان كالمنطوق اذا نحن قلنا فاتها هي ذات اقبال وادبار فاسندنا الشعر على انفسنا وخرجنا الى ما هو مسئول والكلام عامي مرذول وكان سبيلنا سبيل من يزعم سلامي في بيت المستبي ع

بدت قمرا ومالت خوط بان ، وفاحت عنبرا ورنت غزالا ،

انه في تقدير محذوف وانه معناه الان كانها في اذا قلت بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر ورنت مثل غزال فانا نخرج الى العنا نحو الى هو ابلاغة عن سلطانها وتخصص من شانها وبصدنا وجمعنا عن محاسنها ونريد باب المعرفة بها وبلطايفها عليها فالوجه ان يكون تقدير المضاف في هذا على معنى انه لو كان الكلام قد جي به على ظاهره ولم يقصد الى الذي ذكرنا من امر الغاية والقصد وان يجعل الناقة كانها قد صارت بحملها اياها الاداء اراني كانها قد تجسمت منها لكان جعله حسبما ان يحاذيه بلفظ الذات فيقال فانما هي ذات اقبال واداء فانا ان نكون الان موضوعا على ارادة ذلك وعلى نحو ما هو المنطوق به حتى يكون الحال فيه كالحال في حسبت بغام راحلتي عناقا واحتى كان المعنى والقصد ان تقول حسبت بغام راحلتي بغام عناق والامساع او عندي كان صحيح الذوق صحيح المعرفة شبيه العان [illegible] هذه مسالة ذكرت عقيبها

قدمنا وقد كتبناها هنا لان لها اتصالا بهذا الذي صار بنا القول اليه قوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن احمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر
والتفكر والنظر فيما ينبغي ان ينظر فيه فصدا على ان يجعل الذي لا يعي ولا يسمع كالغير
ولا يتفكر كانه لا قلب له لعدم القلب من حيث الانتفاع به وفائه الذي هو فائدة القلب هـ
والمطلوب منه كالعدم الذي لا يتسع ببصره وسمعه ولا يفكر فيما يودي ان اليه
ولا يجعل من رديته سايري وسماع ما يسمع على فاية بمنزلة من لا سمع له ولا بصر
فاما تفسير من يفسره على انه يعني من كان له عقل فانه انما صح على ان يكون قد
اراد الدلالة على الغرض على الجملة فاما ان يوخذ به على هذا الظاهر حتى كان اعلب
اسم للعقل كما يتوهمه الحشو ومن لا تعرف مخارج الكلام فمحال باطل لانه يودي ان
ابطال الغرض من الاية والى تحريف الكلام عن صورته وازاله المعنى عن جهته
وذلك ان المراد به الحث على النظر والتفريع على تركه وذم من يخل به ويفعل عنه
ولا يحصل ذلك الا بالطريق الذي قدمته والابان يجعل من لا يعقله بقلبه كالا ينظر
ولا يتذكر كانه ليس بذي قلب كما يجعل كانه حماد وكانه ميت لا يشعر ولا يحس وليس
سبيل من فسر القلب هاهنا على العقل الا سبيل من فسر عليه السمع والبصيرة قول
الناس هذا بين لمن كان له عين ولمن كان له سمع وفسر العمى والصمم والموت في بعض
من وصفه بالجهالة على مجرد الجهل واجرى جميع ذلك على الظاهر فالعمده ومن عاده
قوم من يتعاطى التفسير يغير علم ان يبتدوا في الالفاظ الموضوعة على الجهار
والتمثيل الصاعي ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويسطلوا الغرض ويمنعوا السمع
والسامع سنهم العلم بموضع البلاغة ومكان الشرف وما هيك بهم اذا احدوا في ذكر
الوجوه وجعلوا لكل وجه دليلا بما ذكرت ما شيئ من باب جهل فتحوه وتركه
هملا له وقد فرحوا به ويسال الله العصمة والتوفيق هـ فصل هذا فرع
من القول دقيق المسلك لطيف المانخذ وهو انا نريهم كما يصنعون في سائر الصنعة
بان يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض كذلك يذهبون في اثبات الصفة هذا
المذهب هذا الذي واذا فعلوا ذلك بدت لهاك محاسن تملا الطرف ودقايق
تعجز الوصف ورايت هاك شعرا شاعرا وسحرا ساجرا وبلاغة لا تكل بها الـ
الشاعر المفلق والخطيب المصقع وكان الصفة اذا لم تاك بشعر جاء ذكرها مكنوفا
عن وصفها ولكن مدلولا عليها بشعر هو كان ذلك الحي لشانها والطف لمكانها كذلك

اسالك الصفة التي ومنشرها له اذا لم يلفه الى السامع صريحا وجب اليه من جانب التعريض
والكناية والرمز والاشارة كان له من الفضل والمزية والحسن والرونق ما لا يقل
قليله ولا يجهل موضع الفضيلة فيه وتفسير هذه الجملة وشرحها انهم يرومون وصف
الرجل ومدحه واثبات معنى من المعاني الشريفة له فيعمدون الى الصريح من ذلك ويكنون
عن جعلها فيه بجملة تشتمل عليه وتدلس به ويتوصلون في الجملة الى المراد وا
من الاثبات لا من الجملة الظاهرة المعروفة بل من طريق خفي ومسلك دقيق
ومثاله قولـــه زياد الاعجم

« ان السماحة والمروة والندى » في قبة ضربت على ابن الحشرج »

اراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعاني والاوصاف خلالا للممدوح وضرائب فيه فترك
ان يصرح فيقول ان السماحة والمروة والندى مجموعة في ابن الحشرج او مقصورة
عليه او مختصة به او ما شاكل ذلك مما هو صريح في اثبات الاوصاف المذكورين لها
وعدل الى ما ترى من الكناية والتلويح لجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن
كونها فيه واشار اليه لخروج كلامه عند الى ما خرج اليه من الجزالة وظهر به ما لت
تراه من الفخامة ولولاه اسقط هذه الواسطة من البين لما كان الا كلاما عاقلا وحدثا
ساذجا فهذه الصنعة في طريق الاثبات هي بنظير الصنعة في المعاني اذا جاءت كاثبات
من معان اخر نحو قولـــه

« ومالك في من عيب فاني » جبان الكلب مهزول الفصيل »

فكانه انما كان من حاجر الشعر ومما يبيع في الاحتيار لاجل انه اراد ان يذكر ممدوحه
بالعرى والصيانة فكنى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك ان يصرح فيقول
قد عرف ان جباني مالوف وكلبي موصوف بالتيقظ في وجوه من يتعاطى من الاضياف
واني لجزر المطي من الى وادع فصاعدا هزيل كذلك انما راعك بيت زياد لانه كنى عن
اثبات السماحة والمروة والندى كاسه في الممدوح بجعلها كاينة في القبة المضروبة
عليه هذا وكما تعمل من شان الكناية الواقعة في نفس الصفة ان جي على صور مختلفة
كذلك من شانها اذا وقعت في طريق اثبات الصفة ان جي على هذا الحد ثم يكون في
ذلك ما يناسب كما كان في الكناية عن الصفة نفسها تفسير هذا الك مطرا في قول
يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في حبس الحجاج

« اصبح في بيت السماحة والمجد وفصل الصلاح والحسب »

نراه نظير ابيات زياد ونعلم ان مكان القيد هيهنا هو مكان الغيبة هناك كما ان
نظير الى قوله حسان لنعلم انه نظير قوله ـــ ن هرمه
« لا اسمع العود بالفصال ، وتنظر الى قول نصيب لعبد العزيز على تزويجه
وغيره ، راعوا عزيزا على تزويجه وغيره من ظاهره ، مبايك اهل البوادي ، وداركت
ما هونه عامره ، وكلبك انسى بالزوائر ، من الام بالابنة الزوائر ،
نعلم انه من قوله الاخر
« يكاد اذا اسا الصوت الضيف مقبلا ، بكله من حبه وهو محجم ،
وان بينهما قرابة شديدة ونسبا لاصقا وان صورتهما في وسط التشابه صورة
معنى زياد وبزيد ومما هو اثبات الصنعة على طريق الكناية والتعريض فوصف المجد
بين توبيه والكرم في بردية وذلك ان قائل هذا توصل الى اثبات المجد والكرم
للممدوح بان جعلهما في ثوبه الذي يلبسه كما توصل زياد الى اثبات السماحة والمروة
والندى لابن الحشرج بان جعلها في العبية التي هو جالس فيها ومن ذلك قوله
« وحيثما يك امر صالح يكن ، ومما جاء بمعناه قوله ـــ
« يصير لبان قرن السماح ، والمكرمات معا حيث صارا ،
وقوله ـــ ابي نواس
« فما جاره جود ولا حال دونه ، ولكن يصير الجود حيث يصير ،
كل ذلك توصل الى اثبات الصنعة في الممدوح باثباتها في المكان الذي يكون فيه والى
لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله وهكذا ان اعتبرت قول الشنفري تصف
امراة بالعفة « بيت سماه من اللوم بيتها ، اذا ما بيوت بالملامة حلت ،
وحدته يدخل في معنى بيت زياد وذلك انه توصل الى نفي اللوم عنها وابعادها عنه
بان نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه فكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في التوصل
الى جعل السماحة والمروة والندى في ان الحشرج بان جعلها في العبية المضروبة عليه
وانما الفرق ان هذا ينفي وذلك يثبت وذلك فرق لا في موضع الجمع فهو لا يمنع ان يكونا
من نصاب واحد ومما هو في حكم المناسب لبيت زياد وامثاله التي ذكرت وان كان

قد اخرج في صورة اغرب وابدع قول حسان
« بني المجد بيتا فاستقرت عماده ، علينا فاعيى الناس ان يتحولا ،
وقول ـــ العنبري
« اوما رايت المجد القى رحله ، في آل طلحة ثم لم يتحول ،
ذلك لان مدار الامر على انه جعل المجد والممدوح في مكان وجعله يكون حيث يكون
واعلم انه ليس كل ما جاء كناية في اثبات الصنعة يصح ان يحكم عليه بالتناسب معنى
بعد ان جعلهم الجود والكرم والمجد عرض ممرض الممدوح كما قال العنبري
« ظللنا نعود الجود من وعكك الذي ، وجدت وقلنا اعتل عسر المجد
وان كان يكون من القصد منه اثبات الجود والمجد للممدوح فانه لا يصح ان يقال
انه نظير لبيت زياد كما قلنا ذلك في بيت ابي نواس ولكن يصير الجود حيث يصير
وغيره مما ذكرنا انه نظيره كما انه لا يجوز ان يجعل قوله وكلبك اروف بالزوائر
مثلا نظير لقوله مهزول الفصيل وان كان الغرض منهما جميعا الوصف بالقرى
والضيافة وكما يجيء كناية عن معنى واحد لان تعاقب الكنايات على المعنى
الواحد لا توجب تناسبها لانه في هو ومن ان تعلق الاشعار الكثيرة في كونها مدحا
بالسماحة مثلا او بالجود او ما اشبه ذلك وقد يجتمع في البيت الواحد كنايات
لمعنى من معاني واحد ثم لا يكون احدها في حكم النظير للاخرى مثال ذلك
انه لا يكون قوله حسان الكلب نظيرا لقوله مهزول الفصيل لان كل واحد من هما
انما يبين اصل نفسه وحسن على حدة وكذلك قوله ابي هرمه لا اسمع العود
بالفصال ولا اتباع الى ربيه الاجل ليس احدي كناسه في حكم النظير الاخرى وان
كان الدال بهما عنه واحدا او اغراضه والبين شعب هذا الاصل وفروعه وامثلته
وصوره وطرقه ومسالكه حد ورسمه ومن لطف ذلك ونادره قول ابي تمام
« ابين فما ترين سوى كريم ، وحسبك ان ترين الماسعيد ،
ومثله وان لم يبلغ مبلغه قول الاخر
« متى تحاو تميم من كرم ، وسلة من تمر ومن سمم ،
وكذلك نقض قول العرب
« اذا الله لم يسق الا الكرام ، فسقى وجوه بني يشكر ،
« وسقى ديارهم بما كرا ، من العيش في رمن محجل ،

ومن مسه عزب تولد لعصبهم في البرامكة

« سالت اليدي والجود ما لك ذا تند فقالا لا يعز موجده »
« وما بال ركن المجد اسى مهدما ، فقالا اصبنا بابن يحيى محمد »
« فلا تفرحا اسماء بعد موته ، فزد كنتما عبدا له في كل مشهد »
« فقالا اقمنا في ثرى لحده ، مساوه يوم ثم يلوه في غد »

قال واعلم ان مما يعين الطريق الى معرفته ما نحن بصدده ان هذا قد روى جميعه بحالها العامة وكثير من الخاصة لبس انهم مجمعون بها في موضع ومعترفون في اخر بل لا يجدون الصاهي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل روى عن ابن الاعرابي انه قال ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له اي احد في كلام العرب حشو فقال له ابو العباس في اي موضع وجدت ذلك فقال احد العرب تقول عبد الله قائم تم تقول ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ الثلاثة والمعنى واحد فقال له ابو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقوله عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني فما احار المتفلسف جوابا فاذا كان الكندي يذهب عليه حتى يركب فيه رأي مسلم او معترض فاظنك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا يحطر مسئلة على باله واعلم ان هذا ساء فائق لوان الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع ان ثم الفت النظر واكثر التدبر لعلم علما ضروريا ليس سواد حولها وان لا بد دخل فاول ذلك ما نحن بصدده من ذكر ذكره في بيت شاعر وهو

« فسراحا حتى قبل المحير ، ان ذاك النجاح في التبكير »

وما انشده بعده من قول بعض العرب

« فغدا وهي ذاك الغدا ، ان عنا الاول الحذا »

وذلك انه محال بين في الغاية وادل على ان ليس سواد حولها وان لا بد دخل من ان ترى الجملة اذا هي دخلت مترتبة مما قبلها وتالفة معه ومتحدة به حتى كان الكلامين قد امرجا فصارا كلاما واحدا وكان احدهما قد سبك في الاخر هذه هي الصورة حتى اذا احببت ان تفاسطها رأيت الثاني منهما قد بنا عن الاول ونجافى معناه عن معناه ورابه لا يتصل به ولا تكون منه بسبيل حتى يجيء العاقل بكراسا في

دون المحير فذاك النجاح في التبكير وغدا وهي ذاك الغدا عنا الاول الحذا ثم لا ترى العاقل تعيد الحمالين الى ما كانا عليه من الاناءة ولا يزيد عليك الدرك كنت تجد بان من المعنى وعدة الضرب كثيرة التنزيل جدا من ذلك قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عز اسمه يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وقوله سبحانه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ومن ابين ذلك قوله تعالى ولا تحاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يتكرر في الاية الواحدة كقوله عز وجل وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي على الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الاحصاء ومن حصائصها انك ترى لضمير الامر والشان معها من اللبس والالتباس ما لا تراه اذا مر بك ضمير لم يدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث صلح الاضمار وذلك نحو قول الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله انه من يحادد الله ورسوله وقوله من عمل سيئا منكم سوءا بجهالة ثم تاب وقوله انه لا يفلح الكافرون ومن ذلك قوله فانها لا تعمى الابصار كما لا يعمى هو من بتق ويصبر فان ذلك او نحو ذلك مما يرشدك الى ان ضمير الامر والشان لا يعرض من العوامل في قوله تعالى قل هو الله احد قل هو اوحي اليّ انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزاء بل تراها لا تجيء الا بان على الصريح او في قل هو الله احد ان لا تكون الضمير الامر دون ان تطلب سابقا يعود ضميره اليه وانشد الفراء في هذه الابيات التي انشدها الخاطب لبعض المحاربين من ع

« اذا اطلع يوما عراق قرونه ، كفاك باس كرها وطرادها »
« اكر مادي والمساء كثرة ، اعالج منها جمرها والتهابها »
« وارض لها مامن بحر اخراسه ، هو الري ان ترضى النفوس مرادها »

المقصود قوله انه هو الري فقال ان الهاء انه يحتمل امرين احدهما ان تكون ضمير الامر وقوله وهو ضمير ان ترضى وقد اضمر قبل الذكر على شريطة التفسير والاصل الا ان ترضى النفوس مرادها الري ثم اضمر قبل الذكر كما ضمرت الابصار في قولها لا تعمى الابصار على ما ذهب اليه الحسن ثم ان الضمير مصير جاء في اخر الكلام فعلم بذلك ان الضمير السابق له وايا ما اراده والثاني ان يكون الهاء وانه ضمير ان ترضى قبل الذكر ويكون هو فصلا ويكون اصل الكلام ان ان ترضى النفوس مرادها هو

واخبار ابو الحسن ما ذهبا اليه من وجوه يكون الضمير فيها للابصار الضمير قبل الذكر على شريطة التفسير وذلك في هذه الوجه اشبه الى ان قائله كان يذهب في الوجه الاول ما ذهب اليه الفراء في قوله لا تعمى الابصار وهو

الوزير اضمر على شريطة التفسير واي الامرين كان فانه لابد فيه من ان ولا سبيل الى
اسقاطها لانك ان اسقطتها افضى ذلك بك الى شيء شنيع وهو ان تقول وارضى بها من
بحر اخر هو الوزن ان رضي النفوس كما دها هذا وان هذه شي اخر يوجب الحاجة اليها
وهي الفاء تتولى من ربط الجملة بما قبلها نحو اما ما ذكرت لك في بيت بشار الا ترى انك
لو اسقطت ان والضمير معا وانتصرت على ذكر ما يجيء من الكلام لم تعلله الا الفاء الواو
وارضى بها من بحر اخر هو الوزن ان رضي النفوس كما دها فاما قول الفيلسوف فذكان يقع
هذه المواضع لما ظن الذي ظن هذا واذا كان خلف الاخمر وهو الغدوة ومن لا يحمد
عنه ومن هو بحيث يقول الشعر ويحله المحول والجاهلين فحري ان ذكر له ويجوز
يستبيه ما يجن فيه عليه بحتى يقع له ان يتعقد على بشار فلا عز وان يدخل الشبهة
في ذلك على الكندي ومما نصنعه ان في الكلام لك تراها تبني النكرة وتصلها الا ان تكون
لها حكم المبتدا اعني ان تكون محدثا عنها بحدث من بعدها ومثال ذلك قوله

ان سوا ونشوء وخيب النازل الامون

قد ترى حسنها وصحة المعنى معها لك ان جئت بها من غيران فعلت سوا ونشوء
لم يكن كلاما فان كانت النكرة موصوفة وكانت لذلك تصلح ان يبتدا بها فان تراها مع
ان احسن وتري للمعنى حينئذ اولى بالصحة وامكن افلا ترى الى قوله

ان دهرا ملف عمرا بسعدى لزمان بهم بالاحسان

ليس يخفى وان كان يستفهم ان تقول دهر يلف عمرا بسعدى دهر صالح ان ليس
الحالان على سوا وكذلك ليس يخفى لك لو عمدت الى قوله ان امرأ قاد حاعن جوار
شعلك فاسقطت منه ان لعمدت الحسن والطلاوة والتمكن الذي انت واجد
الان ووجدت ضعفا وفتورا ومن ثم ان ان في الجملة انها تعني اذا كانت فيها عن
الخبر في بعض الكلام ووضع صاحب الكتاب في ذلك بابا فقال هذا باب ما يحسن السكوت
عليه في هذه الاحرف الخمسة لانه مما ركب ما يكون مستقرا لها موضعا لاظهرته ولغيره
الضمير يفسر المظهر وذلك ان ما لا وان ولا وان بعدها اي ان لهم ما لا فالذي اضمرت هو
لهم ويقول الرجل لرجل هل لكم احد ان الناس الب عليكم ويقول ان زيدا وان عمرا
اي لنا وقالوا ان بحلا وان مرجلا وان في السفر ان مصورا رحلا ويقولون ان
غيرها للابل شاكا نه قال ان لنا وان عندنا غيرها قال والتصيف الابل والشاء
كانتصاب الفارس اذا قلت ما في الناس مثله فارسا ومثل ذلك قوله ع

باليت ايام الحمى يرد ما قال فهذا كقولهم الا ناب ما يرد ما له قال فاذا ايام
الحمى اذا ترد واجعا وقد ادراك في بعد اكله ان الخبر محذوف وقد ترى حسن الكلام
وصحته مع حذفه وهو ترك النطق به ثم ان عمدت الى ان فاسقطتها وجدت الذي كان
حسنا من حذف الخبر لا يحسن ولا يسوغ فلو قلت مال وعمد ومحل ومرتحل عمرها
البلا وسالم لم يكن شيا وذلك ان ان كانت السبب في ان حسن حذف الذي حذف من الخبر
والفاء فاصبته والمتوخ عنه والمتكفل بشانه اعلم ان الذي قلنا في ان من اجلها دخل
على الجملة اذا هي اسقطت منها ان يجيء فيها الى الفاء لا يطرد في كل شيء وكل موضع بل يكون
في موضع دون موضع وحال دون حال فانك تراها قد دخلت على الجملة ليست من
شانها ان تدخل عليها وذلك فيها لا يحصى كقوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات
وعيون وذلك ان فيما ان هذا اما كنتم به تمترون ان المتقين في جنات وعيون لم يكن
كلاما وكذلك قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لانك
لو قلت انهم فيها راغبون وهم فيها لا يبغون والذي سبقت لهم منا الحسنى لم تجد لذلك
الفاء وجها وكذلك قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة الذين امنوا اسم ان وما
بعده معطوف عليه وقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة جملة في موضع الخبر وجواب
الفاء وما بعدها محال لان الجملة لا يعطف على المبتدا وما بعده سوا ان الذين امنوا وهادوا الصابئون
والنصارى لا يتصور اخر من احسن عملا اذا هما يكون الذي ذكرنا في الجملة من حذف ايضا
وايضا الفاء اذا كان مصدرها صدر الكلام صحح به ما قبله ويحيح اه وبين وجه
الغابة فيه الا ترى ان الغرض من قوله انه ان الحجاج في استكبارك بين الامرين
قوله لصاحبه بكرا واد يجيء لعمه في الامر اشركوه وبين وجه الغابة فيه وذلك
الحكمة الا ترى الذي يليها فما تقوله ان زلزاه الساعة شيء عظيم سان للغرض في قوله
يا ايها الناس اتقوا ربكم ولم امروا بالتقوى وكذلك قوله ان مع اليوم اكل مكن ايم سان
للغرض في امر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليهم اي يا ايها حاضر وهو اهل ان يسئل
كل ما ان ترى فيه الجملة محتاج فيها الى الفا فاعرف ذلك فاما الذي ذكرته عن العباس
من جعله انه جواب سائل اذا كانت وجدها وجواب مكرر اذا كان معها الام الذي يدل
على ان لها اصلا في الجواب انا رايناهم قد التزموها الجملة من المبتدا والخبر اذا كانت
جوابا للقسم نحو والله ان زيدا منطلق واستقوا من ان يقولوا والله زيد منطلق ثم

ثم انا اسعرنا الكلام توجيها الامر بنا في اكثر من مواقفها ان نقصد بها الجواب
لقوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكناله في الارض
وكقوله عز وعلا في اول السورة حين نعى عليهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم
وكقوله فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله وقل اني انا النذير المبين واشباه ذلك مما يعلم به انه كالامر
امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يجيب به الكفار في بعض ما جاءوا به وباطرحوه وراءه
وعلى ذلك قوله عز اسمه فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وذلك انك
تعلم ان المعنى فاتياه فاذا اتاه فلكما ما سألتما وما جاءكما وما تقولان فقولا انا رسول
رب العالمين وذلك انك تعلم ان المعنى وكذا قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين هذا سبيله ومن البين في ذلك قوله في قصة البحيرة قالوا انا الى
ربنا منقلبون وذلك لانه عيان انه جواب فرعون عن قوله اسلم له قيل ان
اذن اكثر فحد الوجه القول في نصرة هذه الحكاية ثم ان الاصل الذي ينبغي ان يكون
الناس عليه هو الذي دون في الكتب من انها للتاكيد وقد بينا ذلك فاما كان
الخبر بابن ليس للمخاطب سبيل الى خلافه البتة ولا يكون قد عدد في نفسه ان الذي يعلم
الدليل بكن كان فاتت لا تحتاج هناك الى ان وانما تحتاج اليها اذا كان له طريق الى العلم
وعدد قلت على ما نفي ما اثبت او اثبات ما نفي ولذلك تراها ترد حسنا اذا كان
الخبر بابن بعيد مشكلا في الظن وقد جرت عادة الناس بخلافه كقولك اي ذاك
عليك يا الياس من الناس ان هي نفسك في الياس
وقد رأى حسن مواقعها وكيف قبول النفس لها وليس ذلك الا لان الغالب على
الناس انهم لا يحملون انفسهم على الياس ولا يدعون الرجاء والطمع ولا تعترف كل احد
ولا يسلم ان الغنى في الياس فلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى التاكيد فاذا ذلك
كان من حسنها ما ترى ومثله سواء قولك محمد سي وهيب ع
اجارتنا ان التعفف بالياس وصبر على اسعد وارد ساباياس
حريان لا يبعد فاجد لهم كريما وان لا يحوجاه الى الياس
اجارتنا ان الفداح كواذب والكواسات النجاح مع الياس
هو كلا لا يحق كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه ومعلوم
انه لم يقله الا والمراد تجدده وتجدده على الشعر هو المسئلة ومن لطيف مواقعها ان يدعي

على المخاطب ظن لم يظنه ولكن يراد التعكير به وان يقال ان حالك والذي سمعت
منه ينبغي ان يكون قد ظننت ذاك ومثال ذلك قول الاول
جاسقيق عارضا رمحه ان بني عمك فيهم رماح
يقول ان مجيئه هكذا مجيدا لا يتعمده وانجاعه قد ومع رمحه عرضا لبيل
على اعجاب شديد وعلى اعتقاد منه انه لا يقوى له احد حتى كان ليس مع احد منا
رمح يدفعه به وكانا كلما عزل واحد كان كذلك وجب اذا قيل اهذا جواب سائل
ان يشترط فيه ان يكون للسائل ظن في المسؤول عنه على خلاف ما اتى مجيبه به
واما ان يجعل مجرد الجواب اصلا فيها فلا لانه يودي الى ان لا يستقيم لنا اذا قال
الرجل كيف زيد ان نقول صالح واذا قال اين هو ان نقول في الدار وان لا يصح حتى
تقول انه صالح وانه في الدار وذلك مما لا يقوله احد واما جعلها اذا اجمع بينها
وبين الاخر نحو ان عبد الله لقائم الكلام مع المنكر شديد لانه اذا كان الكلام مع المنكر
كانت الحاجة الى التاكيد اشد وذلك انك احوج ما تكون الى الزيادة في يد تحرك
اذا كان هناك من يدفعه وينكر صحبته الا انه ينبغي ان تعلم انه كما يكون الانكار قد
كان من السامع فانه يكون الانكار تعلم او ترى انه يكون من السامعين وحمله الامر
انك لا تقوله انه لكذلك حتى ترى ان تسمع كلامك وضرب من يرجع فيه عن الانكار
واعلم انها قد تدخل للدلالة على ان الظن كان منك انها المتكلمة الذي كان انه
لا يكون وذلك قولك للشيء هو مرأى من المخاطب ومسمع انه كان من الامر ما ترى
وكان مني الى فلان احسان ومعروف ثم انه جعل جزاي ما رأيت فتقول كأنك ترد
على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ في الذي توهمت وعلى ذلك والله اعلم
قوله تعالى حكاية عن امر مريم عليها السلام قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم
بما وضعت وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام قال رب ان قومي
كذبون وليس الذي يعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والامور الخفية بدونه
بالذي يدرك بالهوينا ونحن نقتصر الان على ما ذكرناه ونأخذ في القول عليها اذا
اتصلت بها ما هي مسائل اما قال الشيخ ابو علي في الشيرازيات
يقول ناس من النحويين في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ان المعنى ما حرم ربي الا الفواحش قال واصبت ما يدل على صحة هذا
في هذا وهو قوله عز وجل انما الفاحش الجامي الدمار وانما يدفع

عن احساسهم انا اومثلي وليس يخلو هذا الكلام من ان يكون موجبا او منفيا فلو كان
المراد به الاحاد لم يستقم الامر لك لانك تقول يدافع انا ولا يقاتلني انا وانما تقول
ادافع واقاتل الان المعنى لما كان ما يدافع الا انا فصلت الضمير كما تفصله مع النفي
اذ الجحد معه الاحتمال المعنى وقال ابو اسحاق الزجاج في قوله تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم النصب في الميتة هو القراءة ونحوا مما حرم عليكم الميتة قال
ابو اسحاق والذي اختاره ان يكون ما هي التي تمنع ان من العمل ويكون المعنى ما حرم
عليكم الا الميتة لان انما تأتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه وقوله السائل
وانما يدافع عن احسابهم انا اومثلي المعنى ما يدافع عن احسابهم الا انا اومثلي
اترى علم الشيخ ابو علي واعلم انهم وان كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك فانهم
لم يعنوا بذلك ان المعنى في هذا هو المعنى في ذاك بعينه وان سبيلهما سبيل القطائر
يوشعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون في النفي معنى النفي وبين ان يكون النفي الذي
على الاطلاق بين لك ايهما لا يكون ان سوا انه ليس كل كلام يصلح فيه ما والا يصلح فيه
انما الا ترى انما لا تصلح في قوله تعالى وما من اله الا الله ولا في نحو قولنا ما احد الا
وهو يقول ذلك اذ لو قلت انما من اله الا الله وانما احد وهو يقول ذلك لما كان لذلك
له معنى فان قلت ان شئت ذلك ان احد الا يقوم الا في النفي وما يجري مجرى النفي
من النهي والاستفهام وان من المزيدة في ما من اله الا الله كذلك لا يكون الا في النفي
قيل في هذا انما به فانه اعتراف بان ليسا سوا لانهما لو كانا سوا لكان ينبغي ان تكون
في انما من النفي مثل ما تكون في ما والا وكما وجدت انما لا تصلح فيما ذكرنا لك بحيث
ما والا لا تصلح في نحو من الكلام قد صلحت فيه انما وذلك في مثل قولك انما هو ذا هم
لا دينار لو قلت ما هو الا هو ذا هم لا دينار لم يكن شيئا واذا قد بان لك هذه الجملة اعلم
حيث جعلوا انما في معنى ما والا لم يعنوا ان المعنى منهما واحد على الاطلاق وان بعض
الفرق فانه بين لك ايهما وما هو اصل في كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه
اعلم ان موضوع انما على ان يجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته او لما نزل
هذه المنزلة تنصب به ذلك انك تقول للرجل انما هو اخوك وانما هو شاعر لك قد علما
لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به الا انك تريد ان تنبهه
للذي يجب عليه من حق الاخ وحرمة الصاحب ومسئله قوله

انما انت والد والاب القاطع احق من واصل الاولاد

لم يرد ان يعلم كافورا انه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ولكنه اراد
ان يذكر منه الامر المعلوم ليبني عليه اسند عاما وجه كونه له بمنزلة الوالد
ومثل ذلك قولهم انما البجل من يحشى الفوت وذلك ان من المعلوم الثابت في النفوس ٧
ان من لم يحش الفوت لم يجل ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما يستجيب الذين
يسمعون وقوله عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله
انما انت منذر من يخشاها كل ذلك بذكر امر ثابت معلوم وذلك ان كل عاقل يعلم
انه لا يكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى اليه وان من لم يسمع ولم يعقل
لم يستجب وكذلك معلوم ان الانذار انما يكون انذارا ويكون له تأثير اذا كان مع من
يومن بالله تعالى ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة فاما الكافر الجاهل بالله فالانذار
وتركه الانذار معه واحد فهذا مثال ما الخبر فيه خبر امر يعلمه المخاطب وكاشكر
مجال واما مثال ما تنزل هذه المنزلة فكقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى في كون الممدوح بهذه الصفة انه امر ظاهر معلوم فالجميع على عادة الشعراء
اذا مدحوا ان يدعوا في الاوصاف التي يذكرونها المدوح حتى انهم انما ناسه انهم وانهم
قد شهروا بها وانهم لم يسمعوا الا انا المعلوم الظاهر الذي لا يدعيه احد كما قال

وتعذلني بنات سعد عليهم وما قلت الا ما علمت سعد

وكما قال المخبل

لا ادعي لابي العلاء فضيلة حتى تسلمها اليه عداه

ومسئله قولهم انما هو اسد وانما هو نار وانما هو سيف صار مرادا دخلوا انما جعلوا
ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى واما الخبر الذي هو الانبا
بنحو ما هو الا اخاك وانما هو كذا فيكون للامر ينكر المخاطب ويشك فيه واذا قلت ما هو
الا شاعر او ما هو الا مخطئ فلانه لمن يدفع الخبر على ما قلت واذا رابت شخصا من بعيد
فقلت ما هو الا زيد لم تعلمه الا وصاحبك يتوهم انه ليس بزيد وانه انسان اخر
ومجيء الانكار ان يكون زيدا واذا كان الامر ظاهرا كالذي معي لم تعده كذلك فلا
تقول للرجل يرى عند اخيه وشبهه الذي يجب عليه من مساءته لهم ومن حسن الحاق
ما هو الا اخوك وكذلك لا تصلح في انما انت والد ما انت الا والد فاما قول انما مصعب
شهاب تصلح فيه ان تقول ما مصعب الا شهاب لانه ليس من المعلوم على العهد وانما

ادعى الشاعر فيه انه كذلك واذا كان هذا هكذا جاز ان تقوله بالنفي والاثبات
الا انك تخرج المدح حينئذ عن ان يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد
ادعيت فيه انه معلوم وانه بحيث لا ينكر منكر ولا يخالف فيه مخالف فقوله
تعالى انا نحن الا بشر مثلكم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا انما جاءوا بالله اعلم
بان والاد ون انما قالوا لهم انتم بشر مثلنا لانهم جعلوا الرسل كانهم بادوا عابهم النبوة
فاخرجوا الغرض من ان يكونوا بشرا مثلهم وادعوا امرا لا يجوز ان يكون لمن هو بشر ولما
كان الامر كذلك اخرج اللفظ مخرجه حيث يراد اثبات امر يدعوه المخاطب ويدعي
خلافه ثم جاء الجواب من الرسل الذي هو قوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
كذلك بان والاد ون انما الان من حكم من ادعى عليه خصمه الخلاف في امر هو لما
فيه ان يعيد كلام الخصم على وجهه ويحكي به على هيئته ويحكيه كما هو فاذا قلت
للرجل انت من شانك كيت وكيت قال نعم انا من شاني كيت وكيت ولكن لا خير على
في ذلك ولا يلزمني من اجله ذلك ما ظننت انه يلزم فالرسل عليهم السلام كانهم قالوا انما
قلتم من اننا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك ولا نجحده ولكن ذلك لا يمنعنا ان يكون
الله تعالى قد من علينا واكرمنا بالرسالة واما قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فانما انا
لانه ابتداء كلام فقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يبلغه اياهم ويقوله معهم وليس هو
جوابا لكلام سابق وقد قيل فيه ان انتم الا بشر فحسب ان توفى به على وفق ذلك الكلام وبر
فيه جدوع كما كان ذلك في الآية الاولى وجملة الامر انك متى رأيت شيئا هو من المعلوم
الذي لا شك فيه فقد جاءك الشبه فقد ذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه
فمن ذلك قوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير انما جاءك واسماعهم
بالنفي والاثبات لانه لما قال تعالى وما انت بمسمع من في القبور وكان المعنى في ذلك
ان يقال للنبي عليه السلام انك لا تستطيع ان تحول قلوبهم عما هي عليه من الاباء
والامتناك ان توقع الايمان في نفوسهم مع اصرارهم على كفرهم واستمرارهم على جهلهم
وصدهم باحجامهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم كان الذي لهذا ان يجعل حال
النبي صلى الله عليه وسلم حال من قد ظن انه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينا انه ليس
في وسعه ثم اكد من ان يذر ويحذر فاخرج اللفظ مخرجه اذا كان الخطاب
مع من يشك فصل ان انت الا نذير وبين ذلك انك تقوله للرجل يطمئن باطن
الجاهل ومقاولته انك لا تستطيع ان تسمع الميت وان تقوم الجماد وان تحول الاعمى

بصيرا وليس يدرك الان صحة وصحيح ذلك لانك لم تقل له انك لا تستطيع ان تسمع
الميت حتى تجعله بمثابة من يظن انه يملك وترك الاحتجاج والبيان بينا وهذا واضح
فاعرفه ومثل هذا في ان الذي تقدم من الكلام انما هو في ان يكون اللفظ كالذي
تراه من كونه بيان والاخوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو
كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم
يومنون فصل هذا بيان آخر في انما اعلم انما تفيد في الكلام بعدها
انجاب الفعل الذي ونفيه عن غيره فاذا قلت انما جاءني زيد فقد عقل منه ذلك اردت
ان تنفي ان يكون الجائي غيره فجعل الكلام معها شبيها بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو
الا ان لها مزية وهي انك تعقل معها انجاب الفعل الذي ونفيه عن غيره دفعة واحدة
وفي جاء زيد لا عمرو وليس كذلك الا ترى ان زيدا لا عمرو فانك تعقلها في جاءني وزيد
لا غيره وهي انما تحتمل الامر ظاهرا فان الجائي زيد ولا يكون هذا الظهور اذا جعلت الكلام
بلا فقلت جاءني زيد لا عمرو ثم اعلم ان قولنا في لا العاطفة انها تنفي عن الثاني ما
وجب للاول ليس المراد به انها تنفي عن الثاني ان يكون قد شارك الاول في الفعل بل
انها تنفي ان يكون الفعل الذي دلت انه كان من الاول قد كان من الثاني وبين الاول
الا ترى ان ليس المعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو انه لم يكن من عمرو مجيء البتة مثل
ما كان من زيد حتى كانه عكس قولك جاءني زيد وعمرو بل المعنى ان الجائي هو زيد
لا عمرو وهو كلام يقوله مع من يغلط في الفعل قد كان من هذا منهم انه كان من ذاك
والنكتة انه لا شبهة في ان ليس ههنا جائيان وانه ليس الا جاء واحد وانما الشبهة في
ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فانت تحقق على المخاطب بقولك جاءني زيد لا عمرو انه
زيد وليس بعمرو ولكنه آخر وهي انك لا تقول جاءني زيد لا عمرو حتى يكون قد بلغ
المخاطب انه كان مجيء اليك من جاء الا انه ظن انه كان من عمرو فاعلمته انه لم يكن من
عمرو ولكن من زيد واذا قد عرفت هذه المعاني في الكلام بل العاطفة فاعلم
انها يحملها فاعلم ذلك في الكلام بانما فاذا قلت انما جاءني زيد لم يكن عرضك ان تنفي
ان يكون قد جامع زيد غيره ولكن ان تنفي ان يكون المجيء الذي دلت انه كان منه
كان من عمرو وكذلك يكون الشبهة مرتفعة في ان ليس ههنا جائيان وان ليس الا جاء
واحد وانما يكون الشبهة في ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فاذا قلت انما جاءني زيد فالامر
الامر في انه زيد وكذلك لا تقول انما جاءني زيد حتى يكون قد بلغ المخاطب ان قد جاء

جاني وانكره ظن انه عمرو سلافا على انه زيد فان قلت فانه يصح ان تقول انما جاني
من الغور زيد وحده وانما اتاني من جملتهم عمرو فقط فان ذلك شيء كما تكلمت والكلام
هو الاول لم الاعتبار به اذا اطلق فلم يعتبر بوحده وكما في معناه ومعلوم انك اذا
قلت انما جاني زيد ولم تزد على ذلك انه لا يسبق من القلب الى المعنى الا ما قدمنا
شرحه من انك اردت النص على زيد انه الجاني فان سبط ظن المخاطب انه الجاني
لم يكن منه ولكن كان من عمرو حسب ما يكون اذا قلت جاني زيد لا عمرو فاعرفه
واذ قد عرفت هذه الجملة فانا نذكر جملة من القول في ما والا وما يكون في حكمها
اعلم انك اذا قلت ما جاني الا زيد احتمل امرين احدهما ان تريد اختصاص زيد
بالمجيء وان سعيه عمن عداه وانا يكون كلاما لمعقوله لا لان بالمخاطب حاجة الى
ان يعلم ان زيدا قد جاءك ولكن لان به حاجة الى ان يعلم انه لم يجيء اليك غيره والثاني
ان تريد الذي ذكرناه في انما ويكون كلاما تقوله ليعلم ان الجاني زيد لا غيره فمن ذلك
قولك للرجل يدعي انك قلت قولا لم قلت قولا قد علمت خلافه ما قلت اليوم الا ما قلته امس
بعينه وتقول لم تر زيدا وانما رأيت فلانا مقولا بل لم ار الا زيدا وعلى ذلك قوله
تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم لانه ليس المعنى انه لم يزد
على ما امرتني به شيئا ولكن المعنى انه لم يدع ما امرتني به ان اقوله لهم وقلت خلافه
ومثاله ما في الشعر من ذلك قوله

وقد علمت سلمى وجارتها ما قطر الفارس الا انا

المعنى انا الذي قطر الفارس وليس المعنى على انه يريد ان يزعم انه انفرد بان قطره
وانه لم يشركه فيه غيره وهاهنا كلام ينبغي ان تعلمه الا ترى انك لو قلت ما قطر الفارس
مسلما لكان فيها عونا على معرفته قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
في يقدم اسم الله عز وجل معنى خلاف ما يكون لو اخر وانما بين لك ذلك اذا
اعتبرت الحكم في انما والا وحصلت الفرق بين ان تقول ما ضرب زيدا الا عمرو وبين
ان تقول ما ضرب عمرو الا زيدا والفرق بينهما انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو فقد
اثبت المنسوب كان الغرض بيان الضارب من هو والاخبار بانه عمرو خاصة دون
غيره فاذا قلت ما ضرب عمرو الا زيدا فقد اثبت المرفوع كان الغرض بيان المضروب
من هو والاخبار بانه زيد خاصة دون غيره واذ قد عرفت ذلك فاعتبره بالآية
واذا اعتبرته بانه علمت ان تقديم اسم الله انما كان لاجل ان الغرض ان يبين لك

الخاشون منهم ويخبر بانهم العلماء خاصة دون غيرهم ولو اخر فكر اسم الله وقدم
العلماء فقيل انما يخشى العلماء الله لصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن ولصار الغرض
بيان المخشي من هو والاخبار بانه الله سبحانه وتعالى دون غيره ولم يجب حينئذ ان
يكون الذين من الله تعالى مقصورة على العلماء وان يكون المخشيون منهم كما هو الغرض
في الآية بل كان يكون المعنى ان غير العلماء يخشون الله تعالى ايضا الا انهم مع خشيتهم الله
يخشون معه غيره والعلماء لا يخشون غير الله وهذا المعنى وان كان قد جاء في القرآن
في غير هذه الآية كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وليس هو الغرض في الآية
ولا اللفظ محتمل له البتة ومن اجاز حملها عليه كان قد ابطل فائدة التقديم وسوى
بين قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبين ان يقال انما يخشى العلماء الله
واذا سوى بينهما لزمه ان يسوي بين قولنا ما ضرب زيدا الا عمرو وبين ما ضرب
عمرو الا زيدا وقد ذكرنا ما لا يخفى به في مسألة وقد عرفت ما الامر
فيها بين ان الكلام انما والا قد يكون في معنى الكلام بانما الاخرى الى يوضح الصورة
في ذلك ما ضرب زيدا الا عمرو وما ضرب عمرو الا زيدا انه في الاول كلام من الجاني
وفي الثاني لبيان من المضروب وان لا تشكك ان تحمله على الذي اشرنا فتريد ما ضرب
زيدا الا عمرو انه لم يضربه اثنان وما ضرب عمرو الا زيدا انه لم يضرب اثنين وهم اعلم
ان السبب في ان لم يكن التقديم المفعول في قولنا ما ضرب زيدا الا عمرو
وما ضرب عمرو الا زيدا سواء في المعنى ان الخاص مما وقع في واحد من الفاعل والمفعول
ولا يقع فيهما جميعا هو انه يقع في الذي يكون بعد انما منهما دون الذي قبلها لاستحالة
ان يحدث معنى الحرف في الكلمة من قبل ان يجيء الحرف واذا كان الامر كذلك وجب ان
يفترق الحال بين ان تقدم المفعول على الفاعل ما ضرب زيدا الا عمرو وبين ان
تقدم الفاعل عليها فتقول ما ضرب عمرو الا زيدا لانا ان وجدنا بين الحالين فرقا
جعلنا المتقدم كالمتأخر في جواز حدوثه فيه وذلك يقتضي المحال الذي هو ان يحدث
معنى الا في الاسم من قبل ان يجيء بها فاعرفه واذ قد عرفت ان الاختصاص مع
الا يقع في الذي يتأخر من الفاعل والمفعول فكذلك يقع في انما في المتأخر منهما دون
المتقدم فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو كان الاختصاص في الضارب واذا قلت انما
ضرب عمرو زيدا كان الاختصاص في المضروب وكما يجوز ان يسوي الحال بين التقدم
والتأخير مع الا فكذلك يجوز مع انما واذا استبنت هذه الجملة عرفت مرجع الى الذي

صنعه الفوزه في قوله واما يدافع عن احسابهم انا او مثلي حتى لو لم يصنعه
لم يصح له المعنى فاك لان غرضه ان يخص المدافع لا المدافع عنه ولو قال واما
ادافع عن احسابهم لصار للمعنى انه يخص المدافع عنه وانه يزعم ان المدافع منه
يكون عن احسابهم لا عن احساب غيرهم كما يكون اذا قال وما ادافع الا عن احسابهم
وليس ذلك معناه انما معناه ان يزعم ان المدافع هو لا غيره فاعرف ذلك فانك
الغلط كما اظن يدخل على كثير ممن تكلم يقولون انه فصل الضمير للحمل على المعنى
فترى انه لو لم يفصله لكان يكون معناه مثلا الان هذا لا يجوز ان يذهب فيه
الى الضرورة فيجعل مثلا نظير قوله الاخر كانا يوم قرى انما يقتل ايانا
لانه ليس به ضرورة الى ذاك من حيث ان ادافع وبدافع واحد في الوزن فاعرف
هذا ايضا واعلم انك ان عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا الى ما بعد الا
فان الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي الا منهما فاذا قلت ما ضرب الا عمرو زيدا
كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى انك قلت ان من ضرب زيدا لا من سواه
وحكم المفعول حكم الفاعل فيما ذكرت لك تقول لم يكسر الا زيدا جبته
فيكون المعنى انه خص زيدا من بين الناس بكسوة الجبة فان قلت لم يكسر الا
جبته زيدا كان المعنى انه خص الجبة من اصناف الكسوة وكذلك الحكم حيث يكون
بدل احد المفعولين جار ومجرور كقول السيد الحميري

لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا

الاختصاص في منكم دون فارسا واعلم ان الامر في المبتدا والخبر اذا كانا بعد
انما على العبرة التي ذكرت لك في الفاعل والمفعول اذا انت قدمت احدهما على الا
معنى ذلك انك ان تركت الخبر في موضعه فلم تقدمه على المبتدا كان الاختصاص فيه
واذا قدمته على المبتدا صار الاختصاص الذي كان فيه في المبتدا انظر هذا انك
تقول انما هذا ذاك لا لغيرك وتقول انما ذاك هذا فيكون الاختصاص في هذا بدليل انه
لك تقول انما ذاك هذا لا ذاك والاختصاص يكون ابدا في الذي اذا جيت بلا العاطفة
كان العطف عليه وان اردت ان تزداد ذلك عندك وضوحا فانظر الى قوله تعالى
وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله عز وجل انما السبيل على الذين يستاذنونك
وانك تريد الاختصاص في الآية الاولى بالمبتدا الذي هو البلاغ وفي الثانية
دون الخبر الذي هو عليك وعلينا وانه في الآية الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون

المبتدا الذي هو السبيل واعلم انه اذا كان الكلام مما والاكان الذي ذكرته من ان
الاختصاص يكون في الخبران لم تقدمه وفي المبتدا ان قدمت الخبر البتة واضح بقولك
ما زيد الا قائم فيكون المعنى انك خصصت القائم من بين الاوصاف التي يتوهم كون
زيد عليها بجعله صفة له وتقول ما قائم الا زيد فيكون المعنى انك اخصصت زيدا
بكونه موصوفا بالقيام فقد قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني الموصوف
على الصفة واعلم ان قولنا في الخبر اذا اخرته نحو ما زيد الا قائم انك اخصصت القيام
من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها وغيبت ما عدا القيام عنه فانما
نعني انك نفيت عنه الاوصاف التي تنافي القيام نحو ان يكون جالسا او مضطجعا
او متكئا او ماشيا الى ذلك ولم نرد انك نفيت ما لم يتقدم من القيام بسبيل اذ لست تعني
عنه بقولنا ما هو الا قائم ان يكون اسود او ابيض او طويلا او قصيرا او عالما او
جاهلا كما انا اذا قلنا ما قائم الا زيد لم نرد انه ليس في الدنيا قائم سواه وانما نعني انا
قائم حيث نحن وبحضرتنا وما اشبه ذلك واعلم ان الامرين في قولنا ما زيد الا
قائم ان ليس نفي على نفي الزيادة ولكن على نفي ان لا يكون المذكور ويكون بدله شيء آخر
الا ترى ان ليس المعنى انه ليس له مع القيام صفة اخرى بل المعنى ان ليس له بدل
القيام صفة ليست بالقيام وان ليس القيام منتفيا عنه وكما يكون الفعل
او الاضطجاع ونحو هما فان قلت فصور لي المعنى اذا صورته اذا وضعت الكلام بما
فعلت انما يوقائم ونحن نرى انه يجوز في هذا ان نغلط بل اذا نقول انما هو قائم لا قاعد
ولا نرى ذلك جائزا مع ما والا اذ ليس من كلام الناس ان يقولوا ما زيد الا قائم لا
قاعد فان ذلك انما لم يجز من حيث انك اذا قلت ما زيد الا قائم فقد نفيت عنه
كل صفة تنافي القيام وصرت كانك قلت ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكئ وهكذا
حتى لا تدع صفة يخرج فيها من القيام فاذا قلت من بعد ذلك لا قاعد كنت قد نقضت
بلا العاطفة شيئا قد بدأت فنفيته وهي موضوعة لان تنفي ما يأتي بعدها تالية لما
قبلها لان تعيد نفيا الى شيء قد نفيته ومن ثم لم يجز ان تقول ما جاءني احد لا زيد
على ان تعمد الى بعض ما دخل في النفي بعموم احد فتستثنيه مما لخصوص له كان لو وجب
اذا اردت ذلك ان تقول ما جاءني احد ولا زيد فتجيء بالواو ومن قبل لا حتى يخرج
بذلك عن ان يكون عاطفة فاعرف ذلك واذ قد عرفت فساد ان تقول ما زيد
الا قائم لا قاعد فانك تعرف بذلك استباع ان تقول ما جاءني الا زيد لا عمرو وما مررت

الا زيدا الاحمر او ما شاكل ذلك وذلك انك اذا قلت ما جاءني الا زيد فقد نفيت ان
يكون قد جاء احد غيره فاذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت ان تنفي بلا العاطفة شيا
قد تعدت نفيته وذلك كما عرفتك خروج ربا عن المعنى الذي وضعت له
الى غلاته فان قيل فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون
اخي قد كان من غيره فكان ينبغي ان لا يجوز فيه ايضا ان تعطف بلا مفعولا انما جاءني
زيد لا عمرو قيل ان الذي قلناه من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا
المجيء عن غيره غير مسلم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا قولك جاءني زيد
وهو كلام كما تراه مثبت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني الا زيد وانما فيه
انك وضعت بدل على زيد فجعلته الجائي وذلك وان اوجب اثبات المجيء عن غيره
فليس بوجيه من اجل ان كان ذلك اهمال نفي في شيء وانما اوجبه من حيث كان المجيء
الذي اخبرت به مجيئا مخصوصا اذا كان لزيد لم يكن لغيره والذي اعناه ان سبيل
العاطفة الفعل عن شيء قد نفيته عنه لفظا ونظير هذا انك تقول من قولنا زيد
هو الجائي ان هذا المجيء لم يكن من عمرو لم تمنع ذلك من ان تجيء انت بلا العاطفة
فتقول زيد هو الجائي لا عمرو لانا لم نقل ما عقلناه من اثبات المجيء عن عمرو بنفي
او نفاه على حتى ولكن بانه لما كان المجيء المقصود بحيا واحدا كان النص على زيد
بانه فاعله واثباته له نفيا عن عمرو ولكن من طريق المعقول لا من طريق ان كان
في الكلام نفي كما كان ثم فاعرفه فان قيل فانك اذا قلت ما جاءني الا زيد ولم يكن عمرو
ان ينفي ان يكون قد جاءه واحدا خر كان المجيء ايضا مجيئا واحدا قيل انه وان
كان واحدا فانك انما حسبت ان زيدا الفاعل له بان نفيت المجيء عن كل من سوى
زيد كما تصنع ان اردت ان تنفي ان يكون قد جاءه جاء اخر واذا كان كذلك كان ما
قلناه من انك ان جئت بلا العاطفة فقلت ما جاءني الا زيد لا عمرو كنت نفيت الفعل
عن شيء قد نفيته عنه مرة صحيحا ثابتا كما قلناه فاعرفه واعلم ان حكم غير نفي ان
يكون قد جاءه انسان اخر وان تريد نفي ان لا يكون قد جاء جاءه واحد اخر
ولا يصح ان تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو كما لم يجز ما جاءني الا زيد لا عمرو ع

في بكنه تحصيل بالكلام الذي نصنعه مما والا اعلم ان الذي ذكرناه
من انك تقول ما ضرب الا عمرو زيدا فتوقع الفاعل والمفعول جميعا بعد الا ليس
بأكثر الكلام وانما الاكثر ان تقدم المفعول على الا نحو ما ضرب زيدا الا عمرو وحتى ايهم

هو وانيه اعني في قولك ما ضرب الا عمرو زيدا الى انه على كلامين وان زيدا
منصوب بفعل مضمر حتى كان المتكلم بذلك ابهم في اول امره فقال ما ضرب الا عمرو
ثم قيل له من ضربه فقال ضرب زيدا وهاهنا اذا تأملت معنى لطيف يوجب ذلك
وهو انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو كان غرضك ان تخص عمرا بضرب زيد لا الضرب
على الاطلاق واذا كان كذلك وجب ان تعدي الفعل الى المفعول من قبل او تذكر عمرا
الذي هو الفاعل لان السامع لا يعقل عنك انك اختصصته بالفعل بعدي حتى يكون
قد بدأت فعدت به اعني لا يفهم عنك انك اردت ان تخصص عمرا بضرب زيد حتى يكون
له بعد زيد فاما اذا ذكرته غير معدى فقلت ما ضرب الا عمرو دان الذي وقع
في نفسه انك اردت ان ترعم انه لم يكن واحد غير عمرو ضرب وانه ليس غير عمرو ضارب
الا وضاربه عمرو فاعرفه اصلا في شأن التقديم والتأخير ان
قيل قد مضيت في كلامك كله على ان انما الخبر لا لجهله المخاطب ولا يكون ذكرك له
لان تفيده اياه وانا نراها في كثير من الكلام والقصد بالخبر عندها ان يعلم السامع
امرا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج الى معرفته كمثل ما ذكرت في اول الفصل الثاني
من قولك انما جاءني زيد لا عمرو فانه وان كان يكون اعلاما لا مرا لا يعلمه السامع فانه
لا يدفع ذلك من ان يدعي هناك فضل انكشاف وظهور في ان الامر الذي ذكرت قد
صمت في اول ما قصمت القول فيها فقلت انها تجيء للخبر لا لجهله السامع ولا نكر بجيئه
اولا بل هذه المنزلة واما ما ذكرت من انها تجيء في الكتب لدلالة المتعلم على ما لا يعلمه
فانك اذا تأملت مواقعها وجدتها في الاكثر قد جاءت لا تريد وقع العلم لوجوه ويمكن
ان يدل عليه مثال ذلك ان صاحب الكتاب قال في باب كان اذا قلت كان زيد قائما
فانه اذا كان معلوما عنده انه لا يكون مبتدأ من غير خبر ولا خبر من غير مبتدأ كان معلوما
انك اذا قلت كان زيد فالمخاطب ينتظر الخبر واذا قلت كان حليما انه ينتظر الاسم
فلم يقع اذا بعد انما الاسم الذي كان معلوما انه لا بد منه من قبل ان يجيء الخبر وهذا الامر فيه
بين قوله في باب ظننت وانما حكى بعد قلت ما كان كلاما لا قولا لأن ذلك انما يعلم
انك لا تحكي بعد قلت اذا كنت تحكو المعنى لانا لو كان جملة مفردة ولا تقول قال فلان
زيدا وتسكت اللهم الا ان تريد انه نطق بالاسم على هذا وذاك كما انك تريد انه ذكره مرفوعا

ومثل ذلك قولهم انما يحذف الشيء اذا كان في الكلام دليل عليه الى اشباه ذلك مما لا يحصى فان رأيتها قد دخلت على كلام مبتدأ اعلم لشيء لم يجعله السامع فلان الدليل عليه حاضر معه والشيء يحسن فيه العلم به عن كثب واعلم انه ليس يكاد يتبين لنا بعرض سبب هذا الحرف من الدقائق ومما يجب ان تعلم انه اذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح الا من المذكور ولا يصح من غيره كالمذكر الذي يعلم انه لا يكون الا من اولي الالباب لم يحسن العطف بل قبح كما حسن مما لا يختص بالمذكور ويصح من غيره تفسير هذا انه لا يحسن ان تقول انما يتذكر اولوا الالباب لا الجهال كما يحسن ان تقول انما جاءني زيد لا عمرو لم ان النفي فيما جاءني فيه الذي يتقدم تاره ويتاخر اخرى فمثاله المتاخر ما تراه في قولك انما جاءني زيد لا عمرو وكقوله تعالى انما انت منذر لمن يخشاها مذكورات عليهم بمسيطر وكقولك لبيد انما يجزى الفتى ليس الجمل ومثال المقدم قولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو وهذا مما انت تعلم به مكان العايد فيما وراءه الا انك تعلم ضرورة انك لو لم تذكر هذا وقلت ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن انهما جاءاك معا وان المعنى الان مع دخولها ان الكلام مع من غلط في عدد الجائين فظن انه كان زيدا لا عمرا واسرا خر وهو انه ليس ببعيد ان يظن الظان انه ليس في انضمام مال الى ان فايدة اكثر من اضافته فلما حتى يرى النحويين لا يزيدون في اكثر كلامهم على انها كانه ومكانها هنا يزيل هذا الظن ويبطله وذلك انك ترى انك لو قلت ما جاءني زيد وان عمرا جاءني لم يعقل منه انك اردت ان المجيء زيدا لعمرو بل يكون دخول ان كالشيء الذي لا يحتاج اليه ووجدت المعنى بغيره ثم اعلم انك اذا استقريت وجدتها اقوى ما يكون واعلق ما ترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض بامر هو مقتضاه نحو انا نعلم ان ليس التعريض من قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب ان يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن ان يذم الكفار ويقال انهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وانكم ان طمعتم منهم في ان ينظروا ويتذكروا كيف كن طمع في ذلك من عبر اولي الالباب وكذلك قوله عز اسمه انما انت منذر من يخشاها وانما يتذكر الذين يخشون ربهم بالغيب المعنى على ان من لم يكن له هذه الخشية فهو كانه ليس له اذن تسمع وقلب يعقل والانذار معه كلا انذار ومثال ذلك من الشعر قوله

انما ادرى محبتها انما للعبد ما رزقا ، التعريض ان تعرك

من باريق التعريض انه قد صار يصح نفسه ويعلم انه يبتلى بان يطاع الطمع من وصلها وعسى من ان يكون منها الصعاب ومنه ذلك قوله وانما يعذر العشاق من عشقا يقول انه ينبغي للعاشق ان يلوم من يلومه في عشوقه وانه ينبغي ان لا ينكره ذلك منه فانه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان ابتلي به لعرف ما هو فيه يعذره وقوله

ما انت بالسبب الضعيف وانما ، يصح الامور بقوة الاسباب
فاليوم جئتنا اليك وانما ، يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

يقول في البيت الاول انه ينبغي ان اصح في امري حين جعلتك السبب اليه ويقول في الثاني انا قد وضعنا الشيء في موضعه وطلبنا الامر من جهته حين استعنا بك وانما عرض من الحاجة وحولنا على فضلك كما ان من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد اصاب بالتعويل موضعه وطلب الشيء من بعد نهجه في هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون انما فلو قلت يتذكر اولوا الالباب لم يدل على ما دل عليه في الآية وان كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس للانه ليس فيه انما والسبب في ذلك ان هذا التعريض انما وقع بان كان من شان انما ان تضمن الكلام معنى النفي من بعد الاثبات والتصريح باسناد المتذكر ممن لا يعقل واذا اسقط من الكلام فصل يتذكر اولوا الالباب كان مجردا وصفا لاولي الالباب بانهم يتذكرون ولم يكن فيه معنى في المتذكر عن ليس منهم ومحال ان يقع تعريض مثلي ليس في الكلام ذكره ولا فيه دليل عليه فالتعريض مثل هذا اعني بان يقول انما يتذكر اولوا الالباب باسقاط انما يقع اذا ان وقع بمدح انسان بالتيقظ وبانه يفعل ما يفعل وفيه لمن سمعه له يعقله ولحسن تمييزه كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم وهذا موضع فيه دقة وغموض وهو مما لا يكاد يقع في نفس احد انه ينبغي ان يعرف سببه ويبحث عن جمسقه الامر فيه ومما يجب لك ان تجعله على ذكر منك من معاني انما ما عرفتك اولا من انها قد تدخل في الشيء على ان يجعل فيه المتكلم انه معلوم ويدعه انه من الصحة بحيث لا يجد فيه دافع كقوله انما مصعب شهاب من الله ومن اللطيف في ذلك قولك قلب من حجر

الا ايها الناهي فزارة بعد ما ، اجدت لعمر والما انت حاكم

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا

ا ما كن مصلحون دخلت اما ادل انهم حين ادعوا لانفسهم انهم مصلحون اظهروا
انهم يدعون من ذلك امرا ظاهرا معلوما وكذلك اكد الامر في تكذيبهم والرد عليهم
فجعل بين الا الذي هو التنبيه وان الذي هو التاكيد فقيل الا انهم هم المفسدون
ولكن لا يشعرون اعلم انه لا يصح تقدير الحكاية في النظم والترتيب
ان تعمد الى الحكاية الالفاظ واجراس الحروف وذلك ان الحاكي هو من يأتي بمثل
ما اتى به المحكي عنه ولا بد من ان يكون حكايته فعلا له وان يكون لها عاملا لاجله مثل
مثل عمل المحكي عنه كمن ان يصوغ انسان خاتما فيصدع فيه صنعته ويأتي في سائر
جاسة اضطراب فيعمد واحد اخر فيعمل خاتما على تلك الصورة والهيئة ويجعل
صنعته وبوزنها كما مي يقال عنه ذلك انه قد حكى عمل فلان وصنعه فلان
والنظم والترتيب في الكلام كالبناء عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في الفاظ
وهو مما يتسع في سبيل من يأخذ الاشياء المختلفة فيبني فيها ترتيبا يحدث
عنه ضرب من النقش والوشي واذا كان الامر كذلك فانا ان نعد شيئا الحكاية
الالفاظ الى النظم والترتيب اذي ذلك الى المحال وهو ان يكون المنشد شعرا مرئ
القيس قد عمل في المعاني وتزيينها واستخراج الشاهد والقوافي مثل عمل امرئ القيس
وان يكون حاله اذا انشد قوله

فقلت له لما تمطى بصلبه وارد ف اعجازا وناء بكلكل

حال الصانع بنظر الى صورة قد عملها صانع في ذهب له او فضة فحلى بها في ذهبه
وفضته وذلك يخرج تمركب ان اردنا ان نكيفه الى ان يكون الراوي مستحقا لان يوصف
بانه استعاد وشبه وان يجعل كالشاعر في كل ما يكون به ناظما فيقال انه جعل
هذا فاعلا وذاك مفعولا وهذا مسندا وذاك خبرا وجعل هذا حالا وذاك صفة
وان يقال نفى كذا واثبت كذا وابدل كذا من كذا واضاف كذا الى كذا وعلى هذا
السبيل كما يقال ذاك في الشاعر واذا قيل ذلك لزم منه ان يقال فيه صدق
وكذب كما يقال في المحكي عنه وكفى بهذا بعدا واحالة ويجمع هذا كله انه يلزم منه
ان يقال انه قال شعرا كما يقال فيمن حكى صنعة الصانع في خاتم قد عمله انه قد
صاغ خاتما وعمله الحديث انا نعلم ضرورة انه لا يتأتى لنا ان ننظم كلاما بين
غير رويه وفكر فان كان راوي الشعر ومنشده يحكي نظم الشاعر على جهته يتعذى
ان لا يتأتى له رواية شعره الا بروية والا بان ينظر في جميع ما نظر فيه الشاعر من

امر النظم وهذا ما لا يبقى معه موضع عذر للشاك هذا اوجب دخول الشبهة
على من دخلت عليه انه لما رأى المعاني لا تجلي لسامع الا من الالفاظ مرتبة على
الانحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس وجرت العادة بان يكون المعاني مع
الالفاظ فيقال قد نظم الفاظا فاحسن نظمها وفعل الفعل فاجاد بانيها جعل الالفاظ
الاصل في النظم وجعله ما يتوخى فيها افتراضها وترك ان يذكر في الذي بناء من ان
النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم وان توخيها في فنون الالفاظ بحال
فلما جعل هذا في نفسه وشب هذا الاعتقاد به خرج له من ذلك ان الحاكي اذا
ادى الفاظ الشعر على النسق الذي نسمها عليه كان قد حكى نظم الشاعر كما حكى
لفظه وهذه شبهة قد سلكت قلوب الناس وعششت في صدورهم وسرت
فلوبهم حتى انك لترى كثيرا منهم وهو من حلولها عند هم محل العلم الضروري بحيث
ان اوضحت له الذي مما ذكرناه اضحك لك وسد سمعه دونك واظهر التعجب منك
وذلك جر برك ترك النظر واخذ الشيء من غير معدنه اعلم
انا اضفنا الشعر واغير الشعر من ضروب الكلام الى قائله لم يكن اسما مشتقا من
حيث هو كلام وايساع لغة ولكن من حيث توخي فيها النظم الذي بيناه عبارة
عن توخي معاني النحو في معاني الكلم وذاك ان من شان الاضافة الاختصاص
فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف اليه فاذا قلت غلام زيد
فاوقعت الاضافة الغلام من الجهة التي تختص منها بزيد وهي كونه مملوكا واذا
كان الامر كذلك فينبغي لنا ان ننظر في الجهة التي تختص منها الشعر بقائله فاذا
نظرنا وجدناه يختص به من جهة توخيه في معاني الكلم التي ابنا منها توخيا
من معاني النحو وراينا نفس الكلم معزولا عن الاختصاص وراينا حالها معه حال
الابرسم مع الذي ينسج منه الديباج وحال الفضة والذهب مع من يصوغ منهما
الحلي فكما لا تشبه الابرسم ان الديباج لا تختص بناسجه من حيث الابرسم والحلي
بصائغها من حيث الفضة والذهب ولكن من جهة العمل والصنعة كذلك ينبغي
ان لا يشبه ان الشعر لا تختص بقائله من حيث انفس الكلم وايساع اللغة ونجد
تبيانا لذلك بان ننظر في القائل اذا اضفته الى الشعر فقلت امرئ القيس قائل هذا
الشعر من اين جعلته قائلا له امن حيث تعلق بالكلم وتحرجت العاطها من فيه
على النسق المخصوص فاجعل راوي الشعر قائلا له فانه يتعلق بها ويحرجها من فيه

جعلته لبد الاعلى بمعنى انك جعلته فى معنى الاسد ولا تقال جعلته زيدا او ولدا لان
تجعله زيدا او ولدا يدخل الغلط فى ذلك على من لا يحصل فاما قوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فانما جاء على الحقيقة الى وصفها وذلك ان المعنى
على انهم ابتوا للملائكة صفة الاناث واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد
صدر عنهم ما صدر من الاسم اعنى اطلاق اسم الاناث وليس المعنى انهم وضعوا لها
اسم الاناث لفظ الاناث او لفظ البنات اسما من غير اعتقاد معنى وانبات صفة وما
محال لا يقوله عاقل اما تسمع قول الله تعالى اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون
فان كانوا لم يجدوا على انهم اثروا الاسم على الملائكة ولم يعتقدوا اثبات صفة وهى
باجراء عليهم فاى معنى لان يقال اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يقصدوا اثبات صفة
ولم يريدوا اجراء ذلك ومنعوا اسما لما استحقوا الا التبكيت من الذم ولما كان هذا القول
منهم لغوا والامر فى ذلك اظهر من ان يخفى وجملة الامر انه قل ليس فى الدنيا علم
قد عرض فيه للعباس من بخس الغلط ومن منع التوثر ومن الذهاب مع الظنون الفاسدة
ما عرض لهم فى هذا الشان فاحببت ان لا يخفى على من يقوله الكذب وهل يحب
من تورط فى مثل هذا ان يقولون قوله اسمعوا لى اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ويومنون به ويدينون بان القرآن
معجز يعجز وناجميعهم عن برهان الاعجاز وذلك ليس كذلك لكون غير سبيله ولعد
جنوا ودوا ذلك عظيما واعلم انه وان كان الصورة فى الذى اعد
وابدانا فيه من انه لا معنى للنظم غير توخى معانى النحو فيما بين الكلم قد بلغت فى الوضوح
والظهور والانكشاف الى اقصى الغاية والى ان يكون الزيادة عليه كالتكلف لما لا يحتاج
اليه فان النفس سارع الى قبول كل ضرب من الشيء ترى انه يعرض للمسلم نفسه عند
اعتراض الشك والتركيب فى الناس من اذا راى انه يحرى فى القياس وضرب للمثل ان
تشبيه الكلم فى نظم بعضها الى بعض بنظم عزال الاتريسم بعضه الى بعض ورأى ان الذى صنع
الديباج ونسج النسق والوشى لا يستنكر ان يشبه الذى صنع منه شيئا عيان بنظم بعضه
الى بعض بحذو الاصباغ المختلفة المواقع التى يعلم انه اذا اوقعها فيه حدثت له فى نحو
ما يرى من النقش والصورة حرى فى ظنه ان حال الكلم فى نظم بعضها الى بعض وفى تحرى
المواقع لها حال خيوط الاتريسم سواء وراب كلا شبه كلام من لا يعلم انه لا بد ان يكون للنظم فيما
بينها فى الموقع موقعا حتى يكون قد توخى فيها معانى النحو وذلك اذا عمدت الى الخياط

فجعلت

فجعلت تتبع بعضها بعضا من عيان توخى فيها معانى النحو لكن وجدت شيئا يحق
فيه بولغا وتشبيه بعد من جعل بحيث اوسع على المحلة مسيعا ولم يتصور ان يكون قد
تحرت لها المواقع وفساد ذلك وشبهه من الظن وان كان معلوما ظاهرا فان هذا
اسند لا لا طبيقا كون سببه الغلبة وهواه يتصور ان يعود عائدا الى نظم الكلام بعينه
فنزيله عن الصورة التى اراد ها الناظر له ويسد ها عليه من غير ان يحول منه يعطا
عن موضعه او يريد له بغيره او يغير شيئا من ظاهر امره على حال مثال ذلك
ان تدورت فى بيت ابى تمام ع

ولعاب الافاعى القاتلات لعابه ٭ وأرى الجنى استارة ابد عواسل

ان لعاب الافاعى مبتدا ولعابه خبر كما يوهمه الظاهر افسدت عليه كلامه وابطلت
الصورة التى اراد ها فيه وذلك ان العرض ان يشبه مداد قلمه بلعاب الافاعى على
معنى انه اذا كتب فى اقامة السياسات الملوث به النفوس وكذلك العرض ان يشبه
مداده بارى الجنى على معنى انه اذا كتب فى العطايا والصلات اوصل به الى النفوس شيا
يحلو مذاقه عندها وادخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى انما يكون اذا كان
لعابه مبتدا ولعاب الافاعى خبرا فاما قد بركك ان يكون لعاب الافاعى مبتدا ولعابه
خبرا فيبطل ذلك ومنع منه البته ويخرج بالكلام الى ما لا يجوز ان يكون مرادا فى عرف
ابى تمام وهو ان يكون اراد ان يشبه لعاب الافاعى المداد ويشبه كذلك الارى
به فلو كان حال الكلم به فى ضم بعضها الى بعض كحال عزال الاتريسم لكان يتبع ان لا يعد
الصورة الحاصلة من نظم الكلم حتى تزال عن مواقعها كما لا يعد الصورة الحادثة عن
ضم غزل الاتريسم بعضه الى بعض حتى تزال الخيوط عن مواضعها واعلم انه لا يجوز
ان يكون سبيل لعاب الافاعى القاتلات لعابه سبيل ما نحن فيه عنابك السيف وذلك ان
المعنى فى بيت ابى تمام انك تشبه شيا مثنى وجامع بين معانى وسيف وليس المعنى فى عنابك
السيف على انك تشبه عنابه بالسيف ولكن على ان تزعم انه يجعل السيف بدلا
من العناب فلا ترى انه يصح ان تقول مداد قلمه قاتل كلم الافاعى ولا يصح ان تقول
عنابك كالسيف اللهم الا ان تجرح الى باب اخر وترى انس غرضه بهذا الكلام وتريد
انه ذعاف عنابا حسنا موهما انك ان قلت السيف عنابك خرجت به الى معنى
ثالث وهو ان تزعم ان عنابه قد بلغ فى المرة وشدة تاثيره بلغا سار له السيف
كانه سيف واعلم انه ان نظر ناظر فى سان المعانى والالفاظ الى حال السامع فانا

راي المعاني تقع في بدنه من بعد وقوع الالفاظ في سمعه ظن لذلك ان المعاني تقع للالفاظ في ترتيبها فان هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن وذلك انه لو كانت المعاني تكون تبعا للالفاظ في ترتيبها لكان محالا ان تتغير المعاني والالفاظ محالها لم تزل عن ترتيبها فلما رأينا المعاني قد جازتها التغير من غير ان تتغير الالفاظ وتزول عن اماكنها علمنا ان الالفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة واعلم انه ليس من كلام يحمد واضعه فيه الى معرفتين محصلهما مبتدا وخبر ام المقدم الذي هو الخبر والاشكل الامر فيه عليك فلم تعلم ان المقدم خبر حتى ترجع الى المعنى وتحسن التدبر فاسمع الشيخ ابو علي في التذكرة . ثم وان لم اكرامي كواكا . ثم قال يمتنع ان يكون كرامي خبرا معتمدا ويكون الاصل كراك كرامي اي ثم وان لم اكرامك فنومك نومي كما تقول ثم وان جلست فقيامك قيامي هذا هو عرف الاستعمال في نحو ثم مال واذا كان ذلك فقد تقدم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التاخير من حيث كان خبرا قال فهو كبيت الحماسة . بنونا بنو ابنائنا وبناتنا . بنوهن ابناء الرجال الاباعد فتقدم خبر المبتدا وهو معرفة وانما دل على انه ينوي التاخير المعنى ولو لا ذلك لكانت المعرفة اذا وقعت بعد المبتدا النكرة بها فالصورة ذلك هذا كلامه فاعطه واعلم ان ان القايدة تعظم في هذا العرب من الكلام اذا انت احسنت النظر فيما ذكرت لك من انك تستطيع ان تنقل الكلام في معناه عن صورة الى صورة من غير ان تغيّر لفظه شيئا او تحول كلمة عن مكانها الى مكان اخر وهو الذي وسع مجال التاويل والتفسير حتى صار ابناؤنا ولون في الكلام الواحد تاويلين واكثر ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير وهو على ذلك الطريق المراة الذي ورط كثيرا من الناس في الذي ذكره وهو ما يعلم به العاقل سره الحاضر الى هذا العلم ويكشف معه عوار الجاهل به ويفتح عن زيف المظهر الغني به ذلك لانه قد يدفع الى الشيء لا يتسع الا بتقدير غير ما جرى به الظاهر ثم لا يكون اهتدى الى معرفة ذلك التقدير اذا كان جاهلا بهذا العلم متسع عنده ذلك في المعنى ويقع في الضلال مثال ذلك ان من نظر الى قوله عليه ذل ادعو الله او ادعو الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ثم لم يعلم ان ليس المعنى في ادعو الله او ادعو الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى كان يعرض ان يقع في الشرك من حيث انه ان اجرى في خاطره ان الكلام على ظاهره خرج

ذلك به والعياذ بالله تعالى الى اثبات مدعو غير الله تعالى الله عن ان يكون له شريك وذلك من حيث كان محالا ان تعمد الى اسمين كلاهما اسم شيء واحد فتعطف احدهما على الاخر وتجعل احدهما مقولا مثلا ادع زيدا والامير والامير هو زيد وكذلك ان تقول ايا ما تدعو فليس هناك الا مدعو واحد لان من شان اي ان يكون بدا واحدا من اثنين او جماعة ومن ثم لم يكن له بد من الاضافة اما لفظا واما تقديرا وهذا باب واسع ومن المشكل فيه قراءة من قرا وقالت اليهود عزير ابن الله بغير تنوين وذلك انهم حملوها على ان يجعلوا احد هما ان يكون الخبر كما اراد المنونين ثم حذف لالتقاء الساكنين ولم يحركه كقراءة من قرا قل هو الله احد الله الصمد بترك التنوين من احد وكما حكي عن عمدة من جعيل انه سئل قراءة ولا الليل سابق النهار بالنصب فقيل له ما تريد فقال اريد سابق النهار قيل فهلا قلته فقال لو قلته لكان اوزن وكما جاء في الشعر من قوله . فالفيته غير مستعتب . ولا ذاكر الله الا قليلا . اي نظير ذلك فيكون المعنى في هذه القراءة مسلة في القراءة الاخرى سواء والوجه الثاني ان يكون الابن صفة ويكون التنوين قد سقط على احد سقوطه في قولنا جاءني زيد عمرو ويكون في الكلام محذوف ثم اختلفوا في المحذوف فمنهم من جعله مبتدا وهم من جعله خبرا فقدروا قالت اليهود عزير ابن الله ومنهم من جعله خبرا فقدروا قالت اليهود عزير ابن الله معبودنا وفي هذا امر عظيم وذاك انك اذا حكيت عن قايل كلاما انت تريد ان تكذبه فيه فان التكذيب يتصرف الى ما كان وقع خبرا دون ما كان وقع تفسيرا هذا انك اذا حكيت عن انسان انه قال زيد بن عمرو سيدنا كذبته فيما لم تكن قد انكرت بذلك ان يكون زيد بن عمرو ولكن ان يكون سيدا ولذلك اذا قال زيد الفقيه قد قدم فقلت له كذبت او غلطت لم تكن قد انكرت ان يكون زيد قد قدم ولكن ان يكون قد قدم هو هذا الاخير الذي فيه وذلك انك اذا اكذبت قايلا لانه قال ما اسمه فانما يتصرف التكذيب منك والنسبة بينك وبين اثباته ونفيه والاثبات والنفي بناء ولان الخبر وان الصفة بذلك على ذلك انك تجد الصفة ثابتة في حال النفي كثبوتها في حال الاثبات فاذا قلت ما جاءني زيد الظريف كان الظرف ثابتا لزيد كثبوته اذا قلت جاءني زيد الظريف وذلك ان ليس ثبوت الصفة للذي هي صفة له بالمعنى بل باثباته لها فيقتفي بنفيه وانما تثبوا بعضها وتعتبر الوجود فيها عند المحادثات مثاله عند المتكلم لانه اذا وقعت الحاجة في العلم الى الصفة كان الاحتياج اليها من اجل جهة

اللبس على المخاطب تعبير ذلك انك اذا قلت جاءني زيد الظريف فانك انما تحتاج
الى ان تصفه بالظريف اذا كان ثمة من يحتمل انك واحد اخر سمي زيدا فان لم تحش ان
ذلك جاءني زيد ولم تقل الظريف ان يلتبس على المخاطب فالامر كذلك اذا عرفت هذا
ذاك واذا كان الغرض من ذكر الصفة ازالة اللبس والتبيين كان محالا ان يكون غير
معلومة عند المخاطب وغير ثابتة لانه يؤدي الى ان تؤمر بتبيين الشيء للمخاطب بتوهمه
هو لجعله في ذلك الشيء وذلك ما لا غاية وراءه في الفساد واذا كان الامر كذلك كان
جعل الاسم صفة في الآية مؤديا الى الامر العظيم وهو اخراجه عن موضع النفي الذي هو
الى موضع الثبوت والاستقرار لجعل الله تعالى عن شبه المخلوقين وعن جميع ما يقول
الظالمون علوا كبيرا فان قيل ان هذه القراءة معروفة والقول بجواز الوصفية في
الاسم كذلك معروف ومردود في الكتب وذلك يقتضي ان يكونوا قد عرفوا في الآية
تأويلا يدخل به الاسم في الانكار مع تقدير الوصفية فيه قيل ان القراءة بذلك كما ذكرت
معروفة والقول بجواز ان يكون الاسم صفة مثبت مسطور في الكتب كما قلت ولكن
الاصل الذي قدمناه وان الانكار اذا دخل نحو الخبر دون الصفة ليس الشيء الذي يعرض
فيه شك او يشترط عليه شبهة فليس ينبغي ان يكون الاسم صفة ثم يكون قد دخله الانكار
الا على تأويل عامض وهو ان يقال ان الغرض الدلالة على ان الوجود قد كان بلغ من
علمهم ورسوخهم في هذه الشركة انهم كانوا يذكرون عقيب هذا الذكر كما تقول في قوم
يصفهم بالغلو في امر صاحبهم اي اراهم قد اعتقدوا فيه امرا عظيما فهم يقولون انما
زيد الا معبود يريد انه كذلك بكون ذكرهم له اذا ذكروه الا انه انما يستقيم هذا التأويل
فيه اذا انت لم تذكر له خبرا معينا ولكن تريد انهم كانوا لا يخبرون عنه بخبر الا كان
ذكرهم له هكذا ومما يوضح هذا الذي نحن فيه قوله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا
خيرا لكم وذلك انهم قد قدروا في رفع ثلاثة الى انها خبر مبتدا محذوف وقالوا التقدير
ولا تقولوا الهتنا ثلاثة وليس ذلك بمستقيم وذلك انا اذا قلنا ولا تقولوا
ثلاثة كان ذلك والعياذ بالله تعالى شبه الاثبات ان ههنا الهة من حيث انك اذا
نفيت فانما تنفي المعنى المستفاد من الخبر عن المبتدا ولا تنفي معنى المبتدا اذا قلت
ما زيد منطلقا كنت نفيت الانطلاق الذي هو معنى الخبر عن زيد ولم تنف معنى
زيد ولم توجب عدمه واذا كان ذلك كذلك فاذا قلنا ولا تقولوا الهتنا ثلاثة كما
قد نفينا ان يكون عدة الالهة ثلاثة ولم ننف ان يكون الهة جل الله وتعالى عن
الشرك والتظير كذلك اذا قلت ليس انسانا امرأة ثلاثة كنت قد نفيت ان يكون عدد الامرأة
ثلاثة ولم تنف ان يكون ثم امرأة هذا ما لا شبهة فيه واذا اردت هذا النفي دون هذا
الفساد وجب ان تعود له عنه الى غيره والوجه والله اعلم ان يكون ثلاثة صفة منفيا
لا خبرا مثبتا او يكون النفي مقدرا ولا تقولوا انا الهة ثلاثة ثم حذف الخبر الذي هو انا
وفي الوجود كما حذف من لا اله الا الله وما من اله الا الله وسبق ولا تقولوا الهة
ثلاثة ثم حذف الموصوف الذي هو الهة فبقي ولا تقولوا ثلاثة وليس في حذف
ما قدرنا حذفه ما يوقف في صحته اما حذف الخبر الذي قلنا انه انا او في الوجود
فمطرد في كل ما بمعناه التوحيد ونفي ان يكون مع الله تعالى الله عن ذلك اله واما
حذف الموصوف بالعدد فكذلك شائع وذلك انه كما يسوغ ان تقول عندي ثلاثة
اثواب ثم تحذف لعلمك ان السامع يعلم ما تريد كذلك يسوغ ان تقول عندي ثلاثة
واثنا تريد اثواب ثلاثة لانه لا فصل بين ان تحمل المنفي بالعدد مميزا وبين
ان تجعله موصوفا بالعدد في انه يحسن حذفه اذا علم المراد بين ذلك انك عند
نفي المعدود بالعدد قد تترك ذكره لا تستطيع ان تقدره الا موصوفا وذلك في نحو
عندي انسان وعندي رجل واحد يكون المحذوف ههنا موصوفا لا محالة نحو عندي
رجلان انسان وعندي درهم واحد ولا يكون مميزا لانه من حيث كانوا قد رضوا
الواحد والاثنين الى الجنس تركوا ان يقولوا واحد رجال واثنا رجال على حد
لثلاثة رجال وكذلك كان قول الشاعر ... ظرف يجوز فيه بنا حنظل
شاة هذا ولا يمتنع ان يجعل المحذوف من لا اله في موضع المميز دون موضع الموصوف
فيجعل التقدير ولا تقولوا ثلاثة الهة ثم يكون الحكم في الخبر ما مضى ويكون المعنى
والله اعلم ولا تقولوا انا ثلاثة الهة او في الوجود ثلاثة الهة فان ذلت فلم صار لا يلزم
على هذا التقدير ما لزم على قول من قدر ولا تقولوا الهتنا ثلاثة فذلك لانا اذا جعلنا
التقدير ولا تقولوا انا في الوجود الهة ثلاثة او ثلاثة الهة كما قدرنا الوجود من
الالهة كما نفيناه في لا اله الا الله وما من اله الا الله واذا زعموا ان التقدير ولا تقولوا
الهتنا ثلاثة كما قد نعوا ان يكون عدة الالهة ثلاثة ولم ينفوا وجود الالهة
قال قيل فانه يلزم على تقدير ترك الفساد من وجه آخر وذلك انه يجوز اذا قلت
ليس انسانا امرأة ثلاثة ان يكون المعنى ليس انسانا امرأة ثلاثة ولكن انسانان اثنان واذا
كان كذلك كان تقدير ترك وتقدير هم جميعا خطأ قيل ان ههنا امرا قد اغفلته وهو

ان نوضح الحق فنقول نوجب بثبوت الهة جل الله وتعالى عما تقول الظالمون علوا كبيرا
وقولنا ليس لنا الهة ثلاثة لا نوجب بثبوت اثنين البته فان قلت ان كان لا يوجب
فانه لا ينفيه قيل ينفيه بما بعده من قوله تعالى انما الله اله واحد فان قيل
كما ينفي الالهين كذلك ينفي الالهة واذا كان كذلك وجب ان يكون تقدير الكلام صحيحا
كما قدر ترك قيل بوكا قلت ينفي الالهة ولكنهم اذا رأوا ان التقدير ولا تقولوا الهنا
ثلاثة وكان ذلك والعياذ بالله من الشرك يقتضي اثبات الهة كانوا قد وقعوا في
النفي وخالفوه واخرجوه الى الشاقضه واذا كان كذلك كان محالا ان يكون الصحيح
سبيل اليها قالوه وليس كذلك الحال فيما قدرناه لانا لم نقدر شيأ يقتضي اثبات
الهة تعالى الله حتى يكون حالنا حاله من يدفع ما يوجبه هذا الكلام من نفيهما
بين لك ذلك انه يصح لنا ان نتبع ما قدرناه نفي الاثنين ولا يصح لهم تقدير ذلك انه
يصح ان يقول ولا تقولوا لنا الهة ثلاثة ولا الهان لان ذلك مجرى مجرى ان يقول
ليس لنا الهة ثلاثة ولا الهان وهذا صحيح ولا يصح لهم ان يقولوا لا تقولوا الهنا
ثلاثة ولا الهان لان ذلك مجرى مجرى ان يقولوا ولا تقولوا الهنا الهان وذلك
فاسد فاعرفه واحسن تأمله ثم ان ههنا شيأ اخر وهو ان تقدر ولا تقولوا
الله والمسيح وامه ثلاثة اي تعبد هما كما تعبد الله بين ذلك قوله تعالى لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد استقر في العرف انهم اذا اراد وا الحاق
اثنين بواحد في وصف من الاوصاف وان يجعلوهما شبيهين له قالوا لهم ثلاثة
كما يقولون اذا اراد وا الحاق واحد باخر وجعله في معناه هما اثنان وعلى هذا
السبيل كما يقولون هم بعدون معه واحدا او يوجب لهم الشاوي والشارك
في الصفة والوتيه وما شاكل ذلك واعلم انه لا معنى لان يقال ان القول حكاية
وانه اذا كان حكاية لم يلزم منه اثبات الالهة لانه مجرى مجرى ان يقول من دين
الكفار ان يقولوا الالهة ثلاثة وذلك لان الخطاب في الآية للنصارى لقسم الا
ترى الى قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم واذا كان الخطاب للنصارى كان تقدير
الحكاية محالا ولا تقولوا اذ اني معنى لا تعتقد وا واذا كان في معنى الاعتقاد لزم اذا
قدرنا لا تقولوا الهنا ثلاثة ما قلنا انه يلزم من اثبات الالهة وذلك لان الاعتقاد

تعلق بالخبر لا بالمخبر عنه فاذا دلت لا تعتقد ان الامر كذا لا تكون قد نفيت عن
ان يعتقد كون الامر على هذه العدة لا عن ان يعتقد ان ههنا امرا هذا نما لا يتصف
فيه عاقل وانما يكون النهي عن ذلك اذا دلت لا تعتقد ان ههنا امرا لا تحسبه
كذا قلت لا تعتقد وجود امر هذا ولو كان الخطاب مع المؤمنين لكان
تقدير الحكاية لا يصح ايضا ذاك لانه لا يجوز ان يقال ان المؤمنين يهوا عن ان
يحكوا عن النصارى مقالتهم ويخبروا عنهم بانهم يقولون كيت وكيت وقد قال
الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ومن اين
يصح النهي عن حكاية قول المبطل وفي ترك حكايته ترك له وكفره واستماع من النهي
عليه والانكار لقوله والاحتجاج عليه واقامة الدليل على بطلانه فلا جرم لا حاجة الى
شيء من ذلك الآن بعد حكاية القول والافصاح به واعرفه ٥ ع

هذا اخر النصف الاول من دلائل
الاعجاز في القرآن ويتلوه في النصف الثاني
قد اردنا ان نسابق تعريرا نزيد به
ابناء عصرنا انهم في عمياء من امرهم
ولله الحمد والشكر كثيرا والصلاة على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين
والهم وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين ع

بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن واتمم بخير

قد اراد بان يستانف تقريرا يريد به الناس بصيرا انهم في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسلك الذي سلكناه ويقرعوا خواطرهم لمتامل ما استحرجناه وانهم سالم يا حمد وا المنهم بذلك ولم يجرده واعسا يا تهم له في غرور ركمن بعد نفسه انوى من السراب اللامع ومحاد عها يا كاد يب المطامع يقال لهم اكم تسلون كمات قوله انه قل لين اجتمعت الانس والجن على ان يا توا بمثل هذا القران لا يا تون بمثله وقوله عز وجل قل فاتوا بعشر سور مثله وقوله بسورة من مثله فقولوا الان لتجوزان يكون تعالى قد امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يتحدى العرب الى ان يعارضوا القران بمثله من غير ان يكونوا قد عرفوا الوصف الذي ان اتوا بكلام عليه قد كانوا قد اتوا بمثله ولابد من لا لانهم ان قالوا لعجزوا بطلوا التحدي من حيث التحدي كما لا يخفى مطالبة بان يا توا بكلام على وصف ولا يصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير ان يكون ذلك الوصف معلوما للطالب ويبطل بذلك دعوى الاعجاز ايضا وذلك انه لا يتصور ان يقال انه كان معجزا حتى يثبت معجوزا عنه معلوم فلا يخلو من احد امرين اما ان يقول لخصم له قد اعجزك ان تفعل مثل فعلي وهو لا يسوغ له الى وصف يعلمه في فعله ويراه قد وقع عليه افلا ترى انه لو قال رجل لاخر اني قد احدثت في جامك عملته صنعة انت لا تستطيع مثلها لم يجب عليه حجة ولم يتسبه انه قد اتى بما يعجزه الان بعد ان يريه الجامع ويشير له الى ما زعم انه ادعى فيه من الصنعة لانه لا يصح وصف الانسان بانه قد عجز عن شيء حتى يريد ذلك الشيء ويقصد اليه ما لا يمكن له وليس يتصور ان يقصد الى شيء لا يعلمه وان يكون منه اراده لامر لم يعلمه في جمله ولا تفصيل ثم ان هذا الوصف ينبغي ان يكون وصفا قد تجدد بالقران وامرا لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله واذا كان كذلك فقد وجب ان نعلم انه لا يجوز ان يكون في الكلم المفرده لان تقدير كونه فيها يودي الى المحال وهو ان يكون الالفاظ المفردة التي هي اوضاع اللغة قد حدث في بنائه حروفها واسماؤها اوصافا لم يكن لتكون فيها قبل نزول القران وتكون قد اختصت في انفسها باصفات وصفات سمعها السامعون عليها اذ كانت متلوة في القران لا يجدون لها تلك الهيات والصفات خارج القران ولا يجوز ان يكون في معاني الكلم المفردة التي هي لوضع اللغة لانه يودي الى ان يكون قد تجدد في معنى الحمد والرب ومعنى العالمين

والملك

والملك والقدس والنور وهكذا اوصاف لم تكن قبل نزول القران وهذا ما لو كان هو بنا شيء ابعد من المحال واشنع لكان اياه ولا يجوز ان يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات حتى كانهم تحدوا الى ان يا توا بكلام تكون كلمانه على توالها كزنة كلام القران وحتى كان الذي بان به القران من الوصف في سبيل صورته نحو الشعر بعضها من بعض لانه يخرج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة في انا اعطيناك الجماهير فصل لربك وهاجر والطاحنات طحنا وكذلك الحكم ان زعم راعم ان الوصف الذي تحدوا اليه هو ان يا توا بكلام محمولون له سفاطح وفواصل كالذي نراه في القران انه ايضا ليس باكثر من التعويل على مراعاة وزن واما الفواصل في الاي كالقوافي في الشعر وقد علمنا امتداد ربم على القوافي كيف هو فلو لم يكن التحدي الا الى فصول من الكلام يكون لها اواخر اشباه القوافي لم يعوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم وقد خيل الى بعضهم ان كانت الحكاية صحيحة عني من هذا انحى وضع على ما رتبوا فصول كلام اواخرها كاواخر الايي مثل يعلمون ويومنون واشباه ذلك وحملة الامر انه لن تعرض هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له الامن سوء المعرفة او الخذلان او شرة الاعراب في القول ومن هذا الذي رضي من نفسه ان يزعم ان البرهان الذي ان لم والامر الذي ضوءهم واضيئه التي ملات شدوريم والروعة التي دخلت عليهم فارقتهم حتى قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر اما كان لشيء راعهم من وقائع حركاته ومن ترتيب بنائها وبين سكناته امر لعوا صل في اواخر اياته امر من اين يلتبس هذه الصفة وهذا التشبيه بذلك ام ترى ان ابن مسعود حين قال في سعة القران لم تسقه ولا ينسان وقال اوا وقعت في الدهم وقعت في روضات دمثات انا نرى في ابن اي اشتع محاسنهن قال ذلك من اجل اوزان الكلمات ومن اجل الفواصل في اواخر الايات ام ترى العصر اذ ذاك قالوا الا تعني محاسنه ولا خلق على كثرة الرد ام ترك الجاحظ حين قال في كتاب النبوة ولو ان رجلا من خطبائهم قام الى رجل من خطبائنا ومن بلغائهم وشاعرهم وشاعرنا فاخذ يناقضه في نظامها وينقض عليها وطالبه انه عاجز عن مثلها ولو تحدى لها اسلع العرب لاظهر عجزه عنها لعاو لغط فليس كلامه هذا اما ذهبوا اليه في ذلك وسيجيء ان يكون مواز نتهم بين بعض الاي وبعض ما قاله الناس في معناها كالموازنة بين دلكم في العصاسر جياء وبين مثل البعض احيا الجمع عظامهم لنا لا نعلم خبرت

قوله لم تسقه اي لم تعجز ولا ينسان اي لا تخلق ع

التحريك والتسكين وحدث الفاصلة مذهبا في هذه الوازنة ولا تعلم احدا اراد او عبر ما وزنه الناس اذا وازنوا بين كلام وكلام في الفصاحة والبلاغة ووقفة النظم وزيادة الفائدة ولولا ان الشيطان قد استحوذ على اكثر من الناس في هذا الشان وانهم يتركون النظر واهمال الفكر وضعف النية وقصر الهمة قد طرقوا له حتى جعل يلهى في نفوسهم كل محال وكل باطل وجعلوا يمضون الذي يلوح لهم من ذلك ويبرونه مكانا من قاله لهم لما بلغ من قدر هذه الاقوال الفاسدة ان ندخل في تصنيف ونقاد ونبتدي بتبيين وجه الفساد فيها ونعرف ثم ان هذه الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم اصحاب الصرفة ايضا وذاك انه لو لم يكن معجزا من معارضة القرآن وعن ان يأتوا بمثله لانه معجز في نفسه وذكر لان دخل عليهم العجز عنه وصرفت هممهم وخواطرهم عن تاليف كلام مثله وكان حالهم على الجملة حال من اعدم العلم بشيء فذكان يعلمه وحيل بينه وبين امر فذكان يشيع له لكان ينبغي ان لا تنعاهم ولا يكون منهم ما يدل على اكثار هم لو واعجبهم منه وعلى انه قد بهرهم وعظم كل العظم عندهم بل كان ينبغي ان يكون الاكثار منهم والتعجب للذي دخل من العجز عليهم وراوه من تعذر حالهم ومن ان حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا لو ان سدد ونه باب كان لم مفتوحا او ابيت لو ان نبيا قال لقومه ان اية ان اضع يدي على راسي هذه الساعة وتعود كلكم من ان تستطيعوا وضع ايديكم على رؤسكم فكان الامر كما قال لم يكون تعجب القوم امن وضعه يده على راسه ام من عجزهم ان يضعوا ايديهم على رؤسهم ونعود الى السؤال فنقول فاذا ابطل ان يكون الوصف الذي عجزهم من القرآن شيء مما عددناه لم يبق الا ان يكون في النظم لانه ليس من بعد ما ابطلنا ان يكون فيه الا النظم واذا ثبت انه في النظم وكنا على انا ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم وانا ان بغينا الدهر بمجهود افكارنا حتى نعلم الكلم المفردة سلكا ينظمها وحبلا يجمع شملها ويولفها ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو واحكامه فيها طلبنا ما لا يمكن ان يوجد ابدا وظهرت استحالة القول في النظم والزاعم انه يحاول بيان المزية فيه وهو لا يعرض فيما يعيده ويبديه للقوانين والاصول التي قدمناها ولا لمسلك السبل التي نهجناها في عمياء من امره وفي غرور من نفسه وفي خداع من الاماني والاضاليل ذاك

لانه اذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم كان من العجب العجيب ان يزعم زاعم انه يطلب المزية في النظم ثم لا يطلبها في معاني النحو واحكامه التي النظم بارة عن توخيها فيما بين الكلم فان قد ايسك ذاك الا النظم يقتضي اخراج معاني القرآن من الاستعارة وسائر وجوه المجاز من جملة ما هو به معجز وذلك ما الا مساغ له قيل ليس الامر كما ظننت بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز وذلك لان هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعد ها من جملة مقتضيات النظم وعنه تحدث وبه تكون لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وحدها افراد لم يتوخ فيما بينها حكم من احكام النحو فلا يتصور ان يكون ههنا فعل واسم قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد الف مع غيره اولا حرى انه ان قدر في الشعر من قوله واستعل الراس شيبا ان لا يكون الراس فاعلا له ويكون شيبا منصوبا على التمييز لم يتصور ان يكون مستعارا وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك واعلم ان السبب في ان لم يقع النظر منهم موقعه انهم حين قالوا يطلب المزية ظنوا ان موضعها اللفظ بنا على ان النظم نظم الالفاظ وانه يظهر بها دون المعاني وحين اخذوا ذلك واعتقدوه وقفوا على اللفظ وجعلوا لا يزيدون باوهامهم الى شيء سواه الا انهم على ذاك لم يستطيعوا ان ينطقوا في صحيح هذا الرأي نطقوه بحرف بل لم يكلموا في الامكان ذلك نقضا وابطالا لان يكون اللفظ من حيث هو لفظ موضعا للمزية والا لما انهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بان اسم المزية التي طلبوها موضع وكان يكون فيه الاسماء النحو واحكامه وذلك انهم قالوا ان الفصاحة لا تظهر في افراد الكلمات وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة فعلموا بالضم لا يصح ان يراد به النطق بالفظة بعد اللفظة من غير ان يكون بين معنييهما ما لانه لو جاز ان يكون لمجرد ضم اللفظ الى اللفظ تاثير في الفصاحة لكان ينبغي اذا افتعل ضحك خرج ان يحدث من ضم خرج الى ضحك فصاحة واذ بطل ذاك لم يبق الا ان يكون المعنى في ضم الكلمة الى الكلمة توخي معاني النحو فيما بينهما وتحصر على طريقة مخصوصة توجب ذلك ايضا وذلك انه لا يكون الطريقة اذا انت اردت مجرد اللفظ معنى وهذا سبيل كلما قالوه اذا انت تاملته رايتهم في الجميع قد عمدوا الى جعل المزية في معاني النحو واحكامه من حيث لم يشعروا بذلك

لانه امر ضروري لا يمكن الخروج منه ومما يحتدم بعتمدونه ويرجعون اليه
تواضعوا ان المعاني لا تتزايد وانما تتزايد الالفاظ وهذا الكلام اذا تأملته لم تجد له
معنى صحيح عليه عمران تجعل الالفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث في توخي معاني
النحو واحكامه فيما بين الكلم لان التزايد في الالفاظ من حيث هي الفاظ ونطق لسان
محال ثم انا نعلم ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من
غير شبهة ومحال ان يكون اللفظ صفة مستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية
اللهم الا ان يريد انك نعم وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل ومن هيهنا لم يجز اذا عد
الوجوه التي يظهر بها المزية ان يعد فيها الاعراب وذلك ان العلم بالاعراب مشترك
بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية فليس احد
بان اعراب الفاعل الرفع والمفعول به النصب والمضاف اليه الجر يعلم من غيره
ولا ذاك مما نحتاج ان فيه الى حدة ذهن وقوة خاطر انما الذي تفتقر الحاجة فيه
الى ذلك العلم مما يوجب الفاعلية للشيء اذا كان انما جاها من طريق المجاز كقوله تعالى
فما ربحت تجارتهم وكقولنا الغور دق ، سفنها خروق في المسامع ،
واشباه ذلك مما يجعل الشيء فيه فاعلا على تأويل وحد ومن طريق لطيف وليس
يكون هذا فاعلا بالاعراب ولكن بالوصف الموجب للاعراب ومن ثم لا يجوز لنا
ان نعتد في شأننا هذا بان يكون المتكلم قد استعمل العرب لان العلم بجميع ذلك
لا يجد والبتة ان يكون علما باللغة وبانفس الكلم المفردة ومما طريقه طريق الحفظ
دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه باعمال الفكر ولئن كانت العامة
واشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غرة ذلك من ضعف التمييز
احطار مثله في الفكر واجهاده في الذكر وانت ترعم انك ناظر ودلائل الاعجاز ارأيت
ان العرب تجد والى ان تختار والفتح في الميم من الشمع والهاء في الهنر على الاسكان
وان تحفظوا من تخليط العامة في مثل هو يبتوني الغار والى ان يأتوا بالغريب
الوحشي يعارضون به القرآن كيف وانت تعرف السورة من السور الطوال فلا تجد
فيها من الغريب شيئا وتأمل ما جمعه العلما في غريب القرآن فترى الغريب منه
الا في القليل انما يكون غريبا من اجل استعارة هي فيه كقوله واشتعل الرأس شيبا
الجعل ومثل خلصوا نجيا ومثل فاصدع بما تؤمر ودون ان يكون اللفظة غريبة
في نفسها انما ترى ذلك في كلمات معدودة كمثل لمجل لنا قطنا وذات الواح ودثر

وجعل ربك تحتك سريا ثم انه لو كان الذي الفاظ القرآن غريبا لكان محالا ان يدخل
ذلك في الاعجاز وان يصح التحدي به ذاك لانه لا يجلو اذا وقع التحدي به من ان
يتحدى من له علم بامثاله من الغريب او من لا علم له بذلك فلو تحدى به من علم
امثاله لم يتعذر عليه ان يعارضه بمثله الا ترى انه لا يتعذر عليك اذا انت
عرفت ما جاء من الغريب في معنى الطويل ان تعارض من يقول الثوب بان
يقول انت الثوب واذا قال الامّ ان تقول الاشق وعلى هذا السبيل ولو
تحدي به من لا علم له بامثال ما فيه من الغريب كان ذلك ممن له ان يتحدى الغرب
الى ان يتكلموا بلسان الترك هذا وكيف بان يدخل الغريب في باب الفضيلة وقد
ثبت عنهم انهم كانوا يرون الفضيلة في ترك استعماله وتجنبه افلا ترى ان قول
عمر رضي الله عنه كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام فمن يتبع
الحوشي وهو الغريب من غير شبهة الى المعاظلة التي هي التعقيد وقال الجاحظ
في كتاب البيان والتبيين ورأيت الناس يستحسنون من رسالة يحيى بن يعمر عن ايوب
ابن يزيد بن المهلب الى الحجاج انا لقينا العدو فقتلنا طائفة بعد اعقاب الاوديه واعصاء
الغيطان وشتا بعد عرة الجبل وبات العدو يحصي عدده فقال الحجاج ما نرد
باي عذر هذا الكلام لمحمل اليه فقال اني ولدت قال بالاهوازي قال فاني لكل هذه
الفصاحة قال اخذتها عن ابي قال ورأيتهم يعيدون في كتبهم ان امرأة خاصمت
زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى ان طالبك لهم من شكرها
وشكر انسانا تطلها وتصطلحا ثم قال فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدلوا
على فصاحة وبلاغة فقد باعدوه الله من صفة البلاغة واعلم انك كلما نظرت
وجدت سبب الفساد واحدا وهو ظنهم الذي طووا في اللفظ وجعلوا الاوساط
التي تجري عليه كلها اوساطا له في نفسه ومن حيث هو لفظ وتركهم ان ينظروا اين
ما كان وسفاله في نفسه وبين ما كانوا قد كسوه اياه من اجل امر عرض في معناه
ولما كان هذا دأبهم ثم راوا الناس والطبر حتى عدوهم في معنى الفصاحة لعوم
الاعراب والتحفظ من اللحن لم يبق الا ان يدعى انه يعتد به في جملة المزايا التي
بها تفاضل بين كلام وكلام في الفصاحة وذهب عنهم ان الذي هو من الفصاحة التي
يعنينا امرها في شيء وان كل ما هو فصاحة يجب لاجل شيء يدخل في النطق
ولكن من اجل لطائف نذكرك بالعزم وانا نعتبر في شأننا هذا فصيلة يجب لاجله

الكلامين على الاخر من بعد ان يكونا قد تريا من اللحن وسلما من العاطهما من
الخطاء ومن اللحب انا اذا نظرنا في الاعراب وجدنا التفاضل فيه محالا لانه
لا يسوغ ان يكون للرفع والنصب في كلام مزية عليهما في كلام اخر وانما
الذي يجوز ان يكون ههنا كلامان قد وقع في اعرابهما خلل فكان احدهما اكثر
سواما من الاخر وكلاهما ان قد استمر احدهما على الصواب ولم يستمر الاخر ولذلك
هذا تفاضلا في الاعراب ولكن تركا له في شيء واستعمالا له في اخر فاعرف ذلك ع
وجملة الامر انك لا تزي ظنا هو انا في نصاحبه عن ان يصح له كلام او يستمر
له نظام او يثبت له قدم او ينطق له لسان المحال من ظنهم هذا الذي جاء بهم حول
اللفظ وجعلهم لا يعدونه ولا يرون المزية كلا ما تعدوه واعلم انه يجري في اسنا
مساعي هو بعينه الشبهة خدعة عليهم وهواه يقع في كلامنا ان الفصاحة يكون
في المعنى دون اللفظ فاذا سمعوا ذلك قالوا كيف يكون هذا ونحن نراها لا تستعمل
صفة الا للفظ ونراها لا تدخل في صفة للمعنى البتة لا تزي الناس قاطبة يقولون
هذا لفظ فصيح وهذه الفاظ فصيحة ولا تزي عالما يقول هذا معنى فصيح وهذه
معان فصاح ولو كانت الفصاحة يكون في المعنى لكان ينبغي ان يقال ذلك كما انه
لما كان الحسن يكون فيه قيل هذا معنى حسن وهذه معان حسنة وهذا شيء
يأخذ من العرض اخذا والجواب عنه ان يقال ان عرضنا من قولنا ان الفصاحة
تكون في المعنى ان المزية التي من اجلها يستحق اللفظ الوصف بانه فصيح هي تكون
في المعنى دون اللفظ لانه لو كانت المزية التي من اجلها يستحق اللفظ الوصف بانه
فصيح تكون فيه دون معناه لكان ينبغي اذا قلنا في اللفظة انها فصيحة ان يكون
ذلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم ان الامر بخلاف ذلك فانا نرى اللفظة
تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما يحصى من المواضع ولبس
من الفصاحة قليل ولا كثير وانما كان كذلك لان المزية التي من اجلها يصف اللفظ
في بناننا هذا بانه فصيح مزية تحدث من بعد ان لا تكون وتظهر في الكلم من
بعد ان يدخلها النظم وتجيء طلبته فيها وقد جيء بها افرادا لم ترم فيها نظما
ولم تحدث لها تاليفا طلبت محالا واذا كان ذلك كذلك وجب ان نعلم قطعا
وضرورة ان تلك المزية في المعنى دون اللفظ وعبارة اخرى في هذا الجنس وهي
ان يقال قد علمنا على الابعد من معه شبهة ان الفصاحة فيما نحن فيه عبارة

عن مزية يجيء المتكلم دون واضع اللغة واذا كان كذلك وجب علينا ان ننظر
الى المتكلم هل يستطيع ان يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس بقوله في اللغة
حتى يجعل ذلك من سمعه مزية يعبر عنها بالفصاحة واذا نظرنا وجدناه لا
يستطيع ان يضع باللفظ شيئا اصلا ولا ان يحدث فيه وصفا كيف وهو ان
فعل افسد على نفسه وابطل ان يكون متكلما لانه لا يكون متكلما حتى يستعمل
اوضاع اللغة على ما وضعت عليه واذا ثبت من حاله انه لا يستطيع ان يضع
باللفظ شيئا ليس هو لها في اللغة وكنا قد اجمعنا على ان الفصاحة فيما نحن
فيه عبارة عن مزية يجيء بها المتكلم البتة وجب ان يعلم قطعا وضرورة انهم وان
كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ فانهم لم يجعلوها
وصفا له في نفسه ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان ولكنهم جعلوها
عبارة عن مزية افادها في المعنى وحملة الامر انا لم نوجب الفصاحة اللفظة
مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها وموصولة بها مرتبطا
ومعللا عنها بمعنى بالبرها فاذا قلنا في افظة انها اشعل من قوله تعالى اشتعل
الراس شيبا انها في اعلى رتبة الفصاحة لم نوجب بذلك الفصاحة لها وحدها
ولكن موصولة بها الراس مع رفاقها الالف واللام ومقرونا اليها الشيب منصوبا
معمولا بها هذا وانما يقع ذلك في الوهم لمن لم يرع له اعني ان توجب الفصاحة
للفظة وحدها فيما كان استعارة فاما ما لا يكون الا استعارة من الكلام الفصيح
البليغ فلا يعرض توهم ذلك فيه لعاقل اصلا الا ترى انه لا يقع في نفس من يعقل
اذ كيف اذا هو تظر الى قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
وال الامر الناس شان هذه الاية في الفصاحة ان يضع يده على الكلمة كلمة منها ويقول
انها فصيحة كيف وسبب الفصاحة فيها امور لا يشك في اضافة معنوية اولها ان
كانت على فيها استعارة لمحذوف هو في موضع المفعول الثاني والثالث ان كانت
الجملة التي هي هم العدو بعدها عارية من حرف عطف والدالة الغيرت
في العدو وان لم تعلم عدو ولو انك علمت على ظاهر وادخلت على الجملة
التي هي هم العدو حرف عطف واسقطت الالف واللام من العدو وصلت يحسبون
كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو ولرايت الفصاحة ذاهبة عنها بسرها ولو انك
انظرت ما لك ان يكون عليهم متعلقا بنفس الصيحة ويكون حالة معها كما اذا

ملت نحسنا عليه لاخرجته عن ان يكون كلاما فضلا عن ان يكون صحيحا وهذا
هو الفصل لمن تعقل وسر التحب في هذا ما روي عن امير المومنين علي رضي
الله عنه انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا سمعتها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربي
مسلم لا يشربه في ان وصف اللفظ بالعربي في مثل هذا يكون في معنى الوصف
بانه فصيح واذا كان الامر كذلك فانظر هل يقع في وهم منهوم ان يكون رضي
الله عنه قد جعلها عربية من اجل الفاظها واذا انظرت لم تشك في ذلك واعلم
انك تجد هولا الذين يتكلمون فيما قلناه يجرون على السنتهم الفاظ وعبارات
لا يصح لها معنى سوى بعض معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم تراهم لا يعلمون ذلك
فمن ذلك ما يقوله الناس فاطبة من ان العامل يرتب في نفسه ما يريد ان يتكلم
به واذا رجعنا الى انفسنا لم نجد لذلك معنى سوى انه يقصد الى قولك ضرب
فيجعله خبرا عن زيد ويجعل الضرب الذي اخبر بوقوعه منه واقعا على عمرو
ويجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه ويجعل التاديب عرضه الذي فعل الضرب
من اجله ومقولك ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تاديبا له وهذا كما ترى هو
بعض معاني اللفظ فيما بين معاني هذه الكلم ولو انك فرضت ان لا يتاتى في ضرب
ان يجعله خبرا عن زيد وفي عمرو ان يجعله مفعولا به الضرب وفي يوم الجمعة
ان يجعله زمانا لهذا الضرب وفي التاديب ان يجعله غرض زيد من فعل الضرب
ما تصور في عقل ولا وقع في وهم ان يكون مرتبا هذه الكلم واذ قد عرفت ذلك
فهو العبرة في الكلام كله فمن ظن ظنا يودي الى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول
ومن ذلك اشباههم التعلق والاتصال فيما بين الكلم وصواحبها تارة وتغايرهم انها
اخرى ومعلوم علم الضرورة ان لن يتصور ان يكون للفظة تعلق بلفظة اخرى
من غير ان يحدث حال معنى هذه مع معنى تلك وبراعي هناك امر يصل احدهما
بالاخرى كمراعاة كون شك جوابا للامر في قولك فعاتبك وكيف بالشك في ذلك
ولو كانت الالفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي الفاظ ومع اطراح النظر
في معانيها لادى ذلك الى ان يكون الناس حين حكوا اصواتا يسمعونها المحكان من وراء
انصاف الكتب حكوا عن جهالة وان يكون ابو تمام وقد اخطا حين قال

« عدا لاشبهها بالجون كانما »، فزات به الورهاء ظرف كتاب »

لانهم لم يضحكوا الا من عدم التعلق ولم يجعله ابو تمام جنونا الا لذلك فانظر الى ما يدور
هولا القوم من ظرايف الامور [illegible] وهذا فرع من الاسند لال على بطلان
ان تكون الفصاحة صفة اللفظ من حيث مواقع لا تخلو الفصاحة من ان تكون
صفة محسوسة تدرك بالسمع او تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب فمحال ان
تكون صفة محسوسة لانها لو كانت كذلك لكان ينبغي ان يستوي السامعون اللفظ
الفصيح في العلم بكونه فصيحا واذا بطل ان يكون محسوسة وجب الحكم بانه صفة
معقولة فاما لا تعلم اللفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس الا
دلالته على معنى واذا كان كذلك لزم من علم بان وصفت اللفظ بالفصاحة وصف
له من جهة معناه لامن جهة نفسه وهذا ما لا يبقى معه لعاقل شك والله الموفق
للصواب وبيان اخر وهو ان العاقل اذا قرا قوله تعالى واشتعل الراس شيبا ولم
يجد الفصاحة التي يجدها الا بعد ان ينتهي الكلام الى اخره فلو كانت الفصاحة صفة
للفظ اشتعل لكان ينبغي ان يحسها فيه في حال نطقه به محال ان يكون التي صفة لم
يصح العلم بتلك الصفة الا من بعد عدمه ومن قال ان صفة يعرى موصوفها
عنها في حال وجوده حتى اذا عدم صارت موجودة فيه وهل يسمع السامعون
في قديم الدهر وحديثه بصفة شرطها حصولها لموصوفها ان يعدم الموصوف
فان قالوا ان الفصاحة التي ادعيناها للفظ اشتعل يكون في حال نطقنا به الا ترا
نعلم في تلك الحال اضافته فاذا لبثنا اخر الكلام علمنا حينئذ انها كانت فيه قيل
هذا اقرا من العجب وهو ان يكون هربنا صفة موجودة في شيء لم لا يكون في الامكان
ولا سبيل في المحال ان نعلم وجود تلك الصفة في ذلك الشيء الا من بعد ان يعدم ويكون
العلم بها وبكونها فيه محالا حتى يعدم فاذا عدم علمنا حينئذ انها كانت فيه حين
كان ثم انه لا شبهة في ان هذه الفصاحة التي تدعونها اللفظ هي مدعاة لمجموع الكلمة
دون احاد حروفها اذ ليس يذهب بهم فصاحة المراي الى ان يدعوا الكل واحد من
حروف اشتعل فصاحة فيجعلوا الشين على حدته فصيحا وكذلك التا والعين فلم
واذا كانت الفصاحة مدعاة لمجموع الكلمة لم يتصور حصولها لها الا من بعد ان
تعدم كلها ويقضي امر النطق بها ذاك لانه لا يتصور ان يدخل الحروف مجتمعة
في النطق دفعة واحدة حتى تجعل الفصاحة موجودة فيها في حال وجودها وما
بعد هذا الان نسال الله العصمة والتوفيق فقد بلغ الامر في الشناعة الى

حداد اشبه العامل الف راسه حيا من الغفل حين راه قد قال فولا هذا مودا
وسلك مسلكا الى هذا مقتضاه وما مثل من يزعم ان الفصاحة صفة اللفظ من
حيث هو لفظ ونطق لسان ثم يزعم انه يدعيها بجموع حروفه دون احادها الا
مثل من يزعم ان هيهنا عزلا اذا فتح منه مؤب كان احمر واذا فوق ونظر الية خطا
خطا لم يكن منه حمرة اصلا ومن طرق امرهم انك ترى كافتهم لا يكرون ان اللفظ
المستعار اذا كان مستحسنا كانت فصاحته تلك من اجل استعارته ومن اجل لطف
وعراية كانا منها وتراهم مع ذلك لا يشكون في ان الاستعارة لا تحدث في حروف
اللفظ صفة ولا تغير احراسها عما يكون عليه اذا لم يكن مستعارا وكان متروكا
على حمته وان الشان في ان الاستعارة انما يكون في المعنى كيف وهم يعتقدون
ان اللفظ اذا استعير لشي نقل عن معناه الذي وضع له الى ما استعير له واذا كان الامر
كذلك فلولا ابهامهم انفسهم وتركهم النظر لقد كان يكون في هذا ما يوقظهم من غفلتهم
ويكشف الغطا عن اعينهم ومما ينبغي ان نجعله الانسان نصب
منه على ذكر انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افرادا ومجردة من المعاني
والاغراض في نفسها ولا يصح في عقل ان يتفكر متفكر في معنى فعل من غير ان يريد اعماله
في اسم ولا ان يتفكر في معنى اسم من غير ان يريد اعمال فعل وجعله فاعلا له او مفعولا
او يريد فيه جملا سوى ذلك من الاحكام مثل ان يريد جعله مبتدا وخبرا او صفة
او حالا او ما شاكل ذلك وان اردت ان ترى ذلك عيانا فاعمد الى اي كلام شئت
وازل اخراه عن مواضعها ومنعه ومنعا يمنع بعده دخول شي من معاني النحو فيها
فصل في فضائك من ذكري حبيب ومنزل من نبك فعاقبيب ذكري منزل
ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها واعلم اني لست اقول ان الفكر لا يتعلق
بمعاني الكلم المفردة اصلا ولكني اقول انه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو ومنطوية
بها على وجه لا يتاتى معه تعدد بر معاني النحو وتوخيرها فيها كالذي ارسك والا فانك
اذا فكرت في الفعلين او الاسمين يريد ان تخبر باحدهما عن الشي وايهما اولى ان تخبر
به عنه واشبه بغرضك مثل ان تنظر ايهما امدح او اذم او فكرت في الشيين يريد
ان تسبه الشي باحدهما ايهما اشبه به كنت قد فكرت في معاني النحو الا ان فكرك
ذلك لم يكن الا من بعد ان توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو ان اردت جعل
الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شي اردت فيه مدحا او ذما او نسبها او غير ذلك

من الاغراض ولم تجعل الى فعل او اسم فكرت فيه فردا ومن غير ان كان ذلك قصدك
ان تجعله خبرا او غير خبر فاعرف ذلك وان اردت مثالا فاحدث بيت بشار

كان مثار النقع فوق رؤسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وانظر هل يتصور ان يكون بشار قد اخطر معاني هذه الكلم اياه افرادا عارية
من معاني النحو التي تراها فيها وان يكون قد وقع كان في نفسه من غير ان يكون يريد
ايقاع التشبيه منه على شي وان يكون فكر في مثار النقع من غير ان يكون اراد ان
الاول الى الثاني وفكر في فوق رؤسنا من غير ان يكون اراد ان يضيف فوق الى
رؤسنا وفي الاسياف من دون ان يكون اراد عطفها بالواو على مثار وفي الواو
من دون ان يكون اراد العطف بها وان يكون كذلك وفكر في الليل من دون ان
يكون اراد جعله خبرا لكان وفي تهاوي كواكبه من دون ان يكون اراد ان يجعل
تهاوي فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة لليل ايهم الذي اراد من التشبيه ام لم
تخطر هذه الاشياء بباله لا الامر اذا يهما هذه الاحكام والمعاني التي تراها فيها واستحال
كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من دون ان تريد تعليقها بمعنى كلمة
اخرى ومعنى القصد الى معاني الكلم ان يعلم السامع لها سببا لان يعلمه ومعلوم انك
انما المتكلم لست تقصد ان تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه فقد علم ان قولك
خرج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا تعرف
هو معانيها كما لا تعرف ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون اسم ولا اسم وحده من دون
اسم اخر فعل كلاما وكنت لو قلت خرج ولم تات باسم ولا ذكرت فيه ضميرا او قلت
ولم زيد لم يات بفعل ولا اسم اخر وهم تضمره في نفسك كان ذلك وصوتا تضوته سوا
فاعرفه واعلم ان مثل واضع الكلام مثل من ياخذ قطعا من الذهب او الفضة
فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك انك اذا علمت ضرب زيد
عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تاديبا له فان السامع يحصل من مجموع هذه الكلم كلها
على منهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما تتوهمه الناس وذلك انك لم تات بهذه
الكلم لتفيده انفس معانيها وانما جيت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل
الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والاحكام التي هي حصول التعلق واذا كان الامر
كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المتعولية من عمرو وكون يوم الجمعة زمانا للضرب وكون
الضرب ضربا شديدا وكون التاديب علة للضرب ايتصور فيها ان تجرد عن المعنى

الاول الذي هو اصل الفايدة وهو اسناده ضرب الى زيد واثبات الضرب به اما حتى
تعمل كون عمرو مضروبا به ويوم الجمعة مضروبا فيه وضربا اسند بدا اصدرا وكون
التاديب مفعولا له من عبراد يخطر بالك كون زيد فاعلا للضرب واذا نظرت واحد
ذلك لا يتصور لان عمرا مفعول لضرب وقع من زيد عليه ويوم الجمعة زمان
لضرب وقع من زيد وضربا اسند بدا بيان لذلك الضرب كيف هو وما سفته وانت
عرفت له وبيان امكان الغرض منه واذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت ان المفهوم
من مجموع الكلم معنى واحد واذ قد عرفت هذا فهو الصرح اجد اصبت بشارا ذا
باسلته وجدته كالحلقه المفرغه التي لا يتفصل التشبيم ورايته قد صنع في الكلم التي
فيه ما يصنعه الصايغ حين ياخذ كسوا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب
ويخرجها لك سوارا وخلخالا وان انت حاولت قطع بعض الفاظ البيت عن بعض
كنت كمن يكسر الحلقه ويحطم السوار وذلك انه لم يرد ان يشبه النغم والاشياء
تحول فيه بالليل في حال ما تذكر الكواكب وتهاوي فيه فالمفهوم من الجميع معنى
واحد والبيت من اوله الى اخره كلام واحد فانظر الان ما تقول في الحاد هذه الكلم
التي هي اجزا البيت اتقول ان الفاظها اتحدت وصارت لفظه واحدة فان كنت
تشكك ان الاتحاد الذي تراه هو في المعاني اذا كان من فساد العقل ومن الذهاب
في الخيال ان يتوهم ستوهم ان الالفاظ يندمج بعضها في بعض حتى تصير لفظه واحدة
فقد اراك ذلك ان لم اكن برعمك ان النظر يكون في معاني الكلم دون الفاظها وان
نظرها هو نحو معاني النحو فيها وذلك انه اذا ثبت الاتحاد وثبت انه في المعاني فينبغي
ان ننظر الى الذي به اتحدت المعاني في بيت بشار واذ انظرنا لم نجدها اتحدت
الا بان جعل بشار النغم اسم كان وجعل الظرف الذي هو فوق رويسا معمولا لمشار
ومعلقا به واشرك الاسياف في كان بعطفه لها على مشار بم بان قال ليل تهاوى
كواكبه لم صفه بم جعل مجموع ليل تهاوى كواكبه خبرا لكان فانظر هل ترى شيئا
كان الاتحاد فيه غير ما عددناه وهل تعرف له موجبا سواه فلولا الاخلاد الى
الهوينا وترك النظر وعطا التي على عيون اقوام لكان ينبغي ان يكون في هذا وجوه
الكفاية وفوق الكفاية وسال الله التوفيق واعلم ان الذي هو اداه هؤلاء الذين
تحيروا الا باطيل في امر اللفظ انهم قصروا قد اسلموا انفسهم الى التخيل والعوا معتقدهم
الى الاوهام حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل ودخلت بهم من فحش الغلط

في كل مدخل وتعسفت بهم في كل مجهل وحملتهم ان يكونوا في نصرة رايهم الفاسد القول
بكل محال وسخيفون في كل جهالة حتى انك ان قلت لهم انا لا ياتي في الفاظ نظمه الا بفكر
والروية فاذا احتدم النظر في الالفاظ لزمكم من ذلك ان تجعلوا فكر الانسان اذا
هو فكر في نظم الكلام فكرا في الالفاظ التي تريد ان ينطق بها دون المعاني لم يسالوا ان
يتركبوا ذلك وان يتعلقوا انه ممالي العاده ويحرك الحيله من الانسان تخيل اليه
اذا هو فكر انه كانه ينطق في نفسه بالالفاظ التي يفكر في معانيها حتى جرى انه
يسمعها سماعه لها حين يخرجها من فيه وحين يجري به اللسان وهذا جاهل لان
سبيل ذلك سبيل ان الانسان تخيل في الشي وانما تذكره وشاهده انه كانه يراه
وينظر اليه وان مساله نصب عينيه فكما لا يوجب هذا ان يكون رايا للعين
الشي موجود اني نفسه كذلك لا يكون تخيل كانه ينطق بالالفاظ موجبا ان يكون
ناطقا بها وان تكون موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا الى جعل الفكر فيها ثم انا
نعمل مجالا انه ينطق بالالفاظ في نفسه وانه يجده فيها على الحقيقه فمن اين اساله
اذا فكر كان الفكر منه فيها ام ماذا بدوم ليت شعري تذكك الفكر ومعلوم ان الفكر
من الانسان يكون في ان يخبر عن شي بشي او يصف شيا بشي او يضيف شيا الى شي
او يشرك شيا في حكم شي او يخرج شيا من حكم قد سرى منه لشي او يجعل وجود شي
شرطا في وجود شي وعلى هذا السبيل وهذا كله فكر في امور معقوله زايده على
اللفظ واذا كان هذا الذي لا محيل هذا الذي يجعل في الالفاظ فكرا من احد امرين
اما ان يخرج هذه المعاني من ان يكون لواضع الكلام فكر فيها وبجعل الفكر كله في الالفاظ
واما ان يجعل له فكرا في اللفظ مجردا عن الفكر في هذه المعاني فان ذهبت الى الاول
لم تكلم وان ذهبت الى الثاني لزمه ان يجوز وقوع ذكره من الاعجمي الذي لا يعرف معاني
الالفاظ العربيه اصلا في الالفاظ وذلك ما لا يخفى بكان الشنعة والفضيحة فيه
وشبيه هذا الغلط فيهم انك قد ترى احدهم يعتبر حال السامع فاذا راى الفاعل
لا يترتب في نفسه الا يترتب الالفاظ في سمعه ظن عند ذلك ان المعاني تبع الالفاظ
وان الترتب فيها مكتسب من الالفاظ ومن ترتيبها في نطق المتكلم وهذا اتلف فاسد
من نظنه فان الاعتبار ينبغي ان يكون بحال الواضع الكلام والموالف له والواجب
ان ننظر الى حال المعاني معه لا مع السامع واذا نظرنا علما من وقع انه محال ان يكون
الترتيب فيها تبعا لترتيب الالفاظ ومكتسبا عنه لان ذلك يقتضي ان تكون الالفاظ

سابقة المعاني وان تقع في نفس الانسان اولا ثم تقع المعاني من بعدها وتالية لها المعنى
مما يعلمه كل عاقل اذا اصول توجد في نفسه ولم تضرب بحجاب بينه وبين عقله وليست به
حاجة الالفاظ الا من اجل المعاني وهي التي الخدم لها ومصرفة على حكمها والبست
على سمات لها وادضاعا قد وضعت لتدل عليها فكيف يتصور ان تسبق المعاني واضع
هذه سبيلها في تصور النفس ان يجاز ذلك جاز ان يكون اسامي التي قد وضعت قبل ان تعرف
الاشياء وقبل ان كانت وما ادري ما القول في شيء حملك الله اشد حين اليه الى اشياء من هذه
المحال وردي له قول وهذا سؤال لم من جنس اخر في النظم قالوا لو كان النظم يكون
في معاني النحو لكان ابدوي الذي لم يسمع بالنحو قط ولم يعرف المبتدا والخبر وسائر
ما يذكر ونه لا يتاتى له نظم كلام والتزام ما في كل نوعه بنظم لخصوصه المتقدم في علم النحو
قيل له هذه شبهة من جنس شبهة الذين عابوا المتكلمين فقالوا انا نعلم ان الصحابة
رضي الله عنهم والعلماء في الصدر الاول لم يكونوا يعرفون الجوهر والعرض وسموه
النفس وسموه المعنى وسائر العبارات التي وسعتموها فان كان لا تتم الدلالة على حدوث
العالم والعلم بوحدانية الله تعالى الا بمعرفة هذه الاشياء التي ابتدعتموها فينبغي لكم
ان تدعوا انكم قد علمتم في ذلك ما لم تعلموه وان منزلتكم في العلم اعلى من منازلهم وجوابنا
هو جواب المتكلمين وهو ان الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات
فاذا عرف البدوي الفرق بين ان يقول حاني زيد راكبا وبين قوله حاني زيد راكب
لم يضره ان لا يعرف انه اذا قال رايتها كان عبارة النحويين فيه ان يقولوا في راكب انه
حال واذا قال الراكب انه صفة جارية على زيد واذا اعرف في قوله زيد منطلق ان
زيدا مخبر عنه ومنطلق خبر ولم يضره ان لا يعلم انا نسمي زيدا مبتدا واذا اعرف في قولنا
ضرب بنه تاديبا الله ان المعنى في التاديب انه عرضه من الضرب وانه ضربه ليتاديب لم يضره
ان لا يعلم انا نسمي التاديب مفعولا له ولو كان عدم هذه العلم بهذه العبارات بمنعه العلم
بما وضعناها له وارتضاناه لها لكان ينبغي ان لا تكون لنا سبيل الى بيان اعراضه وانه
يفصل فيما يتكلم به بين نفي واثبات وبين ما اذا كان استفهاما وبينه اذا كان بمعنى
الذي واذا كان بمعنى الجزاء لانه لم يسمع عبارتنا في الفرق بين هذه المعاني التي لا تقرا
حين سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فانكر وقال ما اذا سمع
الكفر عن غير علم ان النصب يحوجه عن ان يكون خبرا ويجعله حالا والاول في حكم اسم واحد
واذا اشار والاول في حكم اسم واحد احتيج الى اسم اخر او فعل حتى يكون كلاما

وحتى يكون قد ذكر ما له فائدة ان كان لم يعلم ذلك فما اذا قال سمع ما اذا قطلب منا
جعله خبرا ويكفيك انه يلزم على ما قالوه ان يكون امري القيس حين قال

فقاسك من ذكرى حبيب ومنزل ، قاله وهو لا يعلم ما نعنيه نحن قلنا ان قما
امر ونهي جواب الامر وذكرى مضاف الى حبيب ومنزل معطوف على الحبيب
وان يكون هذه الالفاظ قد ترتبت له من غير قصد منه الى هذه المعاني وقد ذكر توجب
ان يكون قد قال نهيك بالخمر من غير ان عرف معنى توجب الخمر وانى به موجزا عن
قفا من غير ان عرف لنا خبرا موجبا سوا طلب الوزن ومن اقضت به الحال
الى امثال هذه الشناعات نهم لم يدع ولم يتبين انه على خطا فليس الا تركه والاعراض
عنه ولولا انا نحب ان لا يبقى احد في معنى السوال والاعتراض عرف الارتياح
الذي استهواه لكان ترك التشاغل باير اد هذا وشبهه اولى ذلك لانا قد علمنا علم
ضرورة انا لو بقينا الدهر الطويل نصعد ونصوب ونحث ونغرب ينبغي كلمة
قد اتصلت بصاحبتها ولفظة قد انتظمت مع اخرتها من غير ان توخى فيها حديث
معنى من معاني النحو ظلمنا ممتنعا وتبينا مطلبا الفكر ظلما فان كان هم بنا شك
شك في ذلك وزعم انه قد علم لاتصال الكلم بعضها ببعض وانضمام الالفاظ بعضها
مع بعض معاني غير معاني النحو فانا نقول له هات وبين لنا ذلك المعاني وايانا كانها
واهد نا لها فعلك قد اوتيت علما وقد حجب عنا وفتح لك باب قد اغلق دونا
وذاك له اذا العنقا صارت مرئيه وشب لبن الحمى [illegible] قد
اردت ان اعيد القول في شيء هو اصل الفساد ومعظم الافة والذي صار حجازا
بين القوم وبين التامل واخذ بهم عن طريق النظر وحال بينهم وبين ان تشعوا الى
ما يعالج لهم وان يفحصوا الذي بين اعينهم وذلك فوظهم ان العلم قد انما هو ما على
انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين لم يكون احدهما فصيحا والاخر غير فصيح
وذلك قالوا يقتضي ان يكون للفظ نصيب في المزية لانها لو كانت مقصورة على
المعنى لكان محالا ان يجعل لاحد اللفظين فضل على الاخر مع ان المعبر عنه واحد
وهذا شيء تراهم مجمعون به ويكررون ترداده ثم انهم يوكدونه فيقولون لو ان
الامر كذلك لكان ينبغي ان لا يكون البيت من الشعر فضل على تفسير المعنى له
اذا كان اللفظ انما يشرف من اجل معناه فان لفظ المفسر باق على المعنى وهو قيه
لا محالة اذ لو كان لا بد به لكان لا يكون تفسيرا له ثم يقولون فاذا لزم ذلك في تفسير

البيت من الشعر لم يرسله في الآية من القرآن وهم اذا اراد ان يأتي في المحاج الى هذا الموضع او ابهم وما اظنه الا يجوز ان يسمع عليه كلام وانه نقض ليس بعده امر امرد ورما اخر حضر الاعجاب به الى الضحك والتعجب ممن يرى ان الكلام عليه سبيلا وانه يستطيع ان يعلم على بطلان ما قالوه دليلا والجواب وبالله التوفيق ان يقال للخصم بذلك فولك انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين يحتمل ان يكون احدهما ان يريد اللفظين كليهما معا واحدا في اللغة مثل الليث والاسد ومثل محط وبعد واشباه ذلك مما وضع اللفظان فيه لمعنى والثاني ان تريد كلاهما فان اردت الاول خرجت من المسألة لان كلامنا نحن في فصاحة تحدث من بعد التأليف دون الفصاحة التي يوصف بها اللفظة مفردة من غير ان يعتبر جالها مع غيرها وان اردت الثاني فلا بد لك من ان تريد فان هربنا اصلا من عروه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو ان يعلم ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والسف والسوار وكما ان من شأن هذه الاشكال ان يكون الواحد منها عملا ساذجا خاليا يعمل صانعه فيه شأ كذلك من ان ما يقع عليه اسم الخاتم ان كان خاتما والسيف ان كان سيفا وان يكون مصنوعا بديعا فاعرف صانعه فيه كذلك سبيل المعاني ان تزي الواحد منها عملا ساذجا خاليا موجودا في كلام الناس كلهم ثم تراه بنفسه وقد عمد اليه البصير بشأن البلاغة واحدث الصوت في الخاتم فصنع فيه ما يصنع الصناع حتى يغوص في الصنعة ويدق في العمل ويبدع في الصناعة وستواهد ذلك حاضرة لك كيف سيت واسلته نصب عينيك من اين نظرت سطرا الى قول الناس الطمع لا ينعدم وليست تستطيع ان تخرج الانسان عما جبل عليه فترى معنى عقلا ساذجا يراد من القلب نسيانكم وما في الطباع على الناقل

فتجده قد خرج في احسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وساجة حتى بعد ان لم يكن شيأ واذ قد عرفت ذلك فان العقلاء الى هذا قصدوا حين قالوا انه يصح ان يعبر عن المعنى الواحد بلفظين ثم يكون احدهما صحيحا والآخر غير صحيح كما نهم قالوا انه يصح ان يكون هربنا عبارتان اصل المعنى فيهما واحد ثم يكون لاحدهما في تحسين ذلك المعنى وتزيينه واحداث خصوصية فيها ما ليس للآخر فاعرفه واعلم ان المخالف لا يخلو من ان يكابر ان يكون للمعنى في احدى العبارتين

حسن ومزية لا يكونان له في الآخرى وان تحدث فيه على الجملة صورة لم تكن وتعرف ذلك فان انكر لم يكلم لانه يؤدي الى ان لا يحصل المعنى في قوله وما في الطباع على الناقل مزية على الذي يعقل من ظواهر الطبع لا يتغير ولا يستطيع ان يخرج الانسان عما جبل عليه وان لا يرى لقوله اي تواس وليس به مستنكر ان يخرج العالم في واحد مزية على ان يقال غير بديع في قدرة الله تعالى ان يحدث في جسم فصائل الخلق كلهم في رجل واحد ومن اداه قول بقوله الى مثل هذا كان الكلام معه محالا ولكنك اذا كلفته ان يعرف لمن يكلف ان يميز بحور الشعر بعضها عن بعض فيعرف المديد من الطويل والبسيط من السريع من ليس اه ذوق يعرفه الشعر من اصله وان اعترف بان ذلك يكون قلنا له اخبرنا عنك اتقول في قوله وما في الطباع على الناقل انه غاية في الفصاحة فاذا قال نعم قيل له افكان كذلك عندك من اجل حروفه ام مزية حصلا في المعنى فان قال من اجل حروفه دخل في الهذيان وان قال من اجل حسن ومزية حصلا في المعنى قيل له فذاك ما اردنا ك عليه حين قلنا ان اللفظ يكون فصيحا من اجل مزية وقع في معناه لا من اجل جرسه وصداه واعلم انه ليس ابين واوضح واحرى ان يكشف الشبهة عن مسألة في صحة ما قلناه من الشبهة فانك تقول زيد كالاسد او مثل الاسد او شبيه بالاسد فتجد ذلك كله شبيها عقلا ساذجا ثم تقول كان زيدا الاسد فيكون تشبيها ايضا الا انك ترى بينه وبين الاول بونا بعيدا لانك ترى له صورة خاصة وتجدك قد فهمت المعنى وزدت فيه بان اودعته انه من الشجاعة وشدة البطش وان قلبه قلب لا تجاسره الذعر ولا يبلغ حمله الروع بحيث يتوهم انه الاسد بعينه ثم تقول اين العنبه لبلعنبك منه الاسد فتجده قد افاد هذه المبالغة ولكن في صورة احسن وصنعة اخص وذلك انك تجعله في كان يتوهم انه الاسد وتجعله ههنا نزي منه الاسد على القطع فتخرج الامر على حد التوهم الى حد التحقق ثم ان نظرت الى قوله ان ارعشت كفا انك اصبحن بدا ك بدي ليث فانك غالبه وجدته قد بدا لك في صورة ابين واحسن ثم ان نظرت الى قول ارطاة بن سهية م

ان الفتى لا نزي عبري بناطره ... بعض السلاح ويعرف جبنه الناظر

وجدته قد فصل الجميع ورايته قد اخرجه في صورة عرفك الصور كلها واعلم

ان الباطل والمحال ما يعلم الانسان بطلانه واستحالته بالرجوع الى النفس اي بان
ثم انه اذا اراد بيان ما يجده في نفسه والدلالة عليه راى المسلك الذي
وهذه التسمية اعني قوله انه لو كان مجوزا ان يكون الامر على خلاف ما
من ان الفصاحة وصف اللفظ من حيث هو لفظ لكان ينبغي ان لا يكون
من الشعر فصل على تفسير المفسر له الى اخره من ذاك وقد علمت اذ ذاك
وثبت بها حتى كانك لا تلقى الى احد من المتعلمين بامر اللفظ كلمة مما نحن فيه
اذ كان هذا اول كلامه والاعجب قال ان التفسير بيان المفسر والمجوز
يعني من معنى المفسر بل لانه يؤديه التفسير ولا ياتي عليه لان في تجويز ذلك
بالمحال وهو ان لا يحال يبقى من معنى المفسر بل لا يكون الى العلم به سبيل ولا
الامر اذ ذاك ثبت ان الصحيح ما قلناه من انه لا يجوز اللفظ المفسر يصل من
المعقول بين الان يكون من حيث اللفظ نفسه فهذا جملة ما يمكنهم ان يقولوا
في نصرة هذه الشبهة وقد استقصيته لك وقد قدمت عرفك فاسمع الجواب
والى الله تعالى الرغبة في التوفيق للصواب اعلم ان قولهم ان التفسير يجب
ان يكون كالمفسر دعوى لا صحة لها لان يقال لهم الا تعدون ان من
شان المعاني ان تختلف به الصور وتبدو تارة اصلا وحتى يقال لهم ان
الكناية والتصريح وان حال المعنى مع الاستعارة كحاله مع ترك الاستعارة
وحتى يطلوا ما انطبق عليه العلم من ان المجاز يكون ابدا ابلغ من الحقيقة وتقول
ان قولنا طويل النجاد وطويل القامة واحد وان حال المعنى في قولنا هو طويل
ولا اتباع له مزيته الاجل كحاله في قولك انا مصيبان ولك اذا قلت رايت
اسدا لم تكن لامرأتي من ان تقول رايت رجلا هو من الشجاعة بحيث لا يعجز
عن الاسد ولم تكن قد زدت في المعنى بان ادعيت له انه اسد بالحقيقة ولا بالغت
فيه وحتى يزعموا انه لا فضل ولا مزية لقولهم اقمت حمله على عارية على قولك
في مسئلة خليته وما يريد وتركه يفعل ما يشاء وحتى يحملوا المعنى في قوله
تعالى واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها على ان يعلم انه اريد بها
على قلوبهم وان يكون موضع المعنى في قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا
في قوله من بقولك وشاب راسي كله وحتى لا يفرقوا بين قوله تعالى فما ربحت
تجارتهم وبين قولهم ربحوا في تجارتهم وحتى يزعموا جميع ما ذكرناه الشاهد فيه من

لا يكون ترى بين قولنا المعنى وبين اتباع على الباطل وبين قولهم اذا لا تعدو
ان تعرف اتباع الانسان وتعلم احال المعنى في قولنا ان زيدا ينطلق ان يعلم
العالم في واحد كحاله في قولنا ليس يبدع في ادعاء الله تعالى ان يجمع قتال الدنيا كلهم في
واحد وتكون ذلك في الكلام كله حتى يزعموا انا اذا قلنا في قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة ان المعنى فيها لما كان الانسان انما يقتل اخر لئلا يقتل هو فاطمه منه ذكر انه اذا قتل
قتل ارتدع صار الردع وزجر نفسه كانه وجد استقصار حياة فيما سبيل القصاص كما وجدنا
المعنى في مصراعا هذا على صورته التي هو عليها في الآية حتى لا تعرف قبلا وحتى يكون
حال الآية والتفسير حال القطن احمر بعضه عربيه والاخرى مسنونة به سورة العربية
المشهورة مثل ان تقول في الشرح انه الطويل وفي اللغة انه الكتاب وفي الدهر
انه المسامير ومن سار الامر الى هذا كان الكلام معه محالا واعلم انه ليس اعجب
اعجب من حال من يرى كلاما بين اجزاء البيت بعضها يعاون بعضا فيه لاجزاء الاخرى ترى له
موضع في العقل ان يكون معنى احد الكلامين مثل معنى الاخر سواء حتى يعد ويقول
انه لو كان يكون الكلام فصيحا من اجل ربح يكون في معناه لكان ينبغي ان توجد تلك
المزية في تسميته ومثله في العجب انه سلطان قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وترك
اعراب الاسم الذي هو التجارة وقد تقدر نصاب مرفوعا بعد ان كان مجرورا وتركناه
وقد حذف من اللفظ بعضه ما كان فيه وهو الواو في ربحوا وفي قولنا في تجارتهم لا يعلم
ان ذلك يقتضي ان يكون المعنى قد تغير كما تغير اللفظ واعلم انه ليس يصح والدلائل على
صحة ما نحن عليه عدد وتباع وكلما اتى منه باب انفتح منه باب اخر وقد اردت
ان اخذ في نوع اخر من الحجاج ومن البسط والشرح فتامل ما اكتبه لك اعلم ان
الكلام الفصيح ينقسم قسمين تعرف المزية والحسن فيه الى اللفظ وقسم تعرف ذلك
فيه الى النظم فالقسم الاول الكناية والاستعارة والقسم الثاني على حد الاستعارة وكل
ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر وشيء من هذه
الضروب الا وهو اذا وقع على الصواب وعلى ما ينبغي وجب الفضل والمزية واذا قلت
هو كثير رماد القدر كان له موقع وحظ من القبول لا يكون اذا قلت هو كثير الرماد
والضيافة وكذلك اذا قلت هو طويل النجاد وكان له باب في الدين لا يكون اذا قلت
هو طويل القامة وكذلك اذا قلت رايت اسدا كان له موقع لا يكون اذا قلت رايت
رجلا يشبه الاسد ويساويه في الشجاعة وكذلك اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر

اخرك كان لوضوع لا يكون اذا قلت اراك تريد وفي الواي الذي دعوك اليه كما تقول
اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى وكذلك اذا قلت التي جعلته على عاريه
كان له ما اخذ من الغلب لا يكون اذا قلت هو كالبعير الذي جعله على عاريه
حتى يرعى كيف شاء ويذهب كيف يريد لا يجعل المرء فيه الا قدم الخمس من النفس
والامس لانك لا تريد من مثالي المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى وقد
قد شرفت هذه الجملة فحسبي ان تنظر الى هذه المعاني واحدا واحدا وتعرف
وتعرف محصولها وحاصلها وان تنظر الا الى الكناية واذا نظرت اليها وجدت
حقيقتها ومحصول امرها انما هو اثبات لمعنى انت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول
دون طريق اللفظ الا ترى انك لما نظرت الى قولهم هو كثير رماد القدر وعرفت
منه ما اريم اراده والى انه كنى به عن الضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك عرفته
بان رجعت الى نفسك فعلمت انه كلام قد جاء هم في المدح ولا معنى للمدح بكثرة الرماد
ليس الا انهم اراد والى ان يجعلوا كثرة الرماد دليلا على انه ينصب القدور والكثير ويطبخ فيها
للقرى والضيافة وذلك انه اذا كثر الطبخ في القدور كثر احراق الحطب تحتها واذا
كثر احراق الحطب كثر الرماد لا محالة وهكذا السبيل في كل ما كان كناية وليس من هذا
الشعر عرفت ان اعرضه اراد بقوله ولا اتباع الى قوله الا جل الذي هو به
مضياف ولكنك عرفته بالنظر الطريف بان علمت انه لا معنى للمدح بظاهر ما يدل
عليه اللفظ من قرب اجل ما يشتريه الانسان فاذا الشتري شاة او بعيرا كان قد
اشترى ما قرب اجله لانه يذبح ويخرج من قرب واذا قد عرفت هذا فالكناية
والاستعارة في هذه الصفة وذلك ان موصوفا يجب ان تثبت له ما معنى لا تعرفه
السامع من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ بيان عند انا نعلم انك لا تعرف
رأيت اسدا الا وغرضك ان تثبت للرجل انه مساو للاسد في شجاعته وجرأته
وعدده بطشه واقدامه وفي ان الذعر لا يجاسره والخوف لا يعرض له ثم نعلم ان السامع
اذا عقل هذا المعنى لا يعقله من لفظ اسد ولكنه يعقله من دعواك هو اسد لا نعلم
انه لا معنى لجعلك اسدا سامع العلم بانه رجل الا انك اردت انه بلغ من شدة مساواته
للاسد ومشابهته اياه مبلغا يتوهم معه انه اسد بالحقيقة فاعرف هذه الجملة
واحسن تأملها واعلم انك ترى الناس وكأنهم يرون انك اذا قلت رأيت اسدا
وانت تريد الا انسانا شبيها بالاسد كنت قد نقلت لفظ اسد عما وضع له في اللغة واستعملته في

ما يعقل بمعناه حتى كان ليس الاستعارة الا ان تعمل اسم الشيء فتجعله اسما لشبيهه
وحتى كان لا فصل بين الاستعارة وبين تسمية المطر سحابا والنبت غيثا والوارد وردا
واشباه ذلك مما وقع فيه اسم الشيء على ما هو منه بسبب وبدهيون عما هو مركوز
في الطباع من ان المعنى فيه المبالغة وان دعواي في الرجل انه ليس برجل ولكنه اسد
بالحقيقة وانه انما يجاز اللفظ من بعد ان يجاز المعنى وانه لا يشرك في اسم الاسد الا
من بعد ان يدخل في جنس الاسد لا ترى احدا يعقل الا ويعرف ذلك اذا رجع الى
رجوع الى نفسه ومن اجل ان كان الامر كذلك راث العقلاء كلام مجنون القول بان
من شان الاستعارة ان تكون ابدا ابلغ من الحقيقة والا فان كان ليس هينا الاعمل
اسم من شيء الى شيء ليس منه بسبب فكيف ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة
وتكون اقوى اذا بنيت اسدا اسم يعلى قولنا رأيت شجاعا كالاسد وقد علمنا انه محال
ان يجعل الشيء نفسه بان ينقل اليه اسم قد وضع لغيره من بعد ان لا يراد من معنى
ذلك الاسم فيه شيء بوجه من الوجوه بل يجعل كانه لم يوضع الا لذلك المعنى الاصلي اصلا
وفي اي عقل يتصور ان يغير معنى شيء بالاسد الى ان يوضع لفظ اسد عليه ويعقل
فيه واعلم ان العقلاء انما انكروا ما انكروا وشنعوا على ان الاشياء سمي الاسامي
لخواص يعلمن بي بها دون ما بعدها واذا اثبتوا خاصة حتى لشيء اثبتوا له اسمه واذا
جعلوا الرجل يجب لاشتراكهما عنه في مجاهدة الاسد ولا يعدم منه شيئا قالوا
هو اسد واذا وضعوه بازاء في الخير والخصال الشريفة او الحسن الذي يبعد
قالوا هو ملك فاذا وضعوا التي بمعالجة الطبيب قالوا هو مسك وكذلك الحكم اذا اعتبر
انهم اذا استعاضوا ذلك بعد عن الشيء اسم جنسه فقالوا ليس هو انسان وانما
هو اسد وليس هو اد سبا وانما هو ملك كما قال تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم ثم ان لم يريدوا ان يخرجوه عن جنسه جملة قالوا هو اسد في صورة انسان
وهو ملك في صورة ادمي وقد خرج هذا التثنية في احسن عبارة وذلك في قوله

نحن ركب ملكن في زي ناس ... فوق طير لها شخوص الجمال

ففي هذه الجملة بيان لمن عقل ان ليست الاستعارة تعلل اسم عن شيء الى شيء
اذ عاد معنى الاسم التي اذا كانت تعلل على اسم وكان قولنا رأيت اسدا معنى رأيت شبيها
بالاسد ولم يكن اذ عانا انه اسد بالحقيقة لكان محالا ان يقال ليس هو انسان ولكنه
اسد او يقال هو اسد في صورة انسان كما انه محال ان يقال ليس هو انسان ولكنه

شبيه باسد في صورة انسان واعلم انه قد كثر في كلام الناس لفظ التعليل في الاستعارة فمن ذلك قولهم ان الاستعارة تعليق العبارة على غيرها وضعت له في اصل اللغة على سبيل النقل وقال الغامدي ابو الحسن الاستعارة ما اكتفى فيه بالاسم المستعار من الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ومن سنان ما احمد من العبارات ولطف ان يصعب تصويره على الوجه الذي هو عليه لعامة الناس فيقع لذلك في العبارات التي يعبر لها عنه ما توهم الخطا واطلاقهم في الاستعارة انها نقل العبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الاخذ به وذلك انك اذا كنت لا تطلق اسم الاسد على الرجل الاسن بعد ان تدخله في جنس الاسود من الجبة التي ما لم تكن قد نقلت الاسم عما وضع بالحقيقة لانك انما تكون ناقلا اذا اخرجت معنا الاصلي من ان يكون مقصودا او نقضت به بدك فاما ان يكون ناقلا له عن معناه مع اراده معناه فمحال متناقض واعلم ان في الاستعارة ما لا يتصور بقدر النقل فيه البتة وذلك مثل قول البديع

وعمداة رخ قد كسفت وضوءه ... اذا صبحت بيد الشمال زمامها

لا خلاف في ان اليد استعارة ثم انك لا تستطيع ان تزعم ان لفظ اليد منتقل من محله الى وذلك انه ليس المعنى على انه شبه شيئا باليد فمن ذلك ان تزعم انه نقل لفظ اليد اليه وانما المعنى على انه اراد ان يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الانسان فاخذ التي بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد فلما اثبت لها مثل فعل الانسان باليد استعار لها اليد وكالا يمكنك تقدير النقل في لفظ اليد كذلك لا يمكنك ان تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ الاخرى انه محال ان يقول انه استعار لفظ اليد للشمال وكذلك سبيل نظائره مما تجد لم قد اثبتوا فيه للشيء بعضو من اعضاء الانسان من اجل اثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الانسان كبيت الحماسة

اذا هز في عظم برزن تعللت ... مواجد افواه المنايا الضواحك

فانما جعل المنايا تضحك جعل لها الافواه والنواجد التي تكون الضحك فيها وكبيت المتنبي

حميس مشرق الاردان والغرب رجيعه ... وفي اذن الجوزاء منه زمازم

لما جعل الجوزاء تسمع على عادتهم في جعل الجو تعقل وصفهم لها بما يوصف به الانسان اثبت لها الاذن التي بها يكون السمع من الانسان فانت الان لا تستطيع ان تزعم في بيت الحماسة انه استعار لفظ النواجد ولفظ الافواه لان ذلك يوجب المحال وهو ان

يكون في انسان ناطق وقد شبهه بالنواجد وحتى قد شبهه بالافواه وليس لاحد ان يقول انه لما ادعى ان المنايا تضحك واسبسر اذا هو هز السيف وجعلها السرور بها قد ادرك ضحك اراد ان يبالغ في الامر فجعلها في صورة من يضحك حتى يبدو نواجده من شدة السرور وكذلك لا تستطيع ان تزعم ان المتنبي قد استعار لفظ الاذن لانه يوجب ان يكون في الجوزاء شيء قد اراد تشبيهه بالاذن وذلك من شنيع المحال وقد بين من غير وجه ان الاستعارة انما هي ادعاء معنى في الاسم الذي لا تعلق الاسم عين التي عملت ان الذي قالوه من انها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في الحقيقة ونقل لها عما وضعت له كلام قد نشأ محوا فيه لانه اذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم منقولا عما وضع له بل معترفا عليه واعلم انك تراهم لا يمتنعون اذا تكلموا في الاستعارة من ان يقولوا انه اراد المبالغة فجعله اسدا بل هم يحكون الى القوم ذلك صريح في ان الاصل فيها المعنى وانه المستعار في الحقيقة وان قولنا استعير لهم الاسد اشارة الى انه استعير له معناه وانه جعل اياه وذلك انا لم نقل ذلك لم يجز فيها معنى لان جعل لا يصلح الا حيث يراد اثبات صفة التي قولنا جعلته اميرا وجعلته لشاعر بيدا ثبت له الامارة ونسبته الى الصورة والوصف عليه ورميته بها وحكم جعل اذا تعدى الى مفعولين حكم صيره فكما لا يقول صيرته اميرا الا على معنى انك اثبت له صفة الامارة كذلك لا تقول جعلته اسدا الا على معنى اثبت له معاني الاسد وما ماثله في معنى كلامهم من ان جعل كون معنى من المعاني نحو ما نشأ محوا فيه ايضا لان المعنى معلوم وهو مثل ان تجد الرجل يقول انا لا اسميه انسانا وغرضه ان يقول اني لا اثبت له المعاني التي اعلم ان الانسان انسانا فاما ان يكون جعل في معنى من هذا عقلا فما لا يخفى فساده والاخرى انك لا تجد عاقلا يقول جعلته زيدا بمعنى سميته زيدا ولا يقال الرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه زيدا وولد له لان ابن فجعله عبد الله اي سماه عبد الله هذا لا يشك فيه احد عقل اذا نظر واكثر ما يكون ما يكون منهم هذا النساخ اعني ان لفظ جعل بمعنى سمى في قول الله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فقد ذهب في التفسير ان جعل يكون بمعنى سمى وعلى ذلك فلا شبهة ليس في ان امر المعنى على الجملة ولكن على الحقيقة التي وصفتها لك وذلك انهم اجمعوا للافاده صفة الا انا واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم ما صدر من الامر

اعني الاطلاق اسم الاثبات وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاثبات او لفظ الاثبات
من غير اعتقاد معنى واثبات صفته هذا محال ولا جرى الى قوله تعالى اشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون فلو كانوا لم يريدوا واعلى اجرا الاسم على الملائكة ولم
يعتقدوا اثبات صفة لما قال تعالى اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يقصدوا
اثبات صفة ولم يكن عبرانا وسمعوا انما لا يريدون به معنى لما استحقوا الا التعبير
من الذم ولما كان هذا القول منهم كفرا والتفسير الصحيح والعبارة المستقيمة
ما قاله ابو اسحاق الزجاج رحمه الله فانه قال الجعل هنا في معنى القول والحكم
على الشيء تقول قد جعلت زيدا اعلم الناس اي وصفته بذلك وحكمت به ورجع
الى العرض المعقول فاذا ثبت ان ليست الاستعارة نقل الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم
وكما اذا اعقلنا من قول الرجل رايت اسدا انه اراد المبالغة في وصفه بالشجاعة
وان يقول انه من قوة القلب ومن فرط الصاله وشدة البطش وفي ان الخوف
لا يجاسره والذعر لا يعرض له بحيث لا يتعرض عن الاسد لم نعقل ذلك من لفظ
اسد ولكن من ادعائه معنى الاسد الذي اثبت بذلك ان الاستعارة والكناية
في انك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ واذ قد عرفت ان
طريق العلم بالمعنى في الاستعارة والكناية معا المعقول فاعلم ان حكم التمثيل في ذلك
حكم بابل الاخر في التمثيل اظهر وذلك انه ليس من عاقل يشك اذا نظر في كتاب
يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين بلغه انه يتلوني بيعته اما بعد فاني
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت
والسلام تعلم ان المعنى انه يقول له بلغني انك في امر البيعة بين رأيين مختلفين
ترى تارة ان تبايع واخرى ان تمتنع من البيعة فاذا اتاك كتابي هذا فاعمل على اي
الرأيين شئت انك لم تعرف ذلك من لفظ التقديم والتاخير ومن لفظ الرجل ولكن
بان علم انه لا معنى لتقديم الرجل وتاخيرها في رجل يدعى الى البيعة وان المعنى على
انه اراد ان يقول ان مثلك في تردده بين ان تبايع وبين ان تمتنع مثل رجل واحد
في امر فجعلت نفسه تريد تارة ان تذهب واخرى انه في ان لا يذهب
فجعل يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهكذا الكلام كان ضرب مثل لا يخفى على من له
ادنى تمييز ان الاغراض التي يكون لتباين في ذلك لا تعرف من الالفاظ ولكن يكون
المعاني الحاصلة من مجموع الكلام ادلة على الاغراض والمقاصد ولو كان الذي

دون غرض المتكلم يعلم من اللفظ ما كان كقولهم ضرب اذا مثلا لكذا يعني فيه اللفظ
ضرب مثلا ولكن المعنى فاذا قلنا في قول النبي عليه السلام اما بكر وحضرا الدمن
فانه عليه السلام ضرب حضرا الدمن مثلا للمرأة الحسناء في منبت سوء لكن المعنى
الذي يسأل عنه عليه وسلم ضرب لفظ حضرا الدمن مثلا لها هذا لا ينطبق من يسأل
من يسأل عن العاقل فقد نال الشك فاذا تتبع في ان طريق العلم بما اراد اشاره والخبر
عنه في هذه الاجناس الثلاثة التي هي الكناية والاستعارة والتمثيل المعقول دون
اللفظ من حيث يكون القصد بالاثبات فيه الى معنى ليس هو معنى اللفظ ولكنه
معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه كقولنا في ان القصد في
قولهم هو كثير رماد القدر الى كثرة القرى وانت لا تعرف ذلك من لفظ اللفظ
الذي بمعناه ولكنك تعرفه بان تستدل عليه بمعناه على ما مضى الشرح فيه واذ
قد عرفت ذلك فينبغي ان يقال لطولا الذين اعترضوا علينا في قولنا ان الفصاحة
لفظ وصف تجب الكلام من اجل مزية يكون في معناه وانها لا تكون وصفا للفظ
من حيث هو اللفظ مجردا عن المعنى واحتجوا بان قالوا انه لو كان الكلام اذا وصف
بانه فصيح كان ذلك من اجل مزية تكون في معناه وجب ان يكون تفسير صحيحا
مثله اخبرونا عنكم اترون ان من شان هذه الاجناس اذا كانت في الكلام ان تكون
له بها مزية توجب له الفصاحة ام لا ترون ذلك فان قالوا لا ترى لم تكلموا وان
قالوا نرى الكلام اذا كانت بي فيه مزية توجب له الفصاحة قيل لهم فاخبرونا
عن تلك المزية اتكون في اللفظ ام في المعنى فان قالوا في اللفظ دخلوا في الجهالة
من حيث يلزم من ذلك ان يكون الكناية والاستعارة والتمثيل اوصافا للفظ
لانه لا يتصور ان يكون مزية في اللفظ حتى يكون اوصافا له وذلك محال من حيث
يعلم كل عاقل انه لا يكنى باللفظ عن اللفظ وانما يكنى بالمعنى عن المعنى وكذلك يعلم
انه لا يستعار اللفظ مجردا عن المعنى ولكن يستعار المعنى ثم يكون اللفظ تابعا للمعنى
على ما قدمنا الشرح فيه ويعلم لذلك انه محال ان يضرب المثل اللفظ وان يكون
قد ضرب لفظ اراد ان يقدم رجلا ويؤخر اخرى مثلا لمن تردده في امر البيعة وان قالوا
بل هي في المعنى قيل لهم فهو ما اردنا ان ناكر عليه فدعوا الشك عنكم واعلموا من رددتم
فانه على ضروب وقد ادى التفسير اليه وكل علم كان كذلك فانه يجب القطع على
كل سؤال يسأل فيه بانه خطا وان السائل ملوس عليه ثم ان الذي يعرف به

وجه دخول الغلط عليهم في قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من اجل ان مزيد يكون
في معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله هو انك اذا نظرت الى كلامهم هذا
وجدته نفسه كما تصر قالوا انه لو كان الكلام اذا كان فيه كناية او استعارة او تمثيل كان
كذلك فصيحا لوجب ان يكون اذا لم توجد فيه هذه المعاني فصيحا استدلالا كما لان
تفسير الكناية ان يتركها ويصرح بالمكنى عنه مقبول ان المعنى في قولهم هو كثير الرماد
انه كثير القرى وكذلك الحكم في الاستعارة فان تفسيرها ان يتركها ويصرح بالشبه
مقبول في رأيت اسدا ان المعنى رأيت رجلا يساوي الاسد في الشجاعة وكذلك
الامر في التمثيل لان تفسيره ان يذكر التمثيل به مقبول في قولك اراك تقدم رجلا
وتؤخر اخرى ان المعنى انه قلق اراك تتردد في امر اتبيعه مقبول تارة واخرى
لا افعل كمن يريد الذهاب في وجه فتريه نفسه تارة ان الصواب في ان يذهب
واخرى انه في ان لا يذهب فهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهذا خروج عن المعقول
لانه يمكن له ان يقول لرجل قد نصبت لوصف علة ان كان هذا الوصف يجب لهذه
العلة فينبغي ان يجب مع عدمها ثم الذي استهواهم هو انهم نظروا الى تفسير اللغة
بعضها بعض فلما رأوا اللفظ اذا فسر بلفظ مثل ان يقال في الشرجب انه الطويل
لم يجز ان يكون في المفسر من حيث المعنى مزية على التفسير ظنوا ان سبيل ما يجوز
فيه ذلك السبيل وذلك غلط منهم لانه انما كان للمفسر فيما تأخر فيه الفضل والمزية
على التفسير من حيث كانت الدلالة في المفرد دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة
لفظ على معنى وكان من المركوز في الطباع والراسخ في غرائز العقول انه متى اريد
الدلالة على معنى وترك ان يصرح به ويذكر باللفظ الذي هو له في اللغة وعمد الى
معنى اخر فاشير اليه وجعل دليلا عليه كان الكلام بذلك حسن ومزية ولا يكون
اذا لم يصنع ذلك وذكر بلفظه صريحا ولا يكون هذا الذي ذكرت انه سبب فضل
المفسر على التفسير من كون الدلالة في المفرد دلالة معنى على معنى وفي التفسير
دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ المفسر معنى معلوم يعرفه السامع هو غير
معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته كما ترى من ان الذي هو معنى اللفظ
في قولهم هو كثير الرماد الغدر وغير الذي هو معنى اللفظ في قولهم هو كثير القرى
ولو لم يكن كذلك لم يصور ان يكون ههنا دلالة معنى على معنى واذ قد عرفت
هذه الجملة فقد حصل لنا منها ان المفسر يكون له دلالتان دلالة اللفظ على

ن دلالة المعنى الذي دل عليه اللفظ على معنى لفظ اخر ولا يكون للمفسر الا دلا
ة ومعنى دلالة اللفظ وهذا الفرق هو سبب ان كان للمفسر الفضل والمزية على
فسير ومحال ان يكون هذا نفسه المفسر والتفسير فانا نعلم ان اللغة اذا كان
ي التفسير يكون اولا مجهولا عند السامع ومحال ان يكون المجهول دلالة على ان
معنى المفسر يكون بعينه معنى التفسير بعينه ومحال اذا كان المعنى واحدا ان يكون
المفسر فضل على التفسير لان الفضل كان في سلسلنا بان دل لفظ المفسر على معنى ثم
دل بمعناه على معنى اخر وذلك لا يكون مع كون المعنى واحدا ولا يتصور بما هذا
ه محال ان يقال ان معنى الشرجب الذي هو المفسر يكون دليلا على معنى مفسر
الذي هو الطويل ثم اذا وزان قولنا ان معنى كثير رماد الغدر دل على معنى تفسيره
الذي هو كثير القرى لا فرق احد منا انك لا تفسر الشرجب حتى يكون معنا يجوز
عند السامع ومحال ان يكون المجهول دلالة والثاني ان المعنى في تفسيرنا الشرجب
الطويل ان اعلم السامع ان معناه هو معنى الطويل فاعرف ذلك والطول الذي العقلاء
اليوم ربما اداني منا منهم من الاحلام الكاذبة ولو انهم تركوا الاستامة الى التقليد
والاخذ بالظنون وتركوا النظر واستعدوا ولو يهم ان ههنا كلاما ينبغي ان نتعرى السمع
لعلموا واعادوا اعجابهم بالمفسر في سوالم هذا وفي سائر اقوال المفسر عجبا منها ومن نطوح
الظنون ربما واذ قد بان سقوط ما اعترض به الغور وخشن تعظيم ينبغي ان نعرفك
ليست المزايا التي تجد فاكدة الاجناس في الكلام الذي وكل بالظاهر والمسألة
التي نجريها فيها في نفس المعاني التي تقصد المتكلم بخبره الزيادة تكريها في طريق اثباته شيئا
وتقريره اياه وذلك اذا اجمعهم يقولون ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني
مزية وفضلا وتوجب لها شرفا ونبلا وان تفخم بها في نفوس السامعين وتذهم اذ اوقعها
عند الناس فانهم لا يعنون انفس المعاني التي تقصد المتكلم بخبره الزيادة كما ترى
والشجاعة والجود في الرأي وانما يعنون اثباتها لما شئت له وتخبر بها عنه فاذا رأى
الكناية مزية على التصريح لم يجعلوا ذلك المزية في المعنى المكنى عنه وكذلك في اثبات المعنى
بالتمثيل وذلك انا نعلم المعاني التي تقصد الخبر بها لا تعدو ثلاثة اقسام
وتركن ان تذكر الالفاظ التي بني لها معان في اللغة ومن هذا الذي اشكل في ان معنى
طول القامة وكثرة القرى لا يتصوران يكون عند مما طول النجاد وكثرة رماد الوقود
كيف وبعد ما التغيير فيما مر وهي ان لا تكون الكناية عنها ولكن عن غيرها وقد

وقد ذكرت هذا في صدر الكتاب وذكرت ان السبب في ان كان يكون للاثبات اذا كان من طريق الكناية مرة لا تكون اذا كان من طريق التصريح اذا كنت عن كثرة الفرى بكثرة الرماد فقد ركبت قد اثبت كثرة الفرى باثبات شاهد هذا وقد لطفنا وما هو علم في وجود هذا وذلك لا محالة يكون الجامع من اشياء تعتبرها وذلك لانه يكون سبيلها سبيل الدعوى يكون معها شاهد وذكرت ان السبب في ان كانت الاستعارة الجامع من الحقيقة لك اذا ادعيت للرجل انه اسد بالحقيقة كان ذلك الجامع والشد في نسبته بالاسد في الشجاعة ذاك لانه محال ان يكون من الاسود لم لا يكون له شجاعة الاسود وكذلك الحكم في المثل اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان الجامع في اثبات التردد له من ان تقول اراني انت تمكن تقدم رجلا وتؤخر اخرى واعلم انه قد يحسن في نفس الانسان شيء بطن من اجله انه ينبغي ان يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة انما حدثت في المثبت دون الاثبات وذلك ان تقول انا اذا نظرنا الى الاستعارة وجدناها انما كانت الجامع من اجل انها تدل على قوة الشبه وانه قد تناهى الى ان صار المشبه لاجتماع عن المشبه به في المعنى الذي من اجله شبه به واذا كان كذلك كانت المزية الحادثة لها حادثة في الشبه واذا كانت حادثة في الشبه كانت في المثبت دون الاثبات والجواب عن ذلك ان يقال ان الاستعارة انما جرى معنى قوة الشبه وكونه بحيث لا يجتمع المشبه عن المشبه به ولكن ليس ذلك سبب المزية وذلك لانه لو كان ذاك سبب المزية لكان ينبغي اذا جئت به صريحا فقلت رايت رجلا مساويا للاسد في الشجاعة وبحيث لو تصورته لظننت انك رايت اسدا وما اشاكل ذلك من ضروب المبالغة ان يجد لكلامك المزية التي يجدها القول رايت اسدا والسر يجري على عامل اذ ذلك لا يكون فان قال قائل ان المزية من اجل ان المساواة تفكر في رايت اسدا من طريق المعنى وفي رايت رجلا مساويا للاسد من طريق اللفظ قيل له انا مما نعدم احوال ان يتعبر حال المعنى في نفسه بان يكنى عنه بمعنى اخر وانه لا يتصور ان يتعبر معنى طول القامة بان يكنى عنه بطول النجاد ومعنى كثرة الفرى بان يكنى عنها بكثرة الرماد وكان ان ذلك لا يتصور ذلك لا يتصور ان يتعبر معنى مساواة الرجل الاسد في الشجاعة بان يكنى عن ذلك ويدل عليه بان يجعله اسدا فامات الان اذا نظرت الى قوله ... فاسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد فراعيه قد افاد ان الدمع كان لا يحرم من شبه اللؤلؤ والعض من شبه النرجس شيا

لا شبهة ان سبب الحسن الذي تراه فيه والاريحية التي تجدها عند سماعه انه افاد ان ذلك فجاءت وذلك انك تستطيع ان تحكي به صريحا فتقول فاسبلت دمعا كاللؤلؤ وعضت من غيظ كانها النرجس حتى تبلغ ثم لا ترى من ذلك الحسن شيا ولكن اعلم ان سبب ان راقك وادخل الاريحية عليك انه افاد ك في اثبات شدة الشبه مزية لو جدك فيه خاصية قد تعذر في طبع الانسان ان يرتاح لها وتجد في نفسه هزة عندها وكذا حكم نظائره كقوله

شكى فبت اذري الدمع من نرجس ... وبت اقطر الورد بعناب

وقوله المتنبي بدت قمرا ومالت خوط بان ... وفاحت عنبرا ورنت غزالا

واعلم ان من شان الاستعارة انك كلما رددت اراد تك اخفاءه ادت الاستعارة حسنا حتى انك ترانا اعرب ما يكون اذا كان الكلام قد الف تاليفا ان اردت ان تفصح انه للتشبيه خرجت الى نحو معانقة النفس وبلغظه الصمع ومثال ذلك قولك ان لعمر الامير لاحسان راجته ... لجناه الحسن عنابا

الا ترى انك ان جعلت نفسك محلا ان تخاير التشبيه وتفصح به احتجت الى ان تقول امرت اصابع كفه التي هي كالاغصان لطالما الحسن شبيه العناب من اطرافها المحشوة وهذا ما لا يخفى عن ناشه ومن اجل ذلك كان موقع العناب في هذا البيت احسن منه في قوله ... وعضت على العناب بالبرد ... وذلك ان اظهار التشبيه فيه لا يفتح هذا الفتح المغرط لانك لو قلت وعضت على اطراف اصابع كالعناب تعمد كابرد كان شيا يتكلم عنه وان كان مردفا ولا وهذا لا يجري مجرى الامر كان طيب الطبع حاد القريحة وفي الاستعارة علم كثير ولطائف ومعان ودقائق مرموز سنوضح منها ان شا الله في موضع اخر واعلم انا حين احدثنا في الجواب عن توهمه انه لو كان الكلام يكون فصيحا من اجل مزية يكون في معناه لكان ينبغي ان يكون تفسيره فصيحا سئلة قلنا ان الكلام الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية فيه الى اللفظ وقسم تعزى فيه الى النظم وقد ذكرنا القسم الاول من الجملة ما لا ينبغي بعده تعاول اذا تقول انا نجد لك في بطلان ما تعلقوا به من انه يلزم على قولنا ان الكلام يكون فصيحا من اجل ربه يكون في معناه ان يكون تفسير الكلام الفصيح فصيحا مثله وانه محوس مرتبع ونحن في الجهالات واما القسم الذي تعزى فيه المزية الى النظم فانا نعلم وانا نعلم ان ذا قول سوا نصر الذي انا به نحوه انا فيه كان امرنا عجب وكان عجبنا في ذلك اعجب وقد ذكرنا ان النظم انما هو

توحى معانى النحو واحكامه وفروقه ووجوهه والعمل بقوانينه واصوله والتسمك
النحو معانى الفاظ فتصور ان يكون لها تفسير وجملة الامر ان النظم انما هو ان
قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مبتدا الله خبر ورب صفة
لاسم الله تعالى ومضاف الى العالمين والعالمين مضاف اليه والرحمن الرحيم صفتان
كالرب ومالك من قوله مالك يوم الدين صفته ايضا ومضاف الى اليوم واليوم مضاف
الى الدين واياك سمير اسم الله تعالى وهو ضمير يقع موقع الاسم اذا كان الاسم مفعولا
معنى ذلك انك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت الله نعبدك ثم ان تعبد هو المفعول به ان
النصب فيه وكذلك حكم اياك نستعين ثم ان جملة اياك نستعين معطوف بالواو على
جملة اياك نعبد والصراط مفعول والمستقيم صفته الصراط وصراط الذين بدل
من الصراط المستقيم والنعت عليهم صلة الذين وغير المغضوب عليهم صفة الذين
والضالين معطوف على المغضوب عليهم فانظر الان هل يتصور فى شئ من هذه الفاظ
ان يكون معنى اللفظ وهل يكون كون الحمد مبتدا معنى لفظ الحمد ام يكون كون رب
صفة وكونه مضافا الى العالمين معنى لفظ الرب فان قيل انه ان لم يكن هذه المعانى
معانى نفس الالفاظ فانها تعلم على كل حال من ترتيب الالفاظ ومن الاعراب فانا
فى ان الحمد يعلم انه مبتدا والحرف الذى من رب يعلم انه صفته وبالجملة فانى
تعلم انه مضاف اليه وعلى هذا فيما ان الكل قبل ترتيب اللفظ لا يكون لفظا ولا اعرابا
وان كان يكون لفظا فانه لا يتصور ان يكون ههنا لفظان كل واحد منهما علامة اعراب ثم يكون
احد مما تفسيرا للاخر وزيادة القول فى هذا من خطل الراى فانه مما يعلمه العاقل
بيديهة النظر ومن لم يتنبه له من اول ما يسمع لم يكن اهلا لان يكلم ونعود الى ما كنا
الحديث فنقول فقد بطل الان من كل وجه وكل طريق ان يكون الفصاحة وصفا
اللفظ من حيث هو لفظ ونطق لسان واذا كان هذا صورة الحال وجملة الامر لم يتصور
القوم منكرو انى شئ مما نشرحناه بحال ولا اخطروه ببال بل كانوا وظواهرهم لم يأبوا ان
من تأبه ولم يطلبوه من معدنه ولم يسلكوا النهج المستقيم فى طلبه وانهم لم يزيدوا على ان اقروا
انفسهم وبما كادوا بانهم قد اتوا الوجه الذى به كان القرآن معجزا والوصف الذى به بان
من كلام المخلوقين من عنان يكون فوائد قالوا انه قول لا يشفى من سأل غليلا ويكون على
علم دليلا وفى معرفته ما تقصد والله سبيلا واعلم انه اذا نظر العاقل فى هذه الاداة
فرأى الامور بها اشبه ان يكون قد ظن ظنا فى الفصاحة انها من صفة اللفظ صريحا

وعرف انه كذلك ينبغى الا انما ينظر الى حدوثهم وتجددهم وبهم احكم ان العاقل
لا يعرف انما يتعاطى الالفاظ فلن كانوا قد قالوا الالفاظ وهم لا يريدون بها الا معرفتها
ولا يريدون تطايب معان تقوم منها فقد كان ينبغى ان يتنبهوا لذلك من تلقاء انفسهم
من غير ان يذكروا لهم عنوانا الالفاظ ضربا من المعنى وان غرضهم بما يرونه
من هذا وامر النظم فى انه ليس شيا غير توخى معانى النحو فيما بين الكلم وايك
ان معانى اولا فى نفسك ثم تحد وعلى ترتيبها الالفاظ فى نطقك وانا لو رضينا ان
يكون الالفاظ من المعانى فلم نصور ان يجب فيها نظم وترتيب فى غاية القوة والظهور
ثم نرى الذين تكلموا فى امر اللفظ قد انوا الا تحفلوا النظم فى الالفاظ نرى الرجل منهم يرتب
ويعلم ان الانسان لا يستطيع ان يجئ بالالفاظ مرتبة الا من بعد ان يكون قد عرف المعانى
وترتيبها فى نفسها على ما تعلمنا ثم نعلم انه قد عمد الى معانى قد علمها ورتبها فى نفسه
ثم جاء الى الالفاظ فاراها المعانى لا ليعلم مرتبة الا من بعد ان يعلم ترتيب المعانى
مرتبة فى نفسه شيا حال نفسه واعتبر حال الذى يسمع منه وسبب ذلك قصر الهمة
وضعف العناية وترك النظر والانس بالتقليد وما ينفى ويمنع الدلالة مع من الاسباب
فيما دون الصبح ليملا الافق من الابراء التام ومن قد اطمئن حتى به واعلم انك لا ترى بعينك
شيا علما فتجرى الامر فيه بدئا واخيرا على ما تجرى عليه فى علم الفصاحة والبيان
انما الشعر فهو انك لا ترى نوعا من انواع العلوم الا واذا تاملت كلام الاولين الذين
علموا الناس وجدت العبارة فيه الرمز والاشارة والتصريح اغلب من التلويح والاشارة
فى علم الفصاحة بالضد من هذا فانك اذا قرات ما قالوه فى الفصاحة وجدت جملة وكله
رمزا ووحيا وكناية وتعريضا وانما الى الغرض من وجه لا يعطى له الا من عامل الفكر
واذن النظر ومن رجع من طبعه الى القصيد يقوى معربا على الغامض ويصل بها الى
المعنى حتى كانه حرانا ان تخفى معانيهم سامح الاوجه لا تغاب عليها وبادية الصفحة
لا تحجب دونها وحتى كان الافصاح بها حرام وذكرها الا بحيث يسل الكناية والتعريض
غير سايغ واما الاخبار فهو انا لم نر العقلا قد رضوا من انفسهم فى شئ من العلوم ان يحفظ
كلام الاولين ويدارسوه ويكلم به بعضهم بعضا من غير ان يعرفوا له معنى ويقفوا
منه على غرض صحيح ويكون عندهم ان سئلوا عنه بانوا به وتصدوا للاعلام عنه
فانك ترى طبقات من الناس بيدا ولون مما يجرى الفاظا لا يعرفون لها معانى ويعبارات سرعين
ان يعرفوا لها معنى اصلا ويستطيعون ان سئلوا عنها ان يذكروا الجواب واضح بين

امرهم ذلك انك ترايهم يقولون اذا تم الكلام في مسئلة كلام على الكلام ان ذلك يكون بحسب
اللفظ واذا تكلموا في زيادة تعلم على نظم ان ذلك يكون لوقوعه على طريقة مخصوصة
وعلى وجه دون وجه ثم لا تجدهم يفسرون الجملة بشئ ويقولون في المراد بالطريقة
والوجه ما يحتاج معه السامع بطايل ويفرعون في كتب البلغا في شروح كلام قد وسموا
اللفظ فيها بما وصفته يعلم ضرورة انهم لا ترجع اليه من حيث هو لفظ ونطق لسان وسمة
حرف كقولهم لفظ ممكن غير فائق ولا ثابت به موضعه وانه جيد السبك صحيح الطابع
وانه ليس فيه فضل عن معناه وكقولهم ان من حق اللفظ ان يكون طبقا للمعنى لا يزيد
عليه ولا ينقص عنه وكقول بعض من وصف رجلا من البلغا كانت الفاظه قوالب
لمعانيه هذا اذا رددته وتوطهرا اذا نوعه هو لفظ معقد وانه بمعقده قد استهلك
للمعنى والنساء فيه انهم لا يخطر ببالهم انه يجب ان يطلب لما قالوا في معنى ويعلم له فائدة
ويحتاج فيه وكون ان يعتمد على الجملة اقل ما في الباب انه كلام لا يصح حمله على ظاهره
وان يكون المراد باللفظ فيه نطق اللسان فاما وصف بالتمكن والفائق في اللفظ محال
فاما تمكن الشئ وتعلقه اذا كان شيا يثبت في مكان والالفاظ حروف لا توجد بنهاية
حتى يعدم الذي كان قبله وتوطهر ممكن او فائق وصف لذلكه بأسرها لا لاحرف حرف
منها ثم انه لو كان يصح في حروف الكلمة ان يكون باقية محجوبة عنها لكان ذلك محالا ايضا
من حيث ان الشئ انما يمكن ويتعلق في مكانه الذي يوجد فيه ومكان الحرف انما هو الفاه
والثم واللسان والشفتان فلو كان يصح عليها ان يوصف بانها ممكن وتعلق لكان يكون
ذلك التمكن وذلك التعلق منها في انفسها من الحلق والثم واللسان والشفتين وكذلك
قولهم لفظ ليس فيه فضل عن معناه محال ان يكون المراد به اللفظ لانه ليس ههنا شئ
يفعل وحرف يزيد على معناه لو ينقص عنه كيف وليس بالمدرج وضعت الالفاظ على
المعاني وان اعتبرنا المعاني المستفادة من الجمل فكذلك وذلك انه ليس فيها جملة
من مبتدا وخبر او فعل وفاعل يحصل بها الاثبات او النفي ثم او ينقص مما يحصل بالذكر
وانما فضل اللفظ على المعنى ان يزيد الدلالة معنى على معنى فتدخل في الشئ ذكرا شيا
لاجله بالمعنى الذي تقول عليه البه وكذلك السبيل في السبك والطابع والسمة والاصل
في هذا كله ان يكون المراد به اللفظ من حيث هو لفظ وان اردت الصدق فذلك ايست
تدري في الدنيا شيا انا اعجب من شان الناس مع اللفظ ولا سيما راي مارج النفوس
وحاسرها واسحكم مرنا وسارك احدي طبايعها من رايهم في اللفظ فلقد بلغ من ذلك

انهم وضعوه عليهم ان تركهم وكانهم اذا نظروا فيه اخذ واعن انفسهم وعسوا من عقولهم
وبين ان يكون لهم فيما يسمعونه نظر وتري لهم ابراما في الاضلعا وسدوه لديب
رزا تنوشا فقد جعلت ترك النظر فيه قضاء وصلت بالهوينا اسا ضافري بعد الاسا
وساعد عن التحصيل وتلقي بايديها الى التشبه وتسرع الى القول الهوي والعقد بلغ من
هذه سريم ان قوما منهم لما راوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها ان يوصف الا
للمفرد بالفصاحة ورأوا ابا العباس ثعلبا قد حكى كتابه الفصيح مع انه لم يذكر فيه
اللغة والالفاظ المفردة وكان محالا اذا قيل ان الشئ افصح الدم افصح من الشئ بالشا
ان يكون ذلك من اجل المعنى اذ ليس يفيد الفصاحة في الدم شئ الا الذي حكي به سبق الى
توهم ان حكم الوصف بالفصاحة ايما كان وفي اي شئ كان ان لا يكون لامر يرجع الى
المعنى البته وان يكون وضعا للفظ في نفسه ومن حيث هو لفظ ونطق لسان وتم اعلم
ان المعنى في وصف الالفاظ المفردة بالفصاحة انما هو في اللغة اجمع وفي استعمال
المستكثر وانما اجري على مقاييس اللغة والعوايد التي وضعوها وان الذي هو
معنى الفصاحة في اصل اللغة هو الابانة عن المعنى بدلالة فتوطهر فصيح واعجم وتوطهر
افصح لاعجمي وفصح اللحان وافصح الرجل بكذا اذا صرح به وانه لو كان وصفهم الكلمة
المفردة بالفصاحة من اجل ما هو لها من حيث هي الفاظ ونطق لسان لوجب اذا وجد كلمة
تعالت اصابتها صفة لها صفة في اللفظ ان لا توجد كلمة هي اذ ذاك الصفة الا وجب لها
ان تكون فصيحة وحتى يجب اذا كان فعيل من الحدث بالكسر افصح من الفتح ثم ان ما الوجه
في كتابه ما هو افصح من اجل ان لم يكن فيه حرف كان فيما حذفه افصح منه مثل
ان ذهبت افصح من او ذهبت افترى انه حدث في الواو والالف والنايا ثم لكن معربا
الهمزة فضيلة وجب لها ان يكون افصح وكفى برأي هذا موه اذ رياء وخطلا
وجملة الامر انه لا بد اقولنا الفصاحة من معنى تعرف وان كان ذلك المعنى وصفا
في الفاظ الكلمة المفردة فينبغي ان يشار اليه ويوضع اليد عليه ومن اين ما يدل
على ذلك نظرهم انه لا شئ يذكر في كتاب قد ذكروه الفصاحة ان الاستعارة
احسن ما يجعل به اللفظ فصيحا وان المجاز حملة والاتحاد من معنى ما يوجب اللفظ
فصاحة وانت ترايهم يذكرون ذلك ويعتمدونه ثم يذهب عنهم ان محاله الصا
اللفظ اصدق المعاني اعتراف صحة ما نحن بدعوهم الى القول به من انه يكون فصيحا
لمعناه اما الاستعارة فانهم ان اغفلوا امرها الذي ملاءه من ان المستعار الحقيقة

يكون معنى اللفظ واللفظ تبع من حيث انا نقول رايت اسدا ونحن نعني رجلا الا ترى
انك اذا رايتنا اسدا بالحقيقة من حيث نجعله لا يتميز عن الاسد في باسه وبطشه
وجراءته عليه قائم على كل حال لا يستطيعون ان يجعلوا الاستعارة وصفا للفظ من
حيث هو لفظ مع ان اعتقادهم انك اذا قلت رايت اسدا كنت نقلت اسم الاسد الى
الرجل وجعلته هكذا عدلا اساد حاني بمعنى نجاح اقتضى ان لفظ الاسد لما نقل عن
السبع الى الرجل لشبهه به احدث هذا النقل في اجراس حروفه وسداقتها وصفا
صار بذلك الوصف فصيحا ثم ان من الاستعارة ضربا لا يصح ان يكون المستعار به
اللفظ البتة ولا يصح ان تقع الاستعارة فيه الا على المعنى وذلك ما كان مثل اليد
في قولك اليد . وعداه ريح فقد كشفت وقرة . اذا صححت بيد الشمال زمام
وذلك لانه ليس هيهنا شيء يزعم انه شبهه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارا له وكذلك
ليس فيه شيء يسوغ ان يكون قد شبهه بالزمام وانما المعنى على انه شبه الشمال في
تصريفها العداء على طبيعتها بالانسان يكون زمام البعير في يده هو يصرفه على
اراته وانما اراد ذلك جعل الشمال يدا او على العداء زماما وقد شرحت هذا فصار
شرحا شافيا وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الاول في العجب وسعة
الفصاحة للكلام لا بل هو اقوى منه في اقتضائها والحاسن التي نظريه والصور
التي تحدث للمعاني بسببه انق واعجب وان اردت ان تزداد علما بالذي ذكرت
لك من امره فانظر الى قوله سفعته كف الليل اكواس الكرى وذلك انه ليس
يخفى على عاقل انه لم يرد ان يشبه شيئا بالكف ولا اراد ذلك في الاكواس ولكن لما
كان يقال سكر الكرى وسكر النوم استعار للكرى الاكواس كما استعار الاخرى
في قوله وقد سقى الغور كاس النعسة البهر . ثم انه لما كان الكرى يكون
في الليل جعل الليل ساقيا ولما جعله ساقيا جعل له كفا اذ كان الساقي يتناول الكاس
باليد بالكف ومن لطيف الاستعارة ما تراه في اخر هذه الابيات وهي للحكمي قيس
ولولا اعتصامي الحق كاسبه الى الياس مرة لم يقم بالطور صيرى
ولولا انتظاري كل يوم حدثي غد لراح بنعشي الداقنون الى قبري
وقد رابني وهن المنى وانقضاضها . وبسط حديد الباس كفيه في صدري
ليس المعنى على انه استعار لفظ الكفين لشيء ولكن على انه لما اراد ان يصف الياس بانه
قد غلب على نفسه وتمكن في صدره ولما اراد ذلك وصفه بما يصنعون فيه الرجل

ان اعتقد فيه على الشيء وبانه ممكن منه ومن ان يفعل فيه كل ما يريد كقولهم قد بسط
يده الى مال فلان يفعله ويفعل فيه ما يشاء وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس
فليس ذلك الا ان القول انه لما اراد ذلك جعل للياس كفين واستعار لهما فاما ان يوقع
الاستعارة فيه على اللفظ فلا يخفى استحالته على عاقل والقول في المجاز هو القول في الاستعاره
لانه ليس شيء منها غير انما الفرق ان المجاز اعم من حيث ان كل استعارة مجاز وليس كل
مجاز استعارة واذا نظرت الى المجاز فيما لا يطلق عليه انه استعارة ازداد خطأ القول
مجازا وشناعة وذلك انه يلزم على قياس قولهم ان يكون انما كان قوله تعالى وهو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا افصح من اصله الذي هو لتسكنوا فيه
وتبصروا فيه من اجل ان حدث في حروف مبصرا بان جعل الفعل للنهار على سعة الكلام
وصف لم يكن وكذلك يلزم ان يكون السبب في ان كان قول الشاعر ناعب يصيح
في صبح من قولنا فصحت في ليل من اجل ان كسب هذا المجاز لفظ تام ولفظ الليل
ردئ لم يكن انما وهذا مما ينبغي للعاقل ان يستحي منه وان يأنف من ان يعمل الفكر
فيما لا يزول به الى مسئلة ونسأل الله العصمة والتوفيق واذ قد عرفت ما يلزمهم في
الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الاخبار اعجب وذلك انه يلزمهم ان كان اللفظ يكون
فصيحا لاجل رجوع الصفة فيه الى معناه ان يكون كذلك موجزا لاجل رجوع الايجاز الى معناه
وذلك من المحال الذي يضحك منه لانه لا معنى للايجاز الا ان تدل بالقليل من اللفظ
على الكثير من المعنى واذا لم يجعلوه وصفا للفظ من اجل معناه ابطلت معناه اعني ابطال
معنى الايجاز واعلم ان هيهنا معنى سترى بعادته كان حقي ان يكون قد ذكرناه في اثناء ما
مضى لكنا وهو ان العاقل اذا نظر علم علما ضروريا انه لا سبيل له الى ان يكون معاني الالفاظ
وهي انها لان المعاني الموجودة في الالفاظ لا تستمر على الجملة على ما اراده واضع اللغة واذا
ثبت ذلك ظهر منه انه لا معنى لقولنا لكثرة المعنى مع قلة اللفظ غير ان المتكلم يتوصل
بدلالة المعنى على المعنى الى مواجب لو انه اراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج الى لفظ كثير
واعلم ان القول الفاسد والرأي المدخول اذا كان صدوره عن قوم لهم سابقة وحسبة
وعلو منزلة من انواع من العلوم غير العلم الذي قالوا انك تقول فيه وتدعي في الاشياء
زورا وتمويها وتسترسل فيها وتجد الناس قولين له والمشيدين به اكثر ممن ينكره ممن يذكر الشعر
ويحسنه والتخليط فيه ويراه الدين بهم اهل ذلك العلم وخاصيته وانما سوغ له
والدين بهم خلقا ان نظروا فيه اللفظ والخطابة لو انهم نظروا كما لا ناس الذين ليسوا

من اهله في تواليه والعمل به والركون اليه ووجدتهم قد اعطوه مقاده تم والانوالة
جانبهم واوسعهم نظرا لمستمناه وتنسبه ثم اشتهاره وانتشاره واطباق الجمع بعد
الجمع عليه ان الظن به اصوب والمحاماة عليه اولى ولو تماري كل الطعون الهم متسع ولم
يسع ولم يروه سلف عن خلف واخر عن اول الا ان له اصلا صحيحا وانه اخذ عن
معدن سردن واشتق من نبعه كرمه وانه لو كان مدخولا لظهر الدخل الذي فيه
على تقادم الزمان وكور الايام وكم من خطا ظاهر ورأي فاسد وذهن معقد
استبد بعمله الناس حتى بوروه في اخص موضع من قلوبهم ومحوه المحنة العمياء
من نفوسهم وعطفوا عطف الام على واحدها وكم من داء دوي قد استحكم عقده
العلة حتى اعياء علاجه وحتى نعل به الطبيب ولو لا سلطان هذا الذي وصفت
على الناس وان له اخذة تمنع القلوب عن النكير وتقطع عنها داعي الفكر لما كان
لهذا الذي ذهب اليه القوم في امر اللفظ هذا التمكن وهذه القوة ولما كان الروح
بنفوس هذا الروح وتشعب عروقه هذا التشعب مع الذي بان من نباهته
وسقوطه وفضل اخلط فيه وانك لا ترى في اديمه من ان نظرت وكيف صرفت
وقلبت صحيحا لا تراه باطلا ثوب من الحق وريعامه حتى من الفضة والكن رث
النفس بحسا والغلط سرنا وكيف لا يكون في اسار المحنة ومحولا بينه وبين الفكرة
من ايسلم ان الفصاحة لا تكون في افراد الكلمات وانها انما تكون فيها او انضم بعضها
الى بعض ثم لا يعلم ان ذلك يقتضي ان يكون وصفا لها من اجل معانيها لا من اجل انها
ومن حيث هي الفاظ ونطق لسان ذاك لانه ليس من عاقل مع عين قلبه ولا هو يعلم
ضرورة ان المعنى في ضم بعضها الى بعض تعليق بعضها ببعض وجعل بعضها سببا من
بعض لا ان في نطق بعضها في اثر بعض من غير ان يكون فيما يراد تعليق ويعلم كذلك
ضرورة اذ لو كان النطق يكون فيما بين معانيها لانها فيما بينها انفسها لا ترى انا نجهد
كل الجهد ان نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا معنى بحسبهما لم يتصور ومن اجل ذلك استوى
بالكلم فيما بين سوغلف وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم وغير سوغلف وهو ما عدا
ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف ولو كان التعلق يكون بين الالفاظ لكان
ينبغي ان لا تختلف حالها في الائتلاف وان لا يكون في الدنيا كلمتان الا ويصح ان يالفا
لا تراه بينهما من حيث هي الفاظ واذا كان كل واحد منهم قد اعطي بان الفصاحة لا تكون
في الكلم افرادا وانها انما تكون اذا انضم بعضها الى بعض وكان يكون المراد بضم بعضها الى بعض

نابق معانيها بعضها ببعض لا تكون بعضها في النطق على اثر بعض كان واجبا اذا لم
يكن ان يعلم ان الفصاحة وجب لها من اجل معانيها لا من اجل انفسها لانه محال ان يكون
المطلوب بالفصاحة فيها تعلق معانيها بعضها ببعض ثم يكون الفصاحة وصفا وجب
لها لا لنفسها لا لمعانيها واذا كان العلم بهذا امرا مركوزا في طباعهم لا يجهلونه فليس الا ان اعرضوا
على التعليق قد حال بينهم وبين الفكرة وعرض لهم فيه شبيه بما عرض لمن اخذه واعظم ذلك اذا
نظرت وجدت سلطانه من بين خيال التي تحسبه التي وذلك انهم قد اعتادوا
في كل اسم على النسق الذي يروونه في الالفاظ ويعلمون الا يجدون بدا منه ولا تعاودت
في الفصاحة والبلاغة على شيء حتى انهوا الى ان زعموا انه من عدد الذي يعرض سمعه
سماعه ونطق بالفاظه على النسق الذي وضعه الشاعر عليه كان قد اتى بمثل الذي به
الشاعر في فصاحته وبلاغته الا ترى انهم زعموا انه يكون في ابياته به يجيء بالاسد
ونحن اذا تأملنا وجدنا الذي يكون في الالفاظ من تقديم شيء منها على شيء انما يقع
في الجنس الذي هو نسق اذا اعتبرنا ما نوخي من معاني النحو التي معانيها واما يقع تارك
ذاك ولا يقع ولا يتصور بحال اولا ترى انك لو فرضت في قوله فالبك من ذكرى
حبيب ومنزل الا يكون في ذكر جوابا للامر ولا يكون معدى من الى ذكرى ولا يكون
ذكرى مضافة الى حبيب ولا يكون منزل معطوفا بالواو على حبيب لخرج ما نوخي به
من التقديم والتاخير عن ان يكون نسقا ذاك لانه انما يكون تقديم الشيء على الشيء
نسقا وترتيبا اذا كان ذلك التقديم قد كان لموجب اوجب ان يتقدم هذا او يجيء
ذاك فاما ان يكون مع عدم الموجب نسقا فمحال لانه لو كان يكون تقديم اللفظ على
اللفظ من غير ان يكون له موجب نسقا كان ينبغي ان يكون تالي الالفاظ انطق على
اي وجه كان نسقا حتى انك لو قلت نبك قفا حبيب ذكرى لم يكن قد اخرجته عن النسق
والنظم وانما اعددته الوزن فقط وقد تقدم هذا فيما مضى واكثنا اعدناه هنا لان
الذي اخذنا فيه من اسلام القوم الغرض الى التعليل انتهى اعاده الله واعلم ان الاخذ
عند الشعراء واهل العلم بالشعر ونقده وغيره ان يرى الشاعر في معنى له وبيت
اسلوبا والاسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيجيء شاعر اخر فيأخذ ذلك الاسلوب
فيجيء به في شعره فيشبه من يقطع من اديمه نعلا على مثال نعل قد اخترعها صاحبه غير
انه يذكر على مثاله وذلك مثل ان الفرزدق قال

ارجو اخي ان يحي سعارها ... غير وقد اعي سعارها

واصدأه النعيت فقال

اجرجو كليب ان يجي حديثها ... بخير وقد اعيى كليبا قديمها

وقالوا ان العرزدق لما سمع هذا البيت قال

اذا ما قلت قافية شرودا ... تخلصها ان حسان النجاني

ومثل ذلك ان النعيت قال في هذه القصيدة

كليب لئام الناس قد يعلمونه ... وانت اذا عدت كليب لئيمها

وقال الحجري

بنو هاشم في كل شرق ومغرب ... كرام بني الدنيا وانت كريمها

وحكى العسكري في صنعة الشعر ان ابا الرومي قال قال في الحجري قول قول ابي نواس ... ولم ار في ما عيب عيوب ما شهدت لهم ... شهرة سايار الصابر الناسي

ماخوذ من قول ابي خراش

ولم ار من الفي عليه رداءه ... على انه قد سل سن ما جد محض

قال فقلت قد اختلف الناس فقال اما في حد واحد فالكلام حد واحد وهذا الذي كنت سئلت عن الحد وما هو في حد الحد في قول الحجري

ولن ينقل احساد مجدك بعدما ... تحكن رضوى واطمان سالع

وقول ابي تمام

ولقد حسدتم ان تزيلوا عزة ... فاذا البان قد رساه بلعلع

فهذا حد احد هما على قول العرزدق

فادفع بجدك ان اردت بناءنا ... شهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وجملة الامر انهم لا يجعلون الشاعر محدثا الا مما يحلونه به احدا ومسترذلا

قال ذو الرمة

وشعر قد ارقت له غريب ... اجنبه المسامع والمحالا

بنيت ابنيه واقد منه ... قوافي لا اريد بها مثالا

فما لوا بقول لا احد وها على شيء سمعته فاما ان يجعل انشاد الشعر وقراءته احدا فلا يجعلونه كيف واذا احمد عامد ابيت شعر فوضع مكان كل لفظ لفظا في معناه كقول ان يقول في قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فوالله لا اذهب لكسبها ... واجلس فانك انت الآكل الشارب

لم يعلموا انك احتذاء ولم يأمروا صاحبه لان صنيعه محتذا ولكن يصون عند السمع فيما ورد به لونه ويحمون المتعاطي له قدر ان يجوز لنا ان نقول في بيت امرئ القيس انه احتذاء في قوله

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وارد ف اعجازا وناء بكلكل

والعجب من انهم لم ينظروا فيما علموا انه لو كان سفساف الشعر يكون محتذيا لكان يكون قابل شعر كان الذي يحذو والفعل لا يفعل يكون قاطع نعل وهذا تعريض يسطع الناظرة ينبغي ان يقال لمن يزعم ان المنشد اذا انشد شعر امرئ القيس كان قد اتى بمثل ما قاله امرؤ القيس لانه نطق بامثل الالفاظ التي نطق بها ضائم لانه راعى الشق الذي راعاه في النطق فما فان قلت ان ذلك لانه نطق بامثل الالفاظ التي نطق بها احدث لانه انما يصح ان يقال في الثاني انه اتى بمثل ما اتى به الاول اذا كان الاول قد سبق الى شيء فاحدثه ابتداء وذلك في الالفاظ محال او ليس لكن ان يقال انهم لم ينطق لصدر الالفاظ التي هي في قوله فعاتبك من ذكرى حبيب ومنزل مثل امرئ القيس احد وان فلت ان ذلك لانه وجد راعى في نطقه لهذه الالفاظ الشق الذي راعاه امرؤ القيس قيل ان كنت لهذا قصدت في المنشد اذا سئل سمعه فاخبرنا عنك اذا اولت ان الحدي وضع في العرب ان من توفى سماعه على احد فيما يعنى به انهى انه يأتي في الفاظ غير الفاظ العرب بمثل اترتيب والشق الذي رأى في الفاظ العرب فاذا قال ذلك اعني قيل له اعلمت انه لا يكون الانسان بالانسان احرص في اشر بعس على التوالي نسقا وترتيبا حتى يكون الانشاء مختلفة في الصفات ثم يكون الحدي بي به مضمونا نصبها الى بعض عرض فيها ومقصود لهم ذلك العرض وذلك المقصود الاتيان بخبر لما سواه فجعل هذا اولا وذاك ثانيا فان عد ما لا شبهة به على عاقل واذا كان الامر كذلك لزمك ان تبين العرض الذي انشئ ان يكون الفاظ العرب منسوقة النسق الذي تراه ولا مخلص له من هذه المطالبة لانه اذا ادى ان يكون المقتضي والموجب الذي تراه من النسق المعاني وجعله قد وجب لامر رجع الى لفظ لم يجد شيئا يحمل فيه وجوبه عليه البتة الا ان يجعل الاعجاز في نوزن وزعم ان النسق الذي تراه في الفاظ العرب انما كان معجزا من اجل ان كان وجد حدث عنه ضرب من نوزن يعجز الخلق عن ان ياتوا بمثله واذا قال ذلك لم يمكنه ان يقول ان الحدي وضع ان

بانوا مثله فى فصاحته وبلاغته لان الوزن ليس هو من الفصاحة والبلاغة فى شئ
لو كان يكون له مدخل فيما كان يجب فى كل قصيد بين الفصحاء ان يتفقا فى الفصاحة
والبلاغة فان دعا بعض الناس قول الاصمعى سمع من ان الاعجاز فى اللفظ الى ان
جعله فى مخرج الوزن كان قد دخل فى امر شنيع وهو انه يكون قد جعل القرآن سحرا
لان سحر هو كلام ولما به كان الكلام فصل مجمل كلام فليس الوزن ما كان الكلام بقا
ولا به كان كلام خيرا من كلام وحكمة السبيل ان زعم زاعم ان الوصف المعجز هو الخيرات
والسهولة ثم معنى بذلك سلامته من ان يلتقى فيه حروف تثقل على اللسان لانه ليس
بذلك كان الكلام كلاما ولا هو الذى تباهى امره ان عد فى الفضيلة الى ان يكون لا كل
ولا ان يكون العمل عليه فى المعاضلة بين كلام وكلام فما كان الشاعر مفلقا والخطيب
مصقعا والكاتب بليغا وراينا العقلاء حيث ذكروا عجز العرب عن معارضة القرآن
قالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خصهم وهم الشعراء والخطباء والذى يدلون
بفصاحة اللسان والبراعة والبيان وهو القوارح والاذهان والفرن او توا الحكمة
وفصل الخطاب ولم يوهم قالوا انه عليه السلام خصهم وهم انما يعرفون مما ينبغى ان يصح
حتى يسلم الكلام من ان يلتقى فيه حروف تثقل على اللسان وما ذكروا معجزات الانبيا
عليهم السلام وقالوا ان الله تعالى قد جعل معجزة كل نبى مما كان اغلب على الذى بعث فيهم
ومما كانوا يتباهون به وكانت عوامهم تعظم فيه خواصهم قالوا انه لما كان السحر اغلب
على قوم فرعون ولم يكن قد استحكم فى زمان استحكامه فى زمانه جعل تعالى معجزة
موسى عليه السلام فى انقطاعه وتوهينه ولما كان الغالب على زمان عيسى عليه السلام
الطب جعل تعالى معجزته فى ابراء الاكمه والابرص واحيا الموتى ولما انتهوا الى ذكر نبينا
صلى الله عليه وسلم وذكروا ان الغالب على زمانه لم يذكروا الا البلاغة والبيان
والتصرف فى ضروب النظم وقد ذكرت فى الذى تقدم غير ما ذكرته ههنا مما يدل
على سقوط هذا القول وما دعانى الى اعادة ذكر الآية ليس لما ذكر الناس فى حيث
اللفظ والحماسة على الاعتقاد الذى اعتقدوه ومن انفسهم به الى حد فاحببت لذلك
ان لا ادع شيئا مما يتعلق به متعلق ويلجأ اليه لاجئ ويقع منه فى نفس سامع شك لا
استقصيت فى الكشف عن بطلانه وههنا امر عجيب وهو انه معلوم لكل من نظر ان
الالفاظ من حيث هى الفاظ وكلم ونطق لسان لا تختص بواحد دون اخر واعا ما
تختص اذا توخى فيها النظم واذا كان كذلك كان من رفع النظم من البين وجعل الدعاء

محله فى جوابه الحروف وجرا بقضاء حاجة علاله فيما لا صح اساءته الى الله سبحانه وكونه ردا
وبلا بما يدم التوفيق وشدة الضلال عن الطريق فسد لما فى عداوة الناس
من دنايا وعلاج الفساد الذى يعرض فى ارايهم كل مبلغ وانتهينا الى كل غاية واوردنا
بهم من المحاهل التى كانوا يتسعون فيها الى الناس اللاعب وتقلبهم عن الاحن
المقرون الى التسعير الذى يشفى غليل الشارب ولم يدع لناظلم عرفا شجر الاوساءة
ولا للخلاف لسانا ينطق الا اخرساه ولم يترك غطا كان على سرمدى عقل الا حسرا
ما ضا السامع لما طنناه والناظر فيما كتبناه والمتصفح لما وناه ان كنت تسمع سماع
سامع ارغبه فى ان تورد وتصدر عن معرفة وتصفح صفح من اذا مارس راسا
من العلم لم يتسعه الا ان يكون على ذروة السنام ويضرب بالعلى والمرام بمرة
وعدت لسانك وفتح لك الطريق الى نفسك وهى ان الاداة التى تطلع واوسيت
الان التى معها تصل لتحد لنفسك بالتى حى املا ليد يك واعود بالحظ عليك ووارث
من حالك الان وقد نبهت من رقدتك وافقت من غفلتك وصرت تعلم اذا اصت
حصت فى امر اللفظ والنظم معنى ما ذكرو تعلم كيف تورده وتصدره وبيما است
من امره ما فى عميا وحابط حبيط عشوا فصار اكه ان تكرر الفاظا لا تعرف لشئ منها
نصيبا وصور وكلام لبلغا ان سالت عن اغراضهم فيها لم تستطع لها تبينا فانك
تراك بطيل التحير من غفلتك وكثرة الاعتذار الى عقلك من الذى كنت عليه
خوفك وسالت الله تعالى ان يجعل كل ما تاتيه وتقصده وتخصه لوجهه خالصا
وان يرضاه عز وجل مودبا وثوابه معتمنيا والزلفى عنده موجبا عنده وفضله
ورحمته انه على ذلك قدير

بانوا مسلمه فی فصاحته وبلاغته لان الوزن لیس هو من الفصاحة والبلاغة فی شیء اذ
لو کان یکون له مدخل فیما کان یجب فی کل قصیدة بین افعلتن فی الوزن ان تنتفع فی الفصاحة
والبلاغة فان دعا بعض الناس طول الاقصاد سمع من ان الاختصار فی اللفظ الی ان
جعله فی مجرد الوزن کان قد دخل فی امر شنیع وهو انه یکون قد جعل القرآن سجعا
لان حیث هو کلام ولا یمانه کان کلام فصل علی کلام فلیس بالوزن ساکان الکلام بل
ولانه کان کلام خیرا من کلام وهکذا السبیل ان زعم زاعم ان الوصف المعجز هو الجزالة
والسهولة ای یعنی بذلک سلامته من ان یلتقی فیه حروف تثقل علی اللسان لانه لیس
بذلک کان الکلام بلاغة ولا هو الذی یباهی امره ان عد فی الفضیلة الی ان یکون الاکل
والی ان یکون العمل علیه فی المعاضلة بین کلام وکلام فما کان الشاعر مفلقا والخطیب
مصقعا والکاتب بلیغا ورایا العقلاء حیث ذکروا اعجاز العرب عن معارضة القرآن
قالوا ان النبی صلی الله علیه وسلم تحداهم وفیهم الشعراء والخطباء والذی یدلوث
بفصاحة اللسان والبراعة والبیان وفوق القرائح والاذهان والفرن اوتوا الحکمة
وفصل الخطاب ولم یرهم قالوا انه علیه السلام تحداهم وهم العارفون بما ینتهی الیه سمع
حتی یسلم الکلام من ان یلتقی فیه حروف تثقل علی اللسان وبما ذکروا معجزات الانبیاء
علیهم السلام وقالوا ان الله تعالی قد جعل معجزة کل نبی مما کان الغالب علی الذی بعث فیهم
ومما کانوا یتباهون به وکانت عنوانهم تعظم فیه حواسهم قالوا انه لما کان السحر الغالب
علی قوم فرعون ولم یکن قد استحکم فی زمان استحکامه فی زمانه جعل الله تعالی معجزة
موسی علیه السلام فی ابطاله وتوهینه ولما کان الغالب علی زمان عیسی علیه السلام
الطب جعل الله تعالی معجزته فی ابراء الاکمه والابرص واحیاء الموتی ولما انتهوا الی ذکر نبینا
صلی الله علیه وسلم وذکروا ما کان الغالب علی زمانه لم یذکروا الا البلاغة والبیان
والتصرف فی ضروب الظهر وقد ذکرت فی الذی تقدم غیر ما ذکرته ههنا مما یدل
علی سقوط هذا القول وما عاف الی اعادة ذکره الا انه لیس لمالک الناریة حیلة
اللفظ والمحاماة علی الاعتقاد الذی اعتقدوه وحس انتشرهم بعد الی حد فاحببت لذلک
ان لا ادع شیئا مما یتعلق به متعلق وطعنا الیه لاتحیی وبقع منه فی نفس سامع ذلک الا
استقصیت فی الکشف عن بطلانه وهذا امر محبب وهو انه معلوم لکل من نظر فی
الالفاظ من حیث هی الفاظ وکلم ونطق لسان لا یختص بواحد دون اخر وانما
یختص اذا وقعی فیها النظم وانا کان کذلک کان من رفع النظم من البین وجعل ادعاء

محمله فی بهولة الحروف وجرانها حالا علاله فیما لا سبیل الی اقامة البرهان علی بطلانه
دلیلا علی عدم التوفیق وشدة الضلال عن الطریق فقد اتی فی هذا الباب
من هذیانهم وعلاج الفساد الذی عرض فی اذهانهم کل مبلغ واتینا الی کل غایة واحدة
بهم من الجاهل التی کانوا یتسعون فیها الی الناس اللاعب وعقلائهم عن الاحتفال
المطروق الی التمیز الذی یشفی غلیل الناریب ولم یدع لمتعلم عرقا یتبس الا وریاه
ولا للغلاف لسانا یطلق الا اخرسناه ولم نترک غطاء کان علی بصیرة عقل الا کشفناه
فیا ایها السامع لما املیناه والناظر فیما کتبناه والمتسمع لما ناه ان کنت سمعت سماع
صادق الرغبة فی ان تورده وتصدر عن معرفة وتصحح صحیح من اداء ما رسمنا
من العلم لم یقنعه الا ان یکون علی ذروة السنام ویضرب بالعلی عن ارتهام دونه
حدیث لسانک وفتح کل الطریق الی بغیتک وهیاک الاداة التی تصانع واثبت
الالة التی معها تصل الحق لتمسکه بالتی هی املاک یدیک واعود بالحفظ لذلک وارث
بین حاکک الان وقد تبینت من رقدتک واوقدت من عندک وصرت تعلم اذا انت
خضت فی امر اللفظ والنظم معنی ما ذکرته وتعلم کیف تورده وتصدره وبایها انت
من امر بیانی عمیا وحابط خبط عشواء فصار اک ان ذکر العاطا لا تعرف لشیء منها
تسمیا وضرب کلام لدیها ان سالت عن اغراضهم فیها لم تستطع لها تفسیرا فاک
عراک تطویل التعجب من غفلتک وکثرة الاعتذار الی عقلک من الذی کنت علیه
طول مدتک ونسال الله تعالی ان یجعل کل ما اتیناه ونقصده وخصه لوجهه خالصا
والی رضاه عز وجل موصولا ولثوابه مقتضیا والفوائد عنده موجبا بمنه وفضله
ورحمته انه علی ذلک قدیر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

على

اعلم انما كان اللفظ الذي دخل الناس في حديث اللفظ كالقدح الذي يشرب في العرون ويعتمد صراح البدن وجب ان يتوخى واسانهم ما يوحاه الطبيب في اثاثه من تحمده عاقبته في بدنه ويعينه على صحته ويوسعه من التكسي في علته وقد علمنا ان اصل الفساد وسبب الاذية هو ذهابهم عن ان من شان العاف ان تختلف عليها الصور وتحدث فيها خواص وسوايا من بعد ان لا تكون وانك ترى الشاعر قد تحمد الى معنى مبتذل يصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو اعوز في صنعه خاتم وعمل شنف وغير ذلك من اصناف الحلي فان حمله بذلك من شاقاها هو الذي اعوزهم واستهواهم ودعاهم فيما تورطوا فيه من الجرايات واداهم الى التعلق بالمحالات وذلك انهم لما جعلوا لسان الصورة وضعوا انفسهم اساسا وجواعلى قاعدة فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ ولا ثالث وانه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الطرفين فضيلة لا تكون للاخر ثم كان الغرض زاحفا هو الغرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وان لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك ذعوا اودى الى التناقض وان يكون معناها معنا جاوغير معنا جر ولما امر واهذا في انفسهم حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا الفضيلة فيه الى اللفظ على ظاهره وابوا ان ينظروا في الاوصاف التي اسندوها نسبتهم الى اللفظ كشل لو ظهر لفظ متمكن غير قلق ولا تابه موضعه الى سايرما ذكرناه هل يجعلوا انهم لم يوجبوا اللفظ ما اوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان واجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي تحدث فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي وانما الشعر صناعة وضرب من التصوير وانما يعنون اذا قالوه انه ياخذ الحديث فيصنعه ويغرطه ويأخذ المعنى خزف فيرده جوهرة وعباء فيجعله ديباجة ويأخذه عاطلا فيرده حاليا وليس كون هذا مراما حيث كان ينبغي ان تخفى هذه الخطاء وشبه هذا الاشتباه ولكن انا نعاطي التي على اهلها وقول الاشعر غير النصير بفضل الله واشد البلاء ولم يكن من الدليل على انهم لم يجعلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه بنفسه وعلى الجملة الاواحد وهو وضع كلام

الفضيلة م

من المعنى وانه حلي له لكان فيه الكفاية وقد اكد ان الالفاظ ادلة على المعاني وليست الدليل الا ان يعلم الشيء على ما يكون عليه فاما ان يصير الشيء بالدليل على صفة لم يكن عليها فما لا يتوهم في عقل ولا يتصور في وهم وما اذا تفكر فيه العاقل الحاذق بحقيقت من امر الناس ومن شده غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا الاخذ والسرقة ان من اخذ معنى عار بانكساء لفظا من عنده كان احق به وهو كلام مشهور مستدار تجده في اول كتاب عبد الرحمن ثم لا ترى احدا من هؤلاء الذين يجعلون الفضيلة في اللفظ يفكر في ذلك ويقول من اين يتصور ان يكون ههنا معنى عار من لفظ يدل عليه ثم من اين يعقل ان يجيء الواحد سالما معنى من المعاني بلفظ من عنده ان كان المراد باللفظ نطق اللسان ثم هب انه صح له ان يجعل ذلك فمن اين يجب اذا وضع لفظا على معنى ان يصير احق به من صاحبه الذي اخذه منه ان كان هو لم يسع بالمعنى شيا ولا احدث فيه صنعة ولا يكسبه فضيلة واذا كان كذلك فهل يكون لكلام هذا وجه سوى ان يكون اللفظ في تو هم نكساء لفظا من عنده عبارة عن صورة احدثها الشاعر وغير المعنى فان قالوا بلى يكون وهو ان يستعير للمعنى لفظا قيل لهم في انهم قالوا اذا اخذ معنى عار بانكساء لفظا من عنده كان احق به والاستعاره عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيا وترون انه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه واذا كان كذلك فمن اين ليت شعري يكون احق به فاعرفه ثم ان اردت مثالا في ذلك فان من احسن ما سمع ابو تمام في بيت ابي خيله وذلك ان ابا خيله قال في بقلة من عبد الملك

اسلم ابن بان كل خليفة ... وباحيك الدنيا واحد الارض
شكرتك ان الشكر حبل من التقى ... وما كل من اوليته صالحا يقضي
وانهنهت لي ذكري وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر انبه من بعض

فعمد ابو تمام الى هذا البيت الاخير فقال

لقد زدت اوصالي امتدادا ولم اكن ... بعيدا ولا ارضي من الارض مجهلا
ولكن اياد صادفتني حسارسا ... اغر فاودت بي اغر محجلا

وفي كتاب الشعر والشعراء الموازنة فصل في هذا المعنى حسن قال ومن الامثال القديمة قولهم حرا اخاف على اخاف كناه لا قرا يضرب مثلا للذي يخاف من بني عمه منه ونصيبه غير ممانعه فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

«وحدرت من امر فسر بحاجتي ... ثم سكني فعلمت ما لم احذر»

وقال لبيد

«احمي على ارباد الحتوف ولا ... ارهب نوا السماك والاسد»

قال فاخذه النجيري فاحسن وطعن امتدارا على العباد واسباعا للمعنى فقال

«لواتني اوفى التجارب حفها ... فيما ارت لرجوت ملاحشاه»

وشبيه بهذا الفصل فصل اخر من هذا الكتاب ايضا انشد لابراهيم بن المهدي

«يا من اغلب صيغ من محنة ... في جيد من لولو رطب»

«جرحت خده بخطي شا ... رجحت حتى اقتص من قلبي»

ثم قال قال علي بن هرون اخذه احمد بن ابي فنن فغطا وتعمى فقال

«ادميت بالغطات وجنته ... فاقتص ناظره من القلب»

قال ولكنه بتغا عبارته وحسن ماخذه فقد ساوى به وفي هذا دليل لمن تعقل انهم لا يحسنون حسن العبارة مجرده الالفاظ ولكن صورة وصفه وخصوصيته تحدث في المعنى وشبا طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع فانه على كل حال لم يعقل في التجنيس انه احسن وطعن امتدارا على الحروف من اجل حروف لواتني اوفى التجارب حفها وكذلك لم يصف ان اي فنن بتغا العبارة من اجل حروف ادميت بالغطات وجنته واعلم انك سترت احوال هولا الذين زعموا انه اذا كان المعبر عنه واحدا والعبارة اثنتين ثم كانت احدى العبارتين افصح من الاخرى واحسن فانه ينبغي ان يكون السبب في كونها افصح واحسن اللفظ نفسه وحده ثم قد قالوا اذا كنت مرجحا قاسوا الكلامين على الكلامين فقالوا انه اذا قيل في الكلامين ان معناهما واحد لم يكن بينهما تفاوت ولم يكن للمعنى في احدهما حال لا يكون له في الاخرى فاعلموا ان سبيل الكلامين هذا السبيل ولقد غلطوا فاحشا لانه لا يتصور ان يكون صورة المعنى في احد الكلامين او البيتين مثل صورته في الاخر البتة الهم الان بعد عامد الى بيت فيصنع مكان كل لفظة منه لفظة في معناها ولا تعرض لنظمه وتاليفه كمثل ان يقول في بيت الخطيئة ع

«دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي»

«و المفاخر لا تذهب لطلبها ... واجلس فانك انت الاكل اللابس»

وما كان هذا سبيله كان بمعزل عن ان يكون فيه استدراد وان يدخل في قبيل ما تقل

فيه بين عبارتين بل لا يصح ان يجعل ذلك عبارة ثانية ولا ان يحمل الذي يغلطه محل من يوصف بانه اخذ معنى ذلك لانه لا يكون بذلك صانعا شيا يسحق ان يعنى من اجله واضع كلام ومستانف عبارة وقايل شعر اذ كان بيت الخطيئة لم يكن كلاما وشعرا من اجل معاني الالفاظ المفرقة مجرده معراة من معاني العلم والتي بل منها مستوحى فيما ساتري من كون المكارم مفعولا لادع وكون قوله لا ترحل لبغيتها جملة اكدت الجملة قبلها وكون اقعد معطوفا بالواو على مجموع ما مضى وكون جملة انك انت الطاعم الكاسي معطوفة بالفا على اقعد فالذي عمى فلا تعرشيا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا لا يكون قد اتى بكلام ثان وعبارة ثانية بل لا يكون قد قال من عند نفسه شيا البتة وحمله الامرانه كما لا يكون الفضة والذهب حاتما او سوارا او غيرهما من اصناف الحلي بانفسهما ولكن بما احدث فيهما من الصورة كذلك لا يكون الكلم المفرده التي هي اسماء افعال وحروف كلاما وشعرا من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو واحكامه فاذا ليس لمن يتصدي لما وكرنا من ان يجد لي بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها الا ان يشرك عقله وتحد وتجد معه الذي حكيناه قال ابي وقد قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان قال حسان

«يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسالون عن السواد المقبل»

وقلت يغشون حتى ما تهر كلابهم ... ابدا ولا يسالون عن ذا المقبل

فقيل له هو بيت حسان ولكنك قد افسدته واعلم انما اتى العرم من قبله تلزم في الكتب التي وضعها العلما في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد وفي كلامهم في اخذ الشاعر من الشاعر وفي ان يقول الشاعر اراد على الحماة في معنى احد وفي الاشعار التي دونوها في هذا المعنى ولوازم كانوا اخذوا وانهم بالنظر في تلك الكتب وتدبروا ما فيها حق التدبر لكان يكون ذلك قد ابقظهم من غفلتهم وكشف الغطا عن اعينهم وقد اردت ان اكتب جملة من الشعر الذي اتت تركب الشاعرين فيه قد اتى المعنى غفلا ساده جاء وتي الاخر قد اخرجه في صورة قبيحة وشنعة وشنعة وشنعة ان تري كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصورا ابدا القسم الاول الذي يكون المعنى في احد البيتين غفلا في الاخر مصورا مصنوعا فلا يكون ذلك اما الان متاخرا فقد من متقدم واما الان هدي متاخر لشي لم يعتد اليه المتقدم ومثال ذلك قول المتنبي

«بمن اليالي سهدت من طربي ... شوقا الي من يبيت يرقدها»

مع قول البحتري

«ليل يصاد في ومرهوفه الهيفي، صيد بن اسهره لها وسامره»

وقول البحتري

«ولو ملكت زمامها ظل يجذبني، قوداً لكان بذي كفيك من عمل»

مع قول المتنبي

«وقيدت نفسي في ذراك محبة، ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا»

وقول المتنبي

«اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض، ومن فوقها والناس والكرم المحض»

مع قول البحتري

«ظللنا نعود الجود من وعكك الذي، وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد»

وقول المتنبي

«يعطيك سيداً ما أمان المجلة، اعطاك معتذراً لكن قد اجرما»

مع قول ابي تمام

«اخو عزمات تعذله فعل محسن، اليها ولكن عذره عذر مذنب»

وقول المتنبي «كم منى استوهبت مائة راحل، وقد انحت حرب فانك نازل»

مع قول البحتري «ماض على عزمه في الجود لو وهب، الشباب يوم لقا البيض لابتدرا»

وقول المتنبي «والذي نهبه الوغا ساكن القلب، كان النهاد فيها مقام»

مع قول البحتري «لقد كان ذاك الجانب الجانب سالم، على ان ذاك الربع ربع محارب»

وقول ابي تمام «الصبح مشهور بغير دليل، من غير اتعبت ولا اعلام»

مع قول المتنبي «وليس يصح في الافهام شيء، اذا احتاج النهار الى دليل»

وقول ابي تمام «وفي شرف الحديث دليل صدق، لمختبر على شرف القديم»

مع قول المتنبي «انا له نسب لولم يقل بهما، جدي الحسب عرقا العرق الغصن»

وقول البحتري «واحب آفاق البلاد الى الغنى، ارض ينال بها كريم المطلب»

مع قول المتنبي «وكل امرئ يولي الجميل محبب، وكل مكان ينبت العز طيب»

وقول المتنبي «يعز له بالفضل من لا يوده، ويعنى له بالسعد من لا يحبه»

مع قول البحتري «لا ادعي لابي العلاء فضيلة، حتى يسلم لها اليه عداه»

وقول خالد الكاتب «رقدت ولم ترث للساهر، وليل المحب بلا آخر»

مع قول

مع قول بشار «لحنك من كميك في كل ليلة، الى ان ترى ضوء الصباح وساده»

«بعيت نراعي الليل ترجو ارتفاده، وليس لليل العاشقين نفاد»

وقول ابي تمام «نوى بالمشرفين له سراج، اطار قلوب اهل المغربين»

مع قول سلم «لما نزلت على داود دياجيه، الفى اليك الاقاصي بالفرائد»

وقول محمد بن وهيب «افرغ لحاجتنا ما دمت مستعملا، فلو فرغت لكنت الدهر معتذرا»

مع قول ابي العتاهية

«فلا تعتذر بالشغل عنا فانما، تناط بك الآمال ما اتصل الشغل»

وقول البحتري «من عادة منعت ومنع وصلها، فلوانها بذلت لنا لم تبذل»

مع قول ابن الرومي «ومن البلية انني علقت ممنوعا ممنوعا»

وقول ابي تمام «لئن كان ذنبي ان احسن مطلبي اساغني سوغ القضاء العذر»

مع قول البحتري «اذا محاسني التي اودعتها، كانت ذنوباً فقل لي كيف اعتذر»

وقول ابي تمام «قد يقدم العبد مرة رجل الاسد»

مع قول البحتري «فما مجنى العبر قاده تحيره، الى هوة الشدقين تدمى اظافره»

وقول معن بن اوس «اذا انصرفت نفسي عن شيء لئيم الى شيء اليه بوجهه اخر اقبلا»

مع قول العباس بن الاحنف

«نقل الجبال الرواسي من اماكنها، اخف من رد نفس حين تنصرف»

وقول امية بن ابي الصلت

«عطاؤك زين لامرئ ان اصبته، بخير وما كل العطاء يزين»

مع قول ابي تمام

«تدعى عطاياه وفوداً حين تنهض، كانت فجاراً ثم يدعوه موسعا»

«ما زلت منتظراً محجوبة عبثاً، حتى رأيت سؤالا يجتنى ثمرها»

وقول جرير «بعثن الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم اعداهن صيد صدورها»

مع قول ابي نواس

«اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت، له عن عدو في ثياب صديق»

وقول كثير «اذا ما اراد ت خلة ان تزيلها، ابينا وقلنا الحاجبية اول»

مع قول ابي تمام «نقل فؤادك حيث شئت من الهوى، ما الحب الا للحبيب الاول»

وقول المتنبي «وعند من اليوم الوفا لصاحبه، شبيب وادنى من وفى اخوانه»

مع قول ابي تمام ، فلا تحسبا هندا لها الغد وحدها ، شجيت نفس كل غانية هند .
وقول البحتري ، ولم ارض نهد ربق الصريخ بموردا ، فحاولت وردا النيل عن احتفاله .
مع قول المتنبي ، قواصدا كافور توارك غيره ، ومن قصد البحر استقل السواقيا .
وقول المتنبي ، كما نبوا لولد الندي معرسا ، لاصفر غادر ولا هو مر .
مع قول البحتري ، عرفوا في الاصطال يوسف الندي ملتاثهم من حيث يوسف البحر
وقوله ، فلا تعلقن بالسيف كل علاته ، فمعنى فان الكف لا السيف قطع .
مع قول المتنبي ، اذا الهند سوت بين سيفي كراهة ، فسيفك في كف وريل السواديا .
وقول البحتري ، ساموك من حسد فاضل سنهم ، غير الجواد وجاد غير المفضل .
، فبدلت فينا ما بدلت سماحة ، وكرما وبدلت ما لم تبدل .
مع قول ابي تمام
، اري الناس منهاج الندي بعد ما عفت ، مهايعه المثلى ومحت لواجبه .
، فمن كل نجد في البلاد وغائب ، مواهب ليست منه وهي مواهبه .
وقول المتنبي
، بيضا تطع فيما تحت جلتها ، وعزة لك مطلوبا كما طلبا .
مع قول البحتري ، تبدو بعطفة معلم حتى اذا استعل الحلي ثنت بصدغة موسن
وقول المتنبي ، اذكار مثلك ترك اذكاري له .
مع قول ابي تمام ، واذا المجد كان عونا على المرء تقاضيته بترك التقاضي
وقول ابي تمام ، فعبت من شمس اذا حجبت ، بدت من حذر فكانها لم تحجب
مع قول ابن الخطيم
، قضى لها الله حين صورها الخالق ان لا كرتها سدق
وقول المتنبي ، راسيات بانهم رسخها الهدب ، فشق القلوب قبل الجلود .
مع قول كثير ، رمتني بسهم ريشها الهدب لم يصب ، فواهو جلدي وهو في العلك جارح
وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى الى ابيد
، ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ، ليصحني فاذا السلامة داء .
مع قول ابي العتاهية ، اسرع في نقص امري تمامه ، بدر في اثرها اثاثه .
وقول بعضهم ، افلل زيارتك الصديق يكون كالثوب استجده .
وبعده ، ان الصديق ملة ان لا يزال تراك عنده .

مع قول ابي تمام ، وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد ،
وقول الحزمي ، زاد معروفك عندي عظما ، انه عندك محقور صغير ،
، تتناساه كان لم تاته ، وهو عند الناس مشهور كبير
مع قول المسيب ، فظن من فقدك اعتدادهم ، انهم ابصروا وما علموا .
وقول البحتري ، الم تر للواب كيف تسموا ، الى اهل النوافل والفضول .
مع قول المتنبي ، اقاصل الناس اعراض اذا الزمن ،
وقول المتنبي ، تذلل لها واخضع على القرب والنوى ، فلا عاشق من لا يذل ويخضع
مع قول بعض المحدثين ، كن اذا احببت عبد اللذي تهوى مطيعا ،
، لن تنال الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا .
وقول مضرس بن ربعي ، لعمرك اني بالخليل الذي له ، على اذلال واجب لحقه ،
، واني بالمول الذي ليس نافعي ، واضاري ، فقدانه لممنع ،
مع قول المتنبي ، اما تعطف الابار في بان اراك ، فتعطفا سقاي او حسبا بنرب ،
وقول المتنبي ، مطلولة الغدائر في شبيهة غسلا ، مطلولة الربق في شبيهة ظبيا ،
مع قول ، اذا حن شهباك باليد رطانها ، بحساك حظا انت ابهى واجمل
، ونظلم ان فساك بالليث في الوغى لانك احمى للحريم وابسل .

ذكر ما انت تركيبه في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا واستادية على الجملة ، فمن ذلك وهو من الشاذ قول لبيد ،
، واكذب النفس اذا حدثتها ، ان صدق النفس يزري بالامل
مع قول نافع بن لقيط
، واذا صدقت النفس لم يترك لها ، املا وباسل بالذي الكذوب ،
وقول رجل من الخوارج اتى به الحجاج في جماعة من اصحاب قطري فقتلهم ومن عليه لبيد كانت له عنده وعاد الى قطري فقال له قطري عاودت قتال عدو الله الحجاج فاني وقال ،
، اقاتل الحجاج عن سلطانه ، بيد تقربها لها مولاته .

« ماذا الطول اذا وقعت اذاه ، في الصعب واحجب له فعلاته ،

مع قوله ابي تمام ، الا بئس فحر القول من لو هجرته ، اذا المجاني عنه معروفه عندك

وقوله النابغة ، اذا ما غد الجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب

« جوانح قد ايقن ان قبيلة ، اذا ما لقي الجمعان اول غالب

مع قوله ابي نواس ، واذا يحك القناة علمنا ، وترا ابي الموت في صوره ،

« راح في حق معاشه ، احمد بن مي شباط غفره ،

« تتابى الطير غدوته ، ثقه بالشبع من جزر ،

المقصود البيت الاخير وحكى المرزباني قال حدثني عمر الوراق قال رايت ابا نواس ينشد قصيدته التي اولها ، ايها المنتاب عن عمره ، لحسد نه فلما بلغ الى قوله « تتابى الطير غدوته ، ثقه بالشبع من جزر ، قلت له ما تركت للنابغة شيا حيث تقول « اذا ما غد الجيش اليمنين فقال اسكت فلين كان سبق لما سات الاتباع فهذا الكلام من ابي نواس دليل بين في ان المعنى ينقل من سورة الى سورة ذاك لانه لو كان لا يكون ذم صنع بالمعنى شيا كان قوله لما سات الاتباع محالا لانه على كل حال لم يتبعه في اللفظ ان الاسر ظاهر لمن نظر في انه قد نقل المعنى عن سورته التي هو عليها في شعر النابغه الى سورة اخرى وذلك ان ههنا معنيين احدهما اصل وهو علم الطير بان الممدوح اذا غزا غد واكان الظفر له وكان هو الغالب والاخر وهو وقوع وهو طمع الطير في ان يتبع عليها المطاعم من لحوم القتلى وقد جعل النابغه ان الاصل الذي هو علم الطير بان الممدوح يكون الغالب فذكره صريحا وكشف عن وجهه واعتمد في المدح الذي هو طمعها في لحوم القتلى وانما لذلك تحلق فوقه على دلالة التخوي وعكس ابو نواس الغرض فذكر المدح الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحا فقال كما تزجي ثقه بالشبع من جزر وعول في الاصل الذي هو علمها بان الظفر يكون للممدوح حتى في ان قال في جزر وحتى لا يتوهم بان شبعها يكون من جزر الممدوح حتى يعلم ان الظفر يكون له فيكون ثم ظهر من هذا في النقل عن صورة الى صورة ارجع الى الشوق ومن ذلك قول ابي العتاهية ،

« ثم فتحت من المدح ما كان مستغلقا على المداح ،

مع قوله ابي تمام ، تطرت له خرز المدح مواهب ينثرن في عقد اللسان المفحم ،

وقوله ابي دجر ، اباك المجد من هشا وهشا ، وكنت له لجمع السؤل ،

مع قول منصور النمري ، ان المكارم والمعروف اودية ، احلك الله منها حيث تجتمع ،

وقوله بشار ، الشيب كره وكره ان يفارقني ، احب شيء الي العضاريط وده

مع قول البحتري ، تعيب العاذلات علي شيبي ، ومن لي ان امتع بالمعيب ،

وقوله ابي تمام ، يشاقه من كاله عنده ، وبكثر الوجد نحوه الامس ،

مع قوله ابن الرومي ، امام يظل الامس يعمل نحوه ، بلذت ملهوف ويشاقه الغد ،

لا تظر الى انه قال ويشاقه الغد فاعاد لفظ ابي تمام ولكن انظر الى قوله يعمل نحوه بلذت ملهوف وقوله ابي تمام

« لين ذمت الاعداء سوء صنايعها ، فليس يودي شكرها الذب والنشر ،

مع قوله المتنبي

« وانبت منهم ربع السباع ، فاشت باحسانك الشامل ،

وقوله ابي تمام ، ورب ثناء المعالي روحه ابدا ، لصيق روحي ودان ليس بالدان ،

مع قوله المتنبي ، لنا ولاهله ابدا قلوب ، بلاق في جسوم ما بلاقي ،

وقوله ابي تمام ، اصبح الدهر مستهاما كله ، ماله الا ابن يحيى جيشه ،

مع قوله المتنبي ، ازالت بك الايام عني كانما ، سوها فاذنب وانتصاحا فاعذر ،

وقوله على رجله ، وارى الليالي ما طوت من سؤتي ، ودنه في عظمي وفي اتراقي ،

مع قوله ابن المعتز ، وما ينقص من شباب الرجال ، برد في فمها والماء ،

وقوله بكر بن النطاح ، ولو لم يكن في كفه غير روحه ، لجاد بها فليتق الله سائله ،

مع قوله المتنبي ، انكد من عشر اذا وهبوا ، ما دون اعمارهم فقد بخلوا ،

وقوله البحتري ، ومن لها بلوم الحران بات زاحرا ، يعيض وسوب المزن ان راح يعطل ،

مع قوله المتنبي ، وما انشاك كلام الناس عن كرم ، ومن يسد طريق العارض الهطل ،

وقوله الكندي ، عز وا وعز بعزهم من جاورهم ، فهم الذرى وهمام الهامات ،

« ان يطلبوا ترات ما نالوها ، او يطلبوا الا يتركوا ترات ،

مع قوله المتنبي ، تعيت الليالي كل حي احذنه ، وهن لما ياخذن منكم غوارم ،

وقوله ابي تمام ، اذا سبعة اخنى على المجد حاكما ، غدا العفو منه وهو في السبعة الحاكم ،

مع قوله المتنبي ، له من كرم الطبع في الحرب منتض ، ومن عادة الاحسان في الصفح عادة ،

فانظر الان نظر من تفي الغفلة عن نفسه فانك ترى عيانا ان المعنى في كل واحد

من البيتين من جميع ذلك سورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر وان العلماء يريد واحد قالوا ان المعنى في هذا هو المعنى في ذاك ان الذي عقل من هذا لا يخالف الذي يعقل من ذلك وان المعنى عائد عليك في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الاول وان لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه وان حكم البيتين متلاحكم الاسمين ترد ومعناهما في اللغة شيء واحد كالليث والاسد وكما قالوا على حسب ما يقول العقلاء في الشيئين جمعهما جنس واحد ثم يفترقان بخواص ومزايا وصفات كالحمام والحمائم والسيف والسفف والسوار والسوار وسائر ما اشبه الحلي التي يجمعها جنس واحد ثم يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل وهذا الذي ينظر في بيت الخارجي وبيت ابي تمام فلا يعلم ان صورة المعنى في ذاك غير صورته في هذا كيف والخارجي يقول واحجبت له فعلانه وابو تمام اذا احماك عنه بعروته عبدي ومتى كان احجم ومجاوا حدا في المعنى وكذلك الحكم في جميع ما ذكرناه فليس يتصور في نفس عاقل ان يكون قول البحتري

واحب افاق البلاد الى الفتى ... ارض ينال لها اكرم المطلب

وقول المتنبي

وكل مكان ينبت العز طيب ... وكل سحاب ممطر ... الصورة انما هو تمثيل وقياس لما علمه بعقولنا على الذي نراه بابصارنا فلما رأينا البينونة بين احاد الاجناس يكون من جهة الصورة فكان بين انسان من انسان وفرس من فرس بخصوصية يكون في صورة هذا لا يكون في صورة ذاك وكذلك كان الامر في الصنوعات فكان بين حائم من حائم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بابر المعنى في احد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بان قلنا المعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتداناه فمنكر مكابر هو مستعمل مشهور في كلام العلماء وكيف يقول الحاظ وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير واعلم انه لو كان المعنى في احد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان الناقد من الشاعرين يحتذي به حذاء على وجهه لم يحدث فيه شيئا ولم يغيره عن صفته لكان قول العلماني بناء انه اخذ المعنى من صاحبه فاحسن واجاد وفي آخر انه اساء وصار لعوا من القول من حيث كان محالا ان يحسن او يسيء في شيء لا يصنع به شيء وكذلك كان يكون حكم العلم البيت نظير البيت ومناسباه خطأ منهم لانه

محال ان يناسب الشيء نفسه وان يكون نظيرا لشبيهه وامر ثالث وهو انهم يقولون في واحد انه اخذ المعنى فظهر اخذه وفي آخر انه اخذه فاخفاه ولو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته وكان الاخذ اه من صاحبه لا يصح شيء غير ان يبدل لفظا مكان لفظ لكان الاخفى فيه محالا لان اللفظ لا يحمي المعنى وانما يحفيه اخراجه في صورة غير التي كان عليها سالفة ذلك ان العاضي اذا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعاني بيت ابو نواس، حليت والحسن اخذه، بمتى منه وشغف، وبيت عبد الله بن مصعب

كانك حيث محتكما عليهم ... مخير في الابوة ماتشاء

وذكر انهما معا من بيت بشار

خلقت على ما في غير مخبره ... هواي ولو خيرت كنت المهرة ناء

والامر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر ثم انه ذكر ان ابا تمام ساواه فاخفاه وقال فلو صورت نفسك لم ترد ها على ما فيك من كرم الطباع ومن العجب في ذاك ما راه اذا تاملت قول ابي العتاهية

حبري التحمل على ساحته ... عني بحسنه على ظهري

اعلى واكرم عن يديه يدي ... فعلت نزه قدره قدري

ورزقت من جدواه عافيه ... ان لا تضيق شكره صدري

وغنيت خلواس تفضله ... احنو عليه باحسن العذر

ما فاتني خير امري وضعت ... عني يداه مؤنة الشكر

ثم نظر الى قول الذي يقول

اعتقني سوء ما سمعت من الرق فبارد عاد على كبدي

فصرت عبد الشوق بك ... وما احسن سوء قبلي الى احد

ومما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما سمعه الحاظ يقول نفيب

ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

حين نثره فقال وكتب به الي عبد الذكر من الريات نحن اعزك الله نخبر بالبيان وتموه بالقول والناس ينظرون الى الحال ويعتمدون بالظاهر وانى امر الا سوا ينطق اذا سكتنا فان الدعي من غير بينة متعرض للتكذيب ع

وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله واذ لا بد من الوجه الذي يرى

ان القصائد قد عملن بانسي ، صنع اللسان لسر لا ينحل ،
واذا ابتدات عروس نسج ربيع جعلت بذل ارديه وتسهل
حتى تطاوعني ولو برياسرنا ، غيري تحاول صعبة لا تقبل
ثم ينقبل . اذا مت من ذكر القوافي فلن ترى ، لها قائلا الا عدي اطب واشعرا .
واكثر بيتا سار ضرب له ، حرون جياد الشعر حتى تيسرا .
اعمر عربيا يمسح الناس وجهه ، كما مسح الاديم الاغر المشهرا .
عدي بن الرقاع ، نظر المتعرف في كعوب قناته ، حتى يدم ثقافه منادها ،
كعب بن زهير ، فمن القوافي شاطنا من نحوها ، اذا ما توى كعب وفوز جرول .
يقومها حتى تلين متونها ، ويقصر عنها كل ما تتمثل .
لبشار ، عميت جنينا والذكاء من العمى ، فجئت عجيب الظن للعلم موئلا ،
وعاص منيا العين للعلم رافدا ، يقلب اذا ما ضيع الناس حصلا ،
وشعر كنور الروض لامت جنيه ، تقول اذا ما انزن الشعر انهلا .
ولمسلم بن الوليد وعليه الغصه ، يعرف من شعره ومن خطبه ،
لله ما راح في جوانحه ، من لولو لا يسام من طلبه ،
يخرج من فيه للبدي كما ، يخرج صوب السواج من لهبه ،
لابي تمام الطائي . فان اهلك فقد ابقيت بعدي ، قوافي تجتلى العذارى فتلثما ،
تذيعك المقاطع محكمات ، لوان الشعر يلبس لاستتارا .
للعجاج الرجز . بلغن الشمس حيث تكون شرقا ، ومسقط فرقها من حيث غابا ،
بكل بلنه وبكل بعد ، عرافرس جنب انتسابا .
لابن مسادة المخزومي . ان مسادة فحل الكلام وبحره ، فاسبح فيه ذو الروية يسبح ،
وما الشعر الا نفس وخندف ، وشعر سوائم كلها يتمثل .
وقال عمال من هاشم العتبي يرد عليه
الا ابلغ الرماح بعض مقالة ، بها عطل الرماح او كان يمرح ،
لقد خرق الحمى الما ون قبلهم ، بحور الكلام تستقي وهي طفح ،
وهم علموا من بعدهم فتعلموا ، وهم اخرجوا هذا الكلام وروحوا ،
فللسابقين الفضل لا نجحدونه ، وليس لمسبوق عليهم تسبح .
لابي تمام . كسفت قناع الشمس عن خرد سعه ، وطبرته عن وكر وهو واقع .

تعير براها من براها بسمعه ، ويبدو النهاد والحجى وهو ساسع .
يود وداد ان اعضاءه ، اذا اشتدت سوقا الرماح سامع .
وله احد املاكل اذن حكيمة ، وبلاغة وبد رجل ورميد ،
كالبدر والمرجان الفاظه ، بالسندي في عنق الفتاة الرود ،
كشقيقة الورد المنمنم وسطه ، في ارض مهرة او بلاد سريد ،
يعطى بها البشري الكوم وحتى برد ابها في المحفل المشهود ،
بشري الغنى في البيات تباعت ، بشراوه بالفارس المولود ،
وله حايك من نظم اللسان فلادة ، سمطان فيها اللولو المكنون ،
احد المحاسنع الضمير ممده ، جعزاة الصعب الكلام معين .
اخذ لفظ الصنع من قوله ابي حنيه ، يا بني صنع اللسان وتعلم ان الضمير وقد جعل حسان ايضا اللسان مستعاوذ لك في قوله
احدي لهم مدحا فلب موازره ، فيما احب لسان حايك صنع .
ولابي تمام ايك ارحنا عارب الشعر انجدا ، تهيل في روض المعاني السحايب ،
عنايب لاكت في سمايك انهلا ، من المجد فيها الان عين عرايب ،
ولو كان يغني الشعر اضاء ما فزت ، حياضك منه في السنين الذواهب ،
ولكنه صوب العقول اذا انجلت ، سحايب منه اعقبت بسحايب .
للحنوني . البست المولى فيك نظم قصايد ، هي النجم اضاءت مع الليل انجما ،
شاكان الروض منه منثورا ، محى وكان الوشي فيه مسرهما .
وله احسن الناس بالشعر اذ جعلت ، عليك انجمه بالمدح تستتر ،
فقد اسكت القوافي عنك قايدة ، كما يفتح عنك الوابل الزهر .
وله ايك القوافي بارعات فوامد ، يسير مناحي وشرها ويمنعم ،
وسترفه في النظم عنها بريها ، لها وحسنا اضافك تنظم .
وله ، ممنوعة نفس الدنايير تعتلي ، لها الفظ مختارا كما ينتقي التبر ،
وله ابيذهب هذا الدهر لم يرضني ، ولم يد رماعودا رحلي ولا عودي ،
وبكسد مثلي وهو تاجر سودد ، يبيع مكرمات المكارم والمجد ،
سوا مر شعر جامع بدد العلى ، تعلق من قبلي والذين من بعد ،
يقدر فيها صانع متعمل ، لاحكامها تقدير داود في السرد ،

وله

اله يسهر في مدحك ليله ، متململ الاوتاد دون قوافيه ،
يقظان تخجل الكلام كانه ، حيش لديه يريد ان يلقى به ،
فاتى به كالسيف رونق يقتل ما بين قائم فحته وذبابه ،

ومن نادر وصفه للبلاغة قوله

في نظام من البلاغة ما شك امرانه نظام فريد ،
وبديع كانه الزهر الضاحك في رونق الربع الجديد ،
مستوق في جوانب السمع ما ، يجلوه عوده على المستعيد ،
محج تحرس الالد فما لفاظ فرادى كالجوهر المعدود ،
ومعان لو فصلتها القوافي ، صحبت شعر جرول ولبيد ،
حبرن مستعمل الكلام اختيارا ، وتحسن لطائه التعقيد ،
وتركيب اللفظ الغريب فما دركن به غاية المراد البعيد ،
كالغداري غدون في الحلل الصفر اذا رحن في الخطوط السود ،

الغرض من كتب هذه الابيات الاستظهار بحق ان حمل حامل نفسه على الغير بالتقحم على ما يصير فرعم ان الاعجاز في نداة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على اللسان علم بالمنظر فيها فساد ظنه وقبح غلطه من حيث يرى عيانا ان ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه على بال ولا صفاتهم صفات تسلح له على حال اذ لا يخفى على عاقل ان لم يكن ضرب تميم يحرون حبال الشعر لان تسلم الفاظه من حروف تثقل على اللسان ولا كان تقديم طلبي لشعره وتشبيبه نظر فيه بنظر المشغف في كعوب القناة كذلك وانه محال ان يكون له جعل مثار نور العين قد غاص فصار الى قلبه وان يكون اللولو الذي كان لاتيام عن طلبه وان ليس هو صوب العقول الذي اذا انجلت سحاب سنه اعقبت سحايب وان ليس هو الدر والمرجان ولا بالشذر في العقد ولا الذي لو كان الجوزي معتذرا معتذيرداوده في السرد كيف وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر وليس الفكر الطريق الى صيغ ما يثقل على اللسان كلا لانه يثقل انما الطريق الى ذلك الحس ولولا ان البلاء قد عظمت فيه الراي الفاسد وان الذي قد استهلكوا منه قد صار واسن رغط سفعهم به يصعقون ان كل من يسمعونه حتى لو ان انسانا قد قال يا فلان اخبار بحضير انه يريد نصرخ مذعورين لاعتلوا عليه بالوجوم والغوا اسماعهم اليه لكان الطراحة

وترك الاشتغال به اصوب لانه قول لا يتصل منه جانب بالصواب البتة وأكل لانه اولى بودي لي ان يكون القرآن معجزا الاعما به كان قرآنا او كلام الله عز وجل لانه على كل حال انما هو قولنا او كلام الله عز وجل بالنظم الذي هو عليه ومعلوم ان ليس لنظم من هذه الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان في شيء ثم انه لا يخفى من العقلاء ان الوصف الذي به تناهى القرآن لا يجد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما رابتاعا فلا جعل الكلام فصيحا او بليغا بان لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان لانه لو كان يصح ذلك لكان يجب ان يكون السوقي الساقط من الكلام والسفساف الردي من الشعر فصيحا اذا خفت حروفه واعجب من هذا انه يلزم منه ان لو جعل قائمة الراء من حركات الاعراب فصل بكان كل ضمة وكسرة فتحة فقال الحمد لله بفتح الدال واللام والهاء وجر على هذا في القرآن كله ان لا يسلبه ذلك الوصف الذي هو معجز به بل كان ينبغي ان يزيد فيه لان الفتحة كما لا يخفى اخف من كل واحدة من الضمة والكسرة فان قال قائل ان ذلك يحيل المعنى قيل له اذا كان المعنى والعلة في كونه معجزا خفة اللفظ وسهولته فينبغي ان يكون مع احالة المعنى معجزا لانه اذا كان معجزا لوصف يجنس لفظه دون معناه كان محالا ان يخرج عن كونه معجزا مع قيام ذلك الوصف فيه ودع هذا وهب انه لا يلزم من سلبه فانه يكفي في الدلالة على سقوطه وقله تميزه القائل به انه يقتضي اسقاط الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز والاتجاز حملة والمراح جميعها واسامع اعضا الاقطاب التي تدور البلاغة عليها والاعضاد التي تستند الفصاحة الرياه والطلبة التي بها ازعر سا المحسنون والغاية التي يجري اليها المجرون والرهان التي يحرب منها الجياد والنضال الذي تعرف فضا الايدي الشداد وهي التي نوه بذكرها البلغا ورفع من اقدارها العلما وستفوا منها الكتب وكلوا فضا المصنفون وسرعوا اليها الخواطر حتى صار الكلام منها نوعا من العلوم مفردا وصناعة على حدة ولم يتغاط احد من الناس القول في الاعجاز الا ذكرها وجعلها العمد والاركان منها يوجب الفضل والمزية وخصوصا الاستعارة والاتجاز فانك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون واول ما يوردون وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل وقوله عز اسمه واية ام الليل سلخ منه النهار وقوله فاصدع بما تومر وقوله فما استاسوا منه خلصوا نجيا وقوله حتى

يسمع العرب اوراقها وقوله فما ربحت تجارتهم ومن الايجاز قوله عز وجل واذا
تمالئن من خوفه جاءه اليم على سوا وقوله عز وعلا ولا ينبئك مثل خبير
وقوله فشردوا بهم من خلفهم وسرائهم على لسان واحد في ان الحذف والايجاز من
الاركان في امر الاعجاز واذا كان الامر كذلك عند كافة العقلا الذين يكملون في
المزايا التي للقرآن فينبغي ان ينظر في امر الذي يسلم نفسه الى الغرور ويزعم ان
الوصف الذي له كان القرآن معجزا هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان
ايصح له القول بذلك الامن بعد ان يدعي الغلط على العقلا قاطبة وما قالوه
والخطا فيما اجمعوا عليه واذا نظرنا وجدناه لا يصح له ذلك الا بان يعتبر هذه الجملة
اللهم الا ان يخرج الى التحكم فيزعم مثلا ان من شان الاستعارة والايجاز اذا
دخل الكلام ان تحدث بهما في حروف فيه خفة وتجد دونها سهولة وتسالم
العصمة والتوفيق واعلم انا لا نابى ان يكون مذاق الحروف وسلامتها مما
يثقل على اللسان واخلاقها موجب الفضيلة وان يكون مما يوكد امر الايجاز
وانما الذي ننكره ونستهيل راي من يذهب اليه ان يجعله معجزا به وحده ويجعله
الاصل والعمدة فيخرج الى ما ذكرنا من الشناعات ثم ان العجب كل العجب من يجعل
كل الفضل في شي هو اذا انفرد لم يجب به فضل البتة ولم يدخل في اعتداد عاقل
وذلك انه لا يخفى على عاقل انه لا يكون سهولة الالفاظ وسلامتها مما يثقل على
اللسان اعتدادا حتى يكون قد الف منها كلاما ثم كان ذلك الكلام مخصصا في نظمه
والغرض الذي اريد به وانه لو عمد عامد الى الفاظ يجمعها من عجمات براي فيها
معنى ويولف منها كلاما ثم رعاها لا يعتد السهولة فيها فضلا لان الالفاظ لا تراد
لانفسها وانما تراد لتجعل ادلة على المعاني فاذا اعتد منك الذي له تراد واختل امرها
فيه لم يعتد بالاوصاف التي تكون في نفسها عليها وكان السهولة وغيرها سهولة فيها
واجدا ومن ههنا رايت العلما يذمون من يحمله من اجلهما وعلى ان الفصاحة
الاستعارة بسببهما وتركب الوعورة وبسلك المسالك المجهولة كالذي صنع ابو
تمام في مثل قوله

«سيف الامام الذي حمته هيبته ، لما تحرم اهل الارض محترما»

«فرت بعزان عين الدهر واقترت ، بالاشقرين عبون الشرك اسئلما»

وقوله «ذهبت بمذهبه السماحة والنوى ، فيه الظنون اذهب ام مذهب

يسمعه المتكلمون في الاجماع وذلك انه لا يتصور ان يجب بما من حيث هما فصل وسع بما
مع الملوس المعدا عتداد واذا تطرقت الى الجنس اي تمام اذهبا مم مذهب فاستحسنه
والى تخصيص القائل حتى يجانس جوفه وما جانسها . وقوله الحوشي « ناظراه فيما جفي اظراءه »
اوده عاوست مما لوده عاف ، فاستحسنته لم تشك محالا ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ
ولكن لانك رايت القاعدة قد شعفت في الاول وتوجب في الثاني وهذا بك انك رايت الامام
لم يزدك عند ذهب ام مذهب على ان سمعك حروفا سكررة لا تجد لها فايدة ان وجدت
الاستكثاره محصله ورايت الاخرى قد اعاد عليك اللفظة كانك تجد عنك عن القايدة
وقد اعطاها وبوهمك انه لم يحسنك وقد احسن الزيادة وراها واعادها لفرده النكتة
كان التجنيس وخصوصا المستوفي منه مثل عجا وجانس على الشعر والقول فيما جانس
ولاجنس من التجنيس والصحيح بطول ولم يكن عرضنا من ذكرنا ما شرح امره بما وكد
توكيد ما انتهى منا القول اليه من استحاله ان يكون الايجاز في مجرد السهولة وسلامة
الالفاظ مما يثقل على اللسان وحملة الامر انا نابى في الدنيا عاقلا ان اطرح النظر
والمحاسن التي هو السبب فيها من الاستعارة والكناية والفصل والوصل وضروب المجاز
والايجاز وسدبوجهه عن جميعها وجعل الفضل كله والمزية اجمعها في سلامة المفردة
مما يثقل كيف وهو يودي الى المحال والخروج من العقل كما بينا واعلم انه قد آن
لنا ان نعود الى ما هو الامر الاعظم والغرض الاتم والذي كانه هو الطلبة وكل ما عداه
ذرايع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتسلق عليه وهو سان الدلايل التي قلنا
وجب ان تكون لنظم سزية على نظم وان يعظم امر التفاضل فيه وينتهي الى الغاية
البعيدة ونحن نساله تعالى العون على ذلك والتوفيق له والمعاونة الدفع .

بسم الله الرحمن الرحيم . ما الطف بك ايها القاري لكتابنا ان كنت ومنه جعله
من النظر وتدبره حتى الدبر الا انك قد علمت علما اني ان يكون لشك فيك نصيب
والتوقف محوك مذهب ان لبيب النظر شاهد بوضي معاني النحو واحكامه ووجوهه
وفروقه بما بين معاني الكلم وانك قد تبينت انه اذا ارفع معاني النحو واحكامه مما
بين الكلم حتى لا يراد فيها في جملة ولا تفصيلا خرجت الكلم المنظوم بعضها في اثر بعض
في البيت من الشعر والفصل من النثر عن ان يكون لكونها على واضعها التي وضعت فيها
موجب ومقتضى وعن ان يتصور ان يقال في كلمة منها ان حسن تصورك اذ ذاك

قد ثبت به ذلك ولا من الذي كنت عليه
وان يحرك الالف والاعتياد اليه وانك جعلت ما ملئنا نفسك في صدرك وانبته في
سويدا قلبك وصادفت بينه وبين نفسك فان كان الامر كما ظننا رجونا ان يصادف
الذي تريد ان تستانعه بعون الله تعالى بمنك بتيه حسنه تفيك الملل ورغبة
صادقة تدفع عنك الساءر وارجيه محف معها تعب الفكر وكما النظر والله تعالى
ولي توفيقنا وتوفيقك بمنه وكرمه ع ونبدأ فنقول اذا ثبت ان لا شك ولا
مرية في ان ليس النظر شيأ غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من
ذلك ان طالب دليل الاعجاز من نظم القرآن اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه
ووجوهه وفروقه ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه ومكانه وانه لا ينبغي
لمسواها وان لا وجه لطلبه فيما عداها عاد نفسه بالكاذب الطمع وسلمها الى
الخدع وانه ان ابى ان يكون فيها كان قد ابى ان يكون القرآن معجزا بنظمه ولزمه ان يثبت
شيأ اخر يكون معجزا به او طمن باصحاب الصرفة فيدفع الاعجاز من اصله وهذا امر
لا يدفعه الا من قد بعد الرجوع عن باطل قد اعتقد معجزا واثبات عليه من
بعد لزوم الحجة حلدا ومن وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعد نفسا من التوفيق
وشال الله العصمة والتوفيق وهذه اصول تحتاج الى معرفتها قبل الذي نحن
له اعلم ان معاني الكلم كلها معان لا تتصور الا بما بين شيئين والاصل الاول هو
الخبر واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع ومن الثابت في المعقول
والقائم في النفوس انه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه لانه ينقسم الى اثبات
ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه فلو
حاولت ان يتصور اثبات معنى او نفيه من دون ان يكون هناك مثبت او منفيا
عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم ومن اجل ذلك استحال ان يكون لك
تفعل او فعل من غير ان تريد اسناده الى شيء وكنت اذا قلت ضرب لم تستطع ان تجد
في نفسك معنى ان تريد اسناده الى شيء مظهر او مقدر وكان لفظك به
اذا اتيت به ذلك وصوتا تصوته سواء ان ارفت ان تستحكم بمعرفة ذلك في نفسك
فانظر اليك اذا قيل لك ما فعل زيد فقلت خرج هل يتصور ان يقع في خلدك ان
خرج معنى من دون ان تنوي فيه ضمير زيد وهل يكون ان انت نطقت لك لم تسوك
الا محرجا نفسك الى الهذيان وكذلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح هل

يكون لقولك صالح اثر في نفسك من دون ان تريد هو صالح ام هل يعقل السامع
من شيأ ان هو لم يعتقد ذلك فانه لا يبقى معه لعاقل شك ان الخبر معنى لا يتصور
الا بين شيئين يكون احدهما مثبتا والاخر مثبتا له او يكون احدهما منفيا والاخر
منفيا عنه وانه لا يتصور مثبت من دون مثبت له ومنفي من دون منفي عنه ولما
كان الامر كذلك اوجب ذلك الا يعمل الاسم مجموع جملة فعل او اسم كقولنا خرج زيد
او اسم واسم كقولنا زيد منطلق فليس في الدنيا خبر يعرفه من غير هذا السبيل
وبعرفه هذا الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة وحكم يجري عليه الامر
في كل لسان ولغة واذ قد عرفت انه لا يتصور الخبر الا فيما بين شيئين مخبر به ومخبر
عنه ينبغي ان تعلم انه يحتاج من بعد هذين الى ثالث وذلك انه كما لا يتصور ان يكون
ههنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه كذلك لا يتصور ان يكون خبر حتى يكون له
مخبر بعيد عنه ويحصل من جملته ويكون له نسبة اليه وتعود السعة فيه عليه فيكون
هو الموصوف بالصدق ان كان صدقا وبالكذب ان كان كذبا الا ترى انه لا يكون من
المعلوم انه لا يكون اثبات ونفي حتى يكون مثبت ونافٍ يكون مصدر به مما من جملته
ويكون هو المرجع اليه والملزم والناقض بهما ويكون بهما موافقا ومخالفا ومصيبا ومخطيا
ومحسنا ومسيأ وجملة الامر ان الخبر وجميع معاني الكلام معان يبتثيها الانسان
في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله ونوسع بالها مقاصد
واغراض واعظمها شأنا الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ويقع فيه الصناعات
العجيبة وفيه يكون في الامر الاعم المزايا التي لها يقع التفاضل في الفصاحة كما ترجمنا
بما تقدم ونترجمه فيما نقوله من بعد ان شاء الله واعلم ان لك اذا مشيت الى
اللفظ مجردا في نفوسهم وجدتهم قد توهموا في الخبر انه صفة للفظ وان المعنى في كونه اثباتا
انه لفظ يدل على وجود المعنى من الشيء او نفيه وفي كونه نفيا انه لفظ يدل على عدمه
وانتفائه عن الشيء وهو شيء قد لزمهم وسرى في عروقهم واستروح بطيا بوهم حتى صار
الظن بالمحال ان القول لا يصح منهم والدليل يحيل بطلان ما اعتقدوه انه محال ان يكون
اللفظ قد نصب دليلا على شيء ثم لا يحصل منه العلم بذلك الشيء او لا معنى لكون الشيء
دليلا الا افادته اياك العلم بما هو دليل عليه واذا كان هذا كذلك علم منه ان ليس
الامر على ما قالوه من ان المعنى في وصفنا اللفظ بانه خبر قد وضع لان يدل على
وجود المعنى او عدمه لانه لو كان كذلك لكان ينبغي ان لا يقع من سامع شك في خبر

وان لا تسمع الرجل يثبت وينفي الا علمت وجود ما اثبت ونفي ما نفى وذلك ما لا يشك
في بطلانه واذا لم يكن ذلك مما يشك في بطلانه وجب ان يعلم ان مدلول اللفظ ليس هو
وجود المعنى او عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى او عدمه وان ذلك اي الحكم بوجود
المعنى من النفي او عدمه حقيقة الخبر لانه اذا كان بوجود المعنى من النفي لو فرضنا سمي
اثباتا واذا كان بعدم المعنى وانتفائه عن الشيء سمي نفيا ومن الدليل على فساد ما رسموا
انه لو كان معنى الاثبات الدلالة على وجود المعنى واعلام السامع وكان معنى النفي
الدلالة على عدمه واعلام السامع ايضا لكان ينبغي اذا قال واحد زيد عالم وقال
اخر زيد ليس عالم ان يكون قد دل هذا على وجود المعنى وهذا على عدمه واذا قال
الموحد العالم محدث وقال الملحد قديم ان يكون قد دل الموحد على حدوثه والملحد
على قدمه وذلك ما لا يقوله عاقل ع ، تصور بزيد ذلك بعبارة اخرى لا يتصور
ان تستقر المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة الى دليل يدل عليها وايد على اللفظ كيف
وقد اجمع العقلاء على ان العلم يدرك بمعاصد الناس في محاوراتهم على ضرورة ومن ذهب
منهم ينتفي ان لا يكون الخبر معنى في نفس المتكلم ولكن يكون وصفا للفظ من اجل
دلالته على وجود المعنى من النفي او فيه او اثباتا وجوده عنه كان قد تقرر الاصل الذي
قدمناه من حيث يكون قد جعل المعنى المدلول عليه باللفظ لا يعرف الا بدليل
سوى اللفظ فاك لانا لا نعرف وجود المعنى المثبت او اثباتا المنفي باللفظ ولكنا نعلمه
بدليل يقوم لنا وايد على اللفظ وما من عاقل الا وهو يعلم بديهة النظر ان العلوم
بخبر اللفظ لا يكون مدلول اللفظ طريقه اخر كي الدلالة على النفي هي لا محالة
اعلامك للسامع اياه وليس بدليل ما انت لا تعلم به مدلولا عليه واذا كان كذلك وكان
مما نعلم بديهة العقول ان الناس انما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم
ومقصوده فينبغي ان ينظر الى مقصود المخبر من خبره ما هو اهو ان يعلم السامع
المخبر به والمخبر عنه ام ان يعلمه اثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه فان قيل ان المقصود
اعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه قيل اذا قال ضرب زيد كان مقصوده ان
يعلم السامع وجود الضرب من زيد وليس الاثبات الا اعلامه السامع وجود المعنى
قيل له فالكاذب اذا اثبت مع الله تعالى ما يعلم الظالمون علوا كبيرا الها اخر يكون
قاصدا ان يعلم غيره بانه ان يكون مع الله جل وتعالى الها اخر وكفى بهذا فضيحة
وجملة الامر انه ينبغي ان يقال لم تكون في انه لا بد من ان يكون لخبر المخبر معنى

له السامع على لا يكون معه شك ويكون ذلك معنى اللفظ وحقيقته فاذا قالوا
لا شك قيل لهم فما ذلك المعنى فان قالوا هو وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او منه
اذا كان الخبر اثباتا قالوا استفاده اذا كان نفيا لم يكنهم ان يقولوا ذلك لان من بعد
سمعوا انهم اذا سمعوا الرجل يقول خرج زيد علموا على لا شك سمعه وجود الخروج
من زيد وكيف يدعوا ذلك وهو يقتضي ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا وان
لا يجوز فيه ان يقع على خلاف المخبر عنه وان يكون العقلاء قد غلطوا حين جعلوا
من خاص وصفه ان يحتمل الصدق والكذب وان يكون الذي قالوه في اخبار الاحاد
واخبار التواتر ان العلم يقع بالتواتر دون الاحاد سهو منهم ويقتضي الغنى عن
النظر لانه انما احتيج اليها ليحصل العلم بكون الخبر على وفق المخبر عنه فاذا كان
لا يكون الا على وفق المخبر عنه لم تقع الحاجة اليه ليدل على كونه كذلك فاعرفه
واعلم انه انما لزمهم ما قلناه من ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه بدا من حيث
انه اذا كان معنى الخبر عندهم اذا كان اثباتا انه لفظ موضوع ليدل على وجود المعنى
المخبر به من المخبر عنه او فيه وجب ان يكون كذلك ابدا وان لا يصح ان يقال ضرب
زيد الا اذا كان الضرب قد وجد من زيد وكذلك يجب في النفي ان لا يصح ان يقال
ما ضرب زيد الا اذا كان الضرب لم يوجد لان مخواه ان يقال ضرب زيد من غير ان
يكون قد كان منه ضرب وان يقال ما ضرب زيد وقد كان منه ضرب وجب على الاسم
اجلا اللفظ من معناه الذي وضع ليدل عليه وذلك ما لا شك في فساده ولا يلزمنا
ذلك على اصلنا لان معنى اللفظ عندنا هو الحكم بوجود المعنى المخبر به من المخبر عنه
او فيه اذا كان اثباتا واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا يخلو منه وذلك لانك
قولنا ضرب وما ضرب يدل من قول الكاذب على نفسه ما يدل عليه من قول الصادق
لانا ان لم نقل ذلك لم نخل من ان نزعم ان الكاذب يخلي اللفظ من المعنى او نزعم انه يجعل
للفظ معنى غير ما وضع له وكلاهما باطل ومعلوم انه لا فرار له ودرى في كلام العقلاء ان
الكاذب يثبت ما ليس بثابت وينفي ما ليس بمنتف والقول بما قالوه يودي الى ان
يكون العقلاء قد قالوا المحال من حيث يجب على اصلهم ان يكونوا قد قالوا ان الكاذب
يدل على وجود ما ليس بموجود ولا عدم ما ليس بمعدوم وكفى بهذا اضافة وهلا
واذ المعتبر بنا اصلنا كان تقديره ان الكاذب يحكم بالوجود فيما ليس بموجود وبالعدم
فيما ليس بمعدوم وهذا اسد كلام واحسنه والدليل على ان اللفظ من قول الكاذب

دل على بعض ما يدل عليه من قول الصادق وانهم جعلوا احاسن وصف الخمرة تحمل
الصدق والكذب فلولا ان حقيقته بهما حقيقة واحدة لما كان لحدهم هذا معنى
ولا يجوز ان يقال ان الكاذب بانى بالعبارة على خلاف المعبر عنه لان ذلك انما يكون
ممن اراد شيأ ثم اتى بلفظ لا يصلح الذى اراد ولا يمكننا ان نزعم في الكاذب انه اراد
امرا ثم اتى بعبارة لا تصلح لما اراد ومما ينبغي ان يحصل في هذا الباب انهم قد اصلوا
في المعمول وكلما زاد على جزأي الجملة انه يكون زيادة في الفايدة وقد يتخيل لك من ظاهر
لفظ هذا من كلامهم انهم اراد واعندك انك تضم مما تزيده على جزأي الجملة فايدة
الى اخري وذلك محال لانه لا يتصور في زيد من قولك ضربت زيدا ان يكون شيأ اكثر
حتى يكون بعد بتمك ضربت لكنه قد ضممت فايدة الى اخري واذا كان ذلك كذلك
وجب ان يعلم ان الحقيقة في هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول الى معنى غير الذي كان
وان وزان الفعل قد عدي الى مفعول بعده وقد اطلق فلم يقصد به الى مفعول دون
مفعول وزان الاسم المخصر بالصفة مع الاسم المتروك على شياعه كقولك جاني رجل
ظريف مع قولك جاني رجل في انك لست في ذلك كمن يتم معنى الى معنى وفايدة الى فايدة
ولكن كمن يريد ههنا شيأ وهناك شيأ اخر فاذا قلت ضربت زيدا ولم تقصد الى مضروب
مخصوص فاذا قلت ضربت زيدا تعمدت اثباته كان المعنى غير اذا قلت ضربت زيدا ولم
ترد وهكذا لا يكون الامر ابدا كلما زدت شيأ وجدت المعنى قد صار غير الذي كان
ومما يجعل ذلك كله مجازا به الفعل الواحد اذا اتى به مطلقا في الشرط وبعد على اليمين
على الجزاء كقولك ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله عز وجل واذا اطلقتم جاز ان
مع العلم بان الشرط ينبغي ان يكون غير الجزاء من حيث كان الشرط سببا والجزاء مسببا
وانه محال ان يكون الشيء سببا لنفسه فلولا ان المعنى في احسنتم الثانية غير المعنى
في الاولى وانها في حكم تفعلوا ثان لما ساغ ذلك كما لا يسوغ ان تقول ان قمت قمت وان
خرجت خرجت ومسئلة من الكلام قوله المرء يأمن به ان قال قائل بيان وان
سئل سائل تبيان ويجري ذلك في الفعلين قد عدي جميعا الا ان الثاني سيأتي قد
تعدي الى شيء زايد على ما تعدي اليه الاول ومسألة قوله ان اباك زيد اباك
لحاجة وهو اصل كبير والادلة عليه كثيرة ومن اولاها بان يحفظ انك ترى البيت قد
استحسنه الناس وفضلوا قايله بالفضل فيه وبانه الذي عاس على معناه بفكرة
وانه ابو عذره ثم لا تري ذلك المحسن وذلك الفضل كانا الا لاجل بناء الجملة دون

تفسير الجملة ومثال ذلك قوله الفرزدق

وما حملت ام امرئ في ضلوعها ... اعق من الجاني عليها هجاسا

فلولا ان معنى الجملة تصيير ما بناه عليها شيأ غير الذي كان وبتغيير ذاته لكان محالا
ان يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية وان يكون معناه خاصة ما للفرزدق
وان يقضي له بالسبق اليه اذ ليس في الجملة التي بناه لها ما يوجب شيأ من ذلك فاعرفه
والنكتة التي يجب ان تراعي في هذا المعنى ان صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق
الا عند اخر حرف من البيت حتى ان قطعت عنه قوله هجاسا بل الى ان يمر الفرزدق
لم يكن الذي تعقله منه مما اراده الفرزدق بسبيل لان عرضه بتوصيل ام هجاه والحمد
منه وان من عرض لامه لم يكن عرضها لاعظم ما يكون من الشر وكذلك حكم نظايره
من الشعر فاذا انظرت الى قول القطامي

فمن يبتدئن من قول يصبن به ... مواقع المآثم من ذي الغله الصادي

وجدت لك لا يحصل على معنى يصح ان يقال انه غرض الشاعر ومعناه الا عند قوله
ذي الغله وبزيدك استبصارا فيما قلناه ان تنظر فيما كان من الشعر جملة لا من عطف
بعضها على بعض بالواو كقوله

النشر مسك والوجوه دنانير ... واطراف الاكف عنم

وذلك انك ترى الذي تعقله من قوله النشر مسك لا يصير بانضمام قوله والوجوه
دنانير اليه شيأ غير الذي كان يراه ما قبل على حاله وكذلك ترى ما تعقل من قوله
والوجوه دنانير لا يلحقه تغيير بانضمام قوله واطراف الاكف عنم اليه واذ قد عرفت
ما قررناه من ان من شان الجملة ان تصير معناها بانا عليها شيأ غير الذي كان
وانه يتغير في ذاته فاعلم انما كان من الشعر مثل بيت بشار

كان مثار النقع كان ذنوب الطير رطبا ويابسا ... لدي وكرها العناب والحشف البالي

وقوله زاد الاعجم وانا وما تلقى لنا ان مجرتنا ... لكالبحر يعلو فوق كل غريق

كان له مزية على مثل بيت الفرزدق فيما ذكرناه اك لانك تجد في صدر بيت الفرزدق
جملة تودي معنى وان لم يكن معنى يصح ان يقال ان معنى ذلك ولا تجد في صدر هذه
الابيات ما يصح ان يعد جملة تودي معنى فضلا عن ان تودي معنى يقال انه معنى
ذلان ذاك لان قوله كان مثار النقع الى واسيافنا جزء واحد ودليل قاطع كونه
جملة الذي سالمات به لم تكن قد اتيت بكلام وهكذا في سبيل البيت الاخر من قوله

كان قلوب الطير رطبا وياسا الذي وكرها جزء وقوله العناب والحسف البالك
الجزء الثاني وقوله واما ما يلقى لنا ان محجونا جزء وقوله لكا البحر الجزء الثاني
وقوله مهما يلقى في البحر يغرق وان كان جملة مستانفه ليس لها في الظاهر تعلق
بقوله لكا البحر فانها لما كانت مبينة محال لهذا التشبيه صارت كانها متعلقة
بهذا التشبيه وحري بحري ان يقول لكا البحر فانه لا يلقى فيه شئ الا غرق ع ::

فصل واذا ثبت ان الجملة اذا بني عليها حصل منها ومن الذي بني عليها
معنى فالكثير من الامر يجب فيه ان ينسب الى واحد مخصوص فان ذلك يقتضي لا محالة
ان يكون الخبر في نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر عنه ذاك لعلمنا باستحالة ان
يكون للمعنى المخبر به نسبته الى المخبر وان يكون المستنبط والمستخرج والمستعار كل
تصوير بالفكر وليس يشك عاقل في انه محال ان يكون للجهل في قوله فما حملت ام سوء
في بطونها نسبته الى المفترى وان يكون معناه الذي قيل انه استنبطه واستخرجه
وعاض عليه وهكذا السبيل ابدا لا يتصور ان يكون للمعنى المخبر به نسبته الى الشاعر
وان يبلغ من امره ان يصير خاصا به فاعرفه ومن الدليل القاطع فيه ما بيناه في
الكناية والاستعارة والتمثيل وشرحناه من ان من شان هذه الاجناس ان توجب
الحسن والمزية وان للمعاني تصورا من اجلها ما تصور الصور المختلفة وان العلم بالجاسا
ذلك ثابت في المعقول وموكول في غرائز النفوس وجبلاتها كذلك انه محال ان تكون المزايا
التي تحدث لها عارضة في المعنى المخبر به المثبت او المنفي لعلمنا باستحاله ان يكون بها
المزية التي نجدها لقولنا هو طويل النجاد على قولنا هو طويل القامة في الطول والوجد
في نوعهم هو كثير رماد القدر على قولنا هو كثير الغرف والضيافة في كثرة القرى واذا
كان ذلك محالا ثبت ان المزية والحسن يكونان في اثبات سائر اوصف به المذكور
والاخبار به عنه واذا ثبت ذلك ثبت ان الاثبات معنى لان حصول المزية وليس
فيما ليس بمعنى محال فاعرفه ع :: هذا اخر ما اردنا ايراده النصف الثاني من
دلايل الاعجاز في القرآن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
الانبياء والمرسلين والهم وصحبهم وسلم تسليما كثيرا وقد تم الكتاب بعون الملك
الوهاب بكتابه الفقير الحقير محمد بن محمد بن احمد الخرد حي البلبيسي الشافعي غفر الله له
ولوالديه وساير محبه والمسلمين في اوائل النصف الثاني من ثاني الجمادين من سنة اربع
وخمسين وتسعمايه ختم الله العاقبة بخير امين ع ::